المجلة المسيحية الفلسطينية

مجلة علمية محكمة

العدد الأول - ربيع ٢٠٢٥

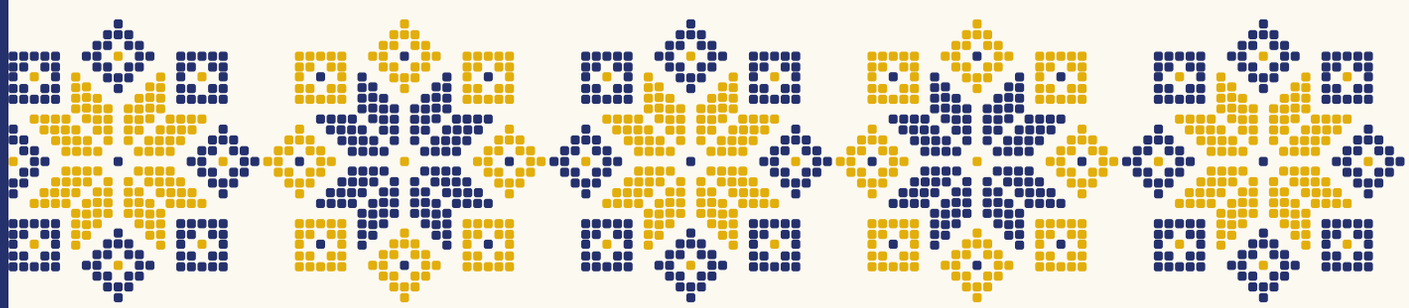

صادرة عن كلية بيت لحم للكتاب المقدس
بيت لحم - فلسطين

العدد الأول – ربيع ٢٠٢٥

صادرة من كلية بيت لحم للكتاب المقدس، بيت لحم – فلسطين

مجلس التحرير

ق. د. منذر إسحق

د. يوسف كمال الخوري

أ. جون مُنيّر

المجلس الاستشاري

د. ويلي جيمس جينينغز، كلية اللاهوت بجامعة ييل، الولايات المتحدة الأمريكية

البروفيسور غاري م. بيرج، معهد كالفن اللاهوتي

د. مايكل ج. عازار، جامعة سكرانتون

د. إليزابيث مارتين، جامعة إدنبرة

د. ديفيد نوهاوس، البطريركية اللاتينية في القدس

البروفيسور سليم منير، كلية بيت لحم للكتاب المقدس

د. نيفين صرّاص، الكنيسة اللوثرية الإنجيلية في أمريكا

د. أولريش دوخرو، جامعة هايدلبرغ، ألمانيا

د. سارة إيرفينغ، جامعة ستافوردشاير، المملكة المتحدة

د. عوض حلبي، جامعة رايت ستيت، الولايات المتحدة الأمريكية

صفحة المحتويات

مقدمة العدد 3

المحررين

شجرة الحياة وشجرة زيتون: 5
قراءة لاهوتية سياقية في السياق الفلسطيني

يوسف كمال الخوري

إحياء المسيحية الفلسطينية: 19
تطورات اللاهوت الفلسطيني

إليزابيث أس. مارتين

حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه بالعنف وتبريره "كتابيا" في ضوء 39
لاهوت بونهوفر

أولريش ديترو

التضامن المسيحي مع فلسطين العابر للحدود الوطنية: 57
النشاط الكاثوليكي الفرنسي نموذجا[1]

الدكتورة كاترينا بانديني

تأويلات لاهوت التحرر 81

كيف يفسر جيمس كون ونعيم عتيق الكتاب المقدس؟

مايكل ماكدوجل

صناعة البيرة وتشكيل الهوية في فلسطين 100

تي ميلجرين

[1] هذه المقالة هي نسخة محدّثة من مقال نُشر أصلا باللغة الفرنسية: كاترينا بانديني، "الكاثوليك الفرنسيون والمسيحيون الفلسطينيون: من أجل علم اجتماع علائقي للتضامن"، في: دفاتر إيمام *Les Cahiers d'EMAM* 32 (2020). أنا أشعر بالامتنان لسيسيل ليكا لمساعدتها في ترجمة المسودة الأولى إلى اللغة الإنجليزية. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024.
https://journals.openedition.org/emam/2787

مقدمة العدد الأول من مجلة المسيحية الفلسطينية

نكتب هذه المقدمة للعدد الأول من مجلة المسيحية الفلسطينية، التي تستضيفها كلية بيت لحم للكتاب المقدس، في وقت عصيب للغاية. لا يزال العالم يشهد الإبادة الجماعية في غزة وهي تتكشف أمام أعيننا. في هذه اللحظة، تبدو الأكاديمية أقل أهمية مقارنة بالتحديات التي نواجهها نحن وشعبنا. ومع ذلك، فإن البحث الأكاديمي هو أيضًا شكل من أشكال المقاومة، حيث يوفر لنا مساحة لمواجهة الإنتاجات المعرفية الاستعمارية الغربية، وحفظ التراث والمعرفة والفكر الفلسطيني.

لطالما لعب المسيحيون الفلسطينيون دورًا جوهريًا في المجتمع الفلسطيني والمسيحية العالمية. في بعض الأوساط، كان للمفكرين المسيحيين الفلسطينيين تأثير كبير من خلال أبحاثهم وكتاباتهم ونشاطهم. ومع ذلك، فإن معظم المنشورات الأكاديمية التي كتبها المسيحيون الفلسطينيون أو التي تناولت المسيحيين والمسيحية الفلسطينية كانت باللغة الإنجليزية، وموجهة في الأساس إلى القرّاء الغربيين. وحتى اليوم، لا توجد مجلة محكمة في العالم متخصصة في المسيحية الفلسطينية والمسيحيين الفلسطينيين، سواء باللغة العربية أو الإنجليزية.

ونتيجة لذلك، اضطر الباحثون الفلسطينيون المهتمون بالأبحاث الأكاديمية المتعلقة بالمسيحية الفلسطينية إلى تقديم أبحاثهم إلى مجلات أكاديمية ومؤتمرات غربية. ونظرًا لطبيعة اهتماماتهم الخاصة، فإن توفر المساحات لهذا النوع من الأبحاث كان محدودًا، مما أدى إلى تقليص عدد الكتابات المنشورة. وقد أثّر ذلك أيضًا على عدد المنشورات المتاحة باللغة العربية للمجتمعات المحلية في فلسطين والشرق الأوسط بشكل عام. بالإضافة إلى ذلك، فإن الحساسية المرتبطة بالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، واستمرار الاستعمار، والطبيعة التحررية للكتابات الفلسطينية، قد أدت إلى إغلاق العديد من الفرص الأكاديمية أمام الباحثين الفلسطينيين، بل وأيضًا أمام غير الفلسطينيين الذين يكتبون بنفس النهج.

لذلك، تهدف مجلة المسيحية الفلسطينية إلى تلبية هذه الاحتياجات. ومن خلال إنشاء مجلة أكاديمية محكمة، سيتمكن الباحثون الفلسطينيون والعرب والدوليون من جميع أنحاء العالم من البحث والكتابة والتفاعل مع بعضهم البعض حول القضايا المتعلقة بالمسيحية الفلسطينية. وستتضمن المجلة مقالات باللغتين العربية والإنجليزية، مع ترجمة المقالات بين اللغتين، مما يخلق نقاشًا أكاديميًا متنوعًا وحيويًا بين الباحثين في فلسطين وخارجها. يجب أن يكون الفلسطينيون في طليعة البحث المتعلق بالمسيحية الفلسطينية، دون الحاجة إلى انتظار المؤسسات الغربية لمبادراتهم أو موافقتها. علاوة على ذلك، من المتوقع أن تساهم هذه المجلة ليس فقط في تعزيز النقاشات حول المسيحية الفلسطينية، ولكن أيضًا في إثراء النقاشات الأكاديمية العالمية.

وبناءً على ذلك، يشرفنا ويسعدنا أن نقدم العدد الأول من هذه المجلة. هذا العدد هو إصدار عام يتضمن مجموعة متنوعة من المقالات. تقدم المقالة الأولى، التي كتبها يوسف الخوري، فتعرض منظورًا جديدًا في اللاهوت الفلسطيني، حيث يستخدم شجرة الزيتون كاستعارة للانخراط في اللاهوت السياقي. أما المقالة الثانية، التي كتبتها إليزابيث مارتين، لمحة عامة عن تطور اللاهوت الفلسطيني. وهي نظرة تحليلية مفيدة تسلط الضوء على التطورات الاجتماعية والسياسية التي أثرت على المسارات اللاهوتية.

تتناول مقالة أولريش دوكروه الفكر اللاهوتي لِبونهوفر وعلاقته بفلسطين، إذ تحلل الاستخدام العنيف للنصوص المقدسة ومنطقه ضد الفلسطينيين، وتضعه في حوار مع لاهوت بونهوفر. في المقالة الرابعة، التي كتبتها كاترينا بانديني، تتناول جهود التضامن التي تبذلها مجموعات خارج فلسطين، حيث تفحص النشاط الذي يمارسه الكاثوليك الفرنسيون، بما في ذلك روابطهم وأنشطتهم وسياقاتهم. أما مقالة مايكل مكدوجل، فتضع اللاهوت الفلسطيني في حوار مع اللاهوت الأسود، حيث يناقش التفسير hermeneutics التحرري لكلا التقليدين، مع إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينهما. وأخيرًا، يناقش تاي ميلجرين في مقالته مسألة تشكيل الهوية في فلسطين بين المسيحيين الفلسطينيين، حيث يفحص دور صناعة الجعة (البيرا) وتأثيرها على الهوية.

نأمل أن يساهم العدد الأول في تقديم مساهمة مهمة في مجال الدراسات المسيحية الفلسطينية، ويشكل خطوة أولى نحو تأسيس مساحة أكاديمية فلسطينية مستقلة ومؤثرة.

المحررين

بيت لحم، فلسطين

شجرة الحياة وشجرة زيتون:
قراءة لاهوتية سياقية في السياق الفلسطيني

يوسف كمال الخوري
أستاذ مساعد والعميد الأكاديمي لكلية بيت لحم للكتاب المقدس

الملخص:

تقدم هذه الورقة البحثية حجة مفادها أن أشجار الزيتون في فلسطين هي شجرة الحياة بالنسبة للشعب الفلسطيني. من خلال تطبيق كل من اللاهوت الكتابي والتفسير التحرري، أُبرز الأهمية الروحية والليتورجية والاجتماعية والاقتصادية لأشجار الزيتون، مُقدِّمًا لاهوتًا كتابيًا لشجرة الزيتون وشجرة الحياة في الكتاب المقدس. علاوة على ذلك، أقترح أنه من الآمن افتراض والإشارة، تاريخيًا ولاهوتيًا، إلى أن شجرة الحياة هي شجرة زيتون. بغض النظر عن ذلك، يرتبط الفلسطينيون بأشجار الزيتون الخاصة بهم وهم متجذرون مثلها في وطنهم. لعقود من الزمن، استهدف نظام الاستعمار الإسرائيلي أشجار الزيتون لسحق الاقتصاد الاجتماعي الفلسطيني وضم بساتين الزيتون. من خلال دراسة كل من أشجار الزيتون وشجرة الحياة، أخلص إلى أن كلتا الشجرتين ترمزان وتُلهمان المقاومة اللاعنفية والصمود والشفاء والأمل.

الكلمات المفتاحية: لاهوت، شجرة الحياة، زيتون، فلسطين، تحرر، سياق، زيت، أرض، ملكوت الله، صمود، مقاومة، لاهوت كتابي، دسم/دهن، استعمار.

شجرة الحياة وشجرة زيتون: قراءة لاهوتية سياقية في السياق الفلسطيني

إننا نعيش رحلة بحث للعودة إلى شجرة الحياة، إلى جنة عدن والحضور الإلهي. إنها تلك الشجرة التي نقرأ عنها في أولى اصحاحات الكتاب المقدس وسفر التكوين، شجرة مزروعة في عدن، ومنها وبها تعطى الحياة (تك 2). زرعها الله، ليحيا الإنسان، وليعطي منها شفاء لكل الأمم (رؤ 22: 2) في الخليقة الجديدة. نحن في الحاضر نحيا في زمن ما بين الخليقة القديمة والجديدة الأتية. الخليقة القديمة التي لازلنا نتصارع معها ونصارع فيها شر الإنسان ضد الله، وضد أخيه/أخته في الإنسانية، والبيئة. أما الخليقة الجديدة، فقد بدأت بدعوة يسوع المسيح بحضور الملكوت الإلهي،[2] إلا أننا ننتظر اكتملها. ما بين الزمنين، قد أعطى السيد المسيح أتباعه إرسالية الملكوت ليكونوا أمناء عليها، ليكونوا رسلاً للسلام والمصالحة. بأن يكونوا شهوداً للأخبار السارة (مت ٢٨: ١٨-٢٠؛ مر ١٦: ١٥؛ وآع ١: ٨). إن جسد المسيح في فلسطين يحمل على كاهله إرسالية خاصة في سياق مؤلم، يشدد فيه على قدسية الأرض، ويشيطن الإنسان المخلوق من طينها. يستند فيه على الحق الإلهي، وتكسر وصايا الله. وبينما يبحث الحجاج في أزقة قدسها عن سبيل مختصر لشجرة الحياة، تُقتلع أشجار حياة لسكان هذه الأرض كل يوم. إن السياق الفلسطيني يتطلب شجاعة لقراءة كلمة الله لتكون كلمة حياة - وهي بالفعل كذلك-، لا موت، كما تؤكد وثيقة كايروس: وقفة حق.[3] يستوجب أيضاً إبداعاً في تفسير رسالة الكتابة المقدس ورموزه تفسيراً وجودياً سياقياً يخاطب واقع الإنسان، ويرسم معالم لاهوتٍ يعانق ثالوثية التاريخ، الحضارة، والإيمان. شكلت زيارتي إلى أقدم شجرة زيتون في العالم والتي تقع في قرية الولجة المهددة بالضم من قبل المستعمر الإسرائيلي إلهاماً لكتابة هذه الورقة البحثية.

يقدم هذا البحث قراءة سياقية فلسطينية ويناقش ان لشجرة الحياة في الكتاب المقدس دلالة لاعتبارها صورة لشجرة الزيتون التي تشكل عصب حياة للشعب الفلسطيني. ينطلق البحث من منهجية يدمج فيها التفسير السياقي التحرري واللاهوت الكتابي معاً. ينظر البحث في أهمية شجرة الزيتون في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومعانيها، ورموزها التاريخية والحضارية والروحية. كما يستعرض مكانة شجرة الزيتون التاريخية والاقتصادية والوجدانية للشعب الفلسطيني. في الختام، يقترح البحث لاهوت شجرة الحياة مستوحاً من شجرة الزيتون مبنياً على خمس قوائم وهي: (آ) الحياة المشتركة (ب) السلام والمقاومة السلمية (ج) الشفاء (د) الصمود (هـ) الرجاء.

---

[2] هنالك وجهات نظر متعددة حول ملكوت الله. البعض يرى انه مستقبلي مثل Albert Schweitzer و Johanna Weiss ووجهة نظر ثانية تعتقد انه حدث تحقق في الماضي مثل C. H. Dodd آما وجهة النظر الثالثة والتي يتبناها هذا البحث فهي آن الملكوت هو حاضر ومستقبلي مثل George Eldon Ladd و N. T. Wright. ينادي مؤيدي هذا التوجه آن الملكوت تحقق في المسيح ولازال حاضراً في العالم وسوف يكتمل في المستقبل.

[3] **وثيقة كايروس: وقفة حق**، 2-3-4. الوثيقة كاملة متاحة على https://kairospalestine.ps/sites/default/files/Arabic.pdf

1. منهجية بحثية لاهوتية كتابية سياقية تحررية

إن الدراسة موضوع البحث تتطلب منهجية ثنائية. منهجية كهذه تحاول مناقشة أن شجرة الزيتون الفلسطينية تحمل بين جذورها وعلى أغصانها وفي معناها الوجودي صورة لشجرة الحياة في الكتاب المقدس. التوجه الأول لهذه المنهجية يعتمد على اللاهوت الكتابي والذي من خلاله ندرس الكتاب المقدس كوحدة لا تقبل التجزيء في عهديه القديم والجديد. كما أنها تستقصي امتداد فروع شجرة الزيتون بين طيات صفحات الكتاب المقدس. أما التوجه الثاني فهو يستند إلى اللاهوت التحرري والتفسير السياقي لمعنى شجرة الحياة كشجرة الزيتون من أرضية واقع الإنسان الفلسطيني.

أولاً، لاهوت كتابي عن شجرة الزيتون. إن المنهجية المناسبة والمشاركة تتبنى أساسيات اللاهوت الكتابي. يستند اللاهوت الكتابي على أمرين رئيسيين: (أ) وحدة الكتاب المقدس (ب) الرؤية الواسعة لتاريخ الخلاص.[4] إن التدقيق والاستعانة باللاهوت الكتابي ينبع من الإيمان بأن الكتاب المقدس يشكل وحدة واحدة في كل أسفاره، بحيث ينظر للخيط اللاهوتي الذي يربط الاسفار كلها في رؤية واسعة لتاريخ تعاملات الله مع الإنسان. إن اللاهوت الكتابي إيضاً هو متخصص في وصف صورة معينة في حد ذاتها وامتدادها في الكتاب المقدس كما يؤكد اللاهوتي المعروف كريستوفر رايت.[5] ان الصورة التي يتناولها اللاهوت الكتابي لها طابع رمزي يستعرض من خلالها عمل الله الخلاصي، فتساعدنا على الانطلاق من جزء صغير في الكتاب المقدس لاكتشاف الصورة الكبرى.[6] استناداً على ذلك، سيستقصي هذا البحث شجرة الزيتون في الكتاب المقدس، أخذاً بعين الاعتبار عمقها اللغوي والتاريخي واللاهوتي على اعتبارها رمزاً لشجرة الحياة.

ثانياً، قراءة سياقية تحررية. صعدت تيارات القراءات السياقية التحريرية للكتاب المقدس في النصف الثاني من القرن العشرين. كان آهمها ما صدر عن الكاهن واللاهوتي الأمريكي اللاتيني غوستافو غوتيرز. لقد أدرك غوتيرز آن العظات الكنسية لم تخاطب هموم الفقراء والمهمشين. أصبح واقع شعب الكنيسة وشعوب أمريكا اللاتينية مصدر الهام لبدأ رحلة قراءة وتفسير الكتاب المقدس بأسلوبٍ يكون فيه اميناً لكلمة الله ويخاطب واقع الناس.[7] ينادي التحرريون/ات بضرورة ان يكون الايمان المسيحي عملياً، لا حبيساً في دوائر الفلسفة اللاهوتية والخلاص الفردي، فينتقدوا الخطيئة المجتمعية والهيكلية التي تتسبب بالظلم والفقر. شدد الفكر السياقي التحرري على العمل القويم *orthopraxy* بدلاً من التعليم التقويم *orthodoxy*.[8]

---

[4] منذر إسحق، **أرض الميعاد: قراءة لاهوتية ضمن السياق الفلسطيني** (بيت لحم: كلية بيت لحم للكتاب المقدس، 2021).

[5] كريستوفر جيه إتش رايت، **إرسالية شعب الله: لاهوت كتابي لإرسالية الكنيسة**، ترجمة هدى بهيج يوسف (القاهرة: دار الثقافة، 2014)، 15.

[6] تي دي ألكسندر، "اللاهوت الكتابيّ،" **ائتلاف الانجيل**، تمت زيارته في تاريخ ٢٠ آب ٢٠٢٣، متاح على https://ar.thegospelcoalition.org/biblical-theology/

[7] انظر/ي وليم سيدهم اليسوعي، **لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية: نشأته، تطوره، ومضمونه** (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٣).

[8] Bevans, Stephen. "Models of contextual theology." *Missiology 13, no. 2* (1985): 185-202; and *Models of Contextual Theology*, Revised and Expanded Edition (Maryknoll, NY: Orbis, 2002) 70-87.

بكلمات أخرى، استمد اللاهوتيون/ات التحرري/ات تفسيرهم للكتاب المقدس من الواقع لكي ليحرروا الانسان من الظلم المجتمعي بأسلوب عملي فيتغير المجتمع ليكون بحسب ملكوت الله. على هذه الأسس ومع مراعاة خصوصية السياق الفلسطيني، يتخذ هذا البحث توجهاً سياقياً تحررياً، يربط الكتاب المقدس بالواقع الفلسطيني ليحرر الانسان والأرض من الظلم من خلال كلمة الله. يكتب اللاهوتي الفلسطيني نعيم عتيق وهو مؤسس مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرري، أن اللاهوت هو الجسر الوحيد القادر على توصيل رسالة الكتاب المقدس إلى الشعب. لذا ينبغي عليه أن يكون "سليماً من ناحية الكتاب المقدس، لاهوتاً تُحرر، لاهوتاً يؤقلم ويفسر، بينما يبقى وفياً لقلب (صميم) رسالة الكتاب المقدس."[9] ان دافع اللاهوت التحرري هو الوفاء لكلمة الله التي تسعى لتحرير الإنسان من شر ذاته وشر الأخرين تجاهه.

سواء ذلك، يحكم على شجرة الحياة والزيتون بالاندثار إن كانتا حبيستي الماضي وتصورات المستقبل دونما قراءتهم بسياقية تخاطب واقع القارئ/ة اليوم وهنا. يعبر اللاهوتي الفلسطيني الأب الدكتور رفيق خوري عن أهمية الفكر اللاهوتي والقراءة السياقية للكتاب المقدس بكلمات عميقة، فيكتب

> بين خبرة التاريخ، وتحدّيات الحاضر، وتطلّعات المستقبل، يأخذ الفكر اللاهوتي مكانه ومجراه، خدمةً للجماعة المؤمنة، فيساعد على ربط الأبعاد الثلاثة، ليفجّر منها فكراً يواكب الحياة ويصنع الحياة. إذا افتقرت أي جماعة مسيحية إلى هذا الفكر اللاهوتي، فهي مرشَّحة للعقم.[10]

لابد من ذكر آن اللاهوتي الفلسطيني الراحل الدكتور جريس خوري قد كتب لاهوتاً سياقياً غنياً مبنياً على شجرة الزيتون في مواجهة الاستعمار الإسرائيلي. يتناول خوري ذلك في إحدى عشر غصناً ما بين السياقية والمسكونية والحوار مع الأديان.[11] بينما يركز خوري على البعد اللاهوتي والفلسفي، ان هذا البحث يتخذ منهجية أخرى بهدف البناء على ما قدمه خوري ولاهوتيين/ات آخرين/ات في السياق الفلسطيني.

2. شجرة الحياة وشجرة الزيتون في الكتاب المقدس

أثارت شجرة الحياة خيال الشعوب القديمة ومن بينها الشعب العبراني القديم، وكذلك شجرة الزيتون. تمتد جذور شجرة الزيتون وأغصانها بين ثنايا صفحات الكتاب المقدس، من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا. كما أن أوراقها وثمارها وزيتها يحملان أبعاد تاريخية وحضارية

---

[9] نعيم عتيق، "الكتاب المقدس: مشكلة أم حل؟" في **مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني**، تقديم وتحرير منذر إسحق (بيت لحم: ديار، 2017)، 105.

[10] رفيق خوري، **اللاهوت المحلي الفلسطيني (1967-2019): رؤية شاملة** (القدس: مركز اللقاء، 2019)، 33-34.

[11] جريس خوري، **عربٌ مسيحيون. أصالة...حضور...انفتاح** (القدس: مركز اللقاء، 2006). 246-254. أيضاً أنظر، جريس خوري، "لاهوت شجرة الزيتون المتجذرة في الأرض الفلسطينية" في **مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني**، تقديم وتحرير منذر إسحق (بيت لحم: ديار، 2017)، 69-81.

وروحية مهمة في تاريخ الشعوب التي عاشت على أرض فلسطين على مر الألاف السنين وللشعب العربي الفلسطيني.[12] إن الكتاب المقدس في عهديه إنما نتاج اختبار الشعوب التي سكنت أرض فلسطين لعمل الله الخلاصي. إن الأرض هي الإنجيل الخامس،[13] وشجرة الزيتون تنضح بزيتها في هذا الإنجيل. القارئ/ة المتمعن/ة والباحث عن حضور شجرة الزيتون في الكتاب المقدس سيلحظ أنها جزء أصيل من حضارة وتراث وروحانية الشعوب التي عاشت فلسطين، بل أنها رمزاً للحياة.

1.2. شجرة الحياة وشجرة الزيتون

يصعب تقديم إجابة قطعية تاريخية عن نوعية أو وصف مادي لشجرة الحياة المذكورة في الكتاب المقدس. لذا من الضروري الاستعانة بالرموز الدينية واللاهوتية التي تمثلها تلك الشجرة. إن الاعتماد على سيوفر صورة توافق على أن شجرة الحياة هي شجرة الزيتون. تذكر عبارة "شجرة الحياة" في ست مواضع في العهد القديم (تكوين 2: 9؛ 3: 22-44؛ أمثال 3: 17-18) وفي الترجمة السبعينية لسفر إشعياء 65: 22.[14] وموضع واحد، ثلاث مرات في العهد الجديد (رؤيا 2: 7؛ 22: 1-2، 14-15). بحسب التقليد العبراني إن المنارة التي كانت توقد في الهيكل كانت -ولازالت- رمزاً لشجرة الحياة في عدن.[15] يقول ولف فيرغين *Wolf Wirgin* أن شجرة الحياة والتي عُبر عنها في التقليد العبراني بالمنارة في الهيكل عبارة عن مثال لشجرة الزيتون، حيث يؤكد أن المنارة في الهيكل

> كانت مثالاً عن الشريعة الإلهية والتي كانت توقد بشكل حصري بزيت الزيتون والذي مصدره شجرة الزيتون. إن الاعتقاد السائد أنها الشجرة التي لا تموت... كما أن غصن الزيتون كان أول ما ذكر في الكتاب المقدس عن الأشجار التي نجت من الطوفان خارج فلك نوح. بلا شك، أن الشعوب القديمة اعتبرت شجرة الزيتون على أنها شجرة الحياة، ولذلك من المناسب مزجها مع المنارة في الرموز اليهودية للتعبير عن الحياة الأبدية ما بعد الموت.[16] (ترجمة الباحث)

---

[12] إن الشعب العربي الفلسطيني المعاصر هو امتداد تاريخي للشعوب العديدة التي عاشت ومرت على فلسطين حيث أن قراءة التاريخ يجب أن تكون ذات بعد شمولي. إن تاريخ الكتاب المقدس هو جزء أصيل من تراث الشعب الفلسطيني. نجح المؤرخ واللاهوتي الفلسطيني القس الدكتور متري الراهب في إعادة التوجهات التاريخية في الرواية الفلسطينية إلى مسارها الصحيح عبر تأكيده على ذلك. راجع، .Faith in the Face of Empire: The Bible Through Palestinian Eyes (New York: Orbis books, 2014)

[13] تعود المقولة أن الأرض هي "الإنجيل الخامس" إلى القرن الرابع الميلادي والقديسيين جيروم وكيرلس المقدسي. انظر/ي المرجع التالي

The Holman Illustrated Bible Study (Nashville, TN: Holman Bible Publisher, 2006), v.

[14] William R Osborne, "The Tree of Life in Ancient Egypt and the Book of Proverbs," *Journal of Ancient Near Eastern Religions* 14, no. 1 (2014): 114–36, doi:10.1163/15692124-12341259

[15] Gordon J. Wenham, *Rethinking Genesis 1-11* (Eugene: Cascade books, 2015) 28.

[16] Wolf Wirgin, "The Menorah as Symbol of Judaism," *Israel Exploration Journal* 12, no. 2 (1962): 141-2, http://www.jstor.org/stable/27924897

تظهر رسومات قديمة تزين نصوص قريبة إلى الطابع المازوراتي والتي قد تعود إلى نهايات القرن الثالث عشر شجرة زيتون ذات سبع فروع، مطابقة الشبه لمنارة الهيكل، ومن جذورها تخرج ثلاث ينابيع زيت. إن تلك الصورة تدعم الفهم الرؤيوي والتلمودي الذي يعتقد أن شجرة الحياة تنبع زيتاً يعطي حياة أبدية.[17] تفسر وتوضح الباحثة صوفيا أمسنيوا *Zofja Ameisenowa* أن كُتاب سفر أخنوخ الثاني الرؤيوي الاصحاح ٦ يعتقدون أن شجرة الحياة هي شجرة زيتون، ومن هذه الشجرة ينضح زيتاً بلا توقف لكي يكون زينة لحياة أبدية مباركة.[18] إن تلك العناصر مجتمعة تجعل من احتمال مصداقية كون شجرة الحياة ذاتها شجرة الزيتون أكثر رجاحة تاريخياً. من المثير أن رمزية شجرة الحياة كشجرة زيتون ومركزيتها في الحياة التعبدية للشعوب القديمة ليست حكراً على الشعب العبراني وهيكل القدس. هنالك العديد من الأمثلة التاريخية من الحضارة المصرية القديمة والشعوب الكنعانية والحثيّة والأكادية حيث أنها استخدمت شجرة الزيتون وزيتها في عباداتها وطقوسهم في هياكلهم.[19] إن وجود تلك الأدلة من حضارات أخرى تشكل دعماً للمصداقية النص الكتابي الذي ما دأب يعبر عن رحلة الإنسان في العودة إلى المحضر الإلهي، لشجرة الحياة والحياة الأبدية.

2.2. شجرة الزيتون والزيت في الكتاب المقدس: البعد اللغوي

تتعدد المراجع الكتابية عن شجرة الزيتون في العهد القديم، وأيضاً الكلمات العبرية في صياغتها التي تعود إلى شجرة الزيتون، زيتها، ودسمها. يظهر الاسم *زيت zayt* זַיִת 38 مرة، ويستخدم للدلالة على شجرة الزيتون. أما الاسم الأخر وهو *شمين shemen* שֶׁמֶן فيظهر 210 مرة، 193 منهم تعود إلى الزيت المستخرج من الزيتون و/أو دسمه.[20] أما في العهد الجديد، فإن شجرة الزيتون تظهر بشكل محدود، إلا أن أهم الأحداث في الإنجيل تمت على وقرب جبل الزيتون. في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية تذكر شجرة الزيتون مرتين (11: 17، 24) ويستخدم بولس الاسم *أغريليوس agrielaios* ἀγριέλαιος والذي يدل على شجرة الزيتون البرية.[21] كما أنها تظهر في سفر الرؤيا، بشكل خاص تقف شجرتي زيتون في المحضر الإلهي (رؤيا 11: 4). في حين أن المراجع الكتابية عن زيت الزيتون، في اليونانية *إليو elaíō* ἐλαίῳ، فيستخدمها السيد المسيح مرات معدودة في أمثاله، مثل العذارى الحكيمات والجاهلات (متى 25)، ومثل السامري الصالح (لوقا 10: 34)، وكتابات الرسائل (عبرانيين 1: 9؛ يعقوب 5: 14)، وفي سفر الرؤيا 18: 13.

---

[17] Zofja Ameisenowa, "The Tree of Life in Jewish Iconography," *Originalveröffentlichung in: Journal of the Warburg Institute*, 2 (1938), Nr. 4. S. 326-345, 339, available via http://archiv.ub.uni-heidelberg.de/artdok/4216/1/Ameisenowa_The_tree_of_life_1938.pdf

[18] Ibid, 331.

[19] Bryan R. Moselle, "The Symbolic and Theological Significance of the Olive Tree in the Ancient Near East and the Hebrew Scripture", Ph.D. thesis (University of Pretoria 2015), 68-88.

[20] تم العودة إلى A Hebrew and English Lexicon on the OT, Abridged.

[21] إن كان تفسير محتوى الرسالة والإصحاحات 9-11 لازال خلافياً بين المفسرين، إلا أن هذه الدراسة لا تتسع لمناقشتها. يمكن للقارئ/ة مراجعة يوحنا كتناشو، **دراسة رومية 9-11 في السياق الفلسطيني**، 2020.

2.3. شجرة الحياة، شجرة وزيت الزيتون: لاهوت كتابي

إن مبدأ اللاهوت الكتابي يعتمد على تقصي صورة معينة في الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. يشدد اللاهوت الكتابي على وحدة النص كاملاً. أول مرجع مباشر لشجرة الزيتون في الكتاب المقدس يظهر أنها رمزاً للحياة في تكوين 8: 11. مع الرصد والتدقيق في الفرضية المهمة أن شجرة الحياة المذكورة في تكوين 2 و3 هي ذاتها شجرة الزيتون، يمكن الانطلاق نحو بناء لاهوتاً كتابياً يعتمد عليها.

يؤكد اللاهوت الكتابي على إرسالية الله الكاملة لإعادة الإنسان إلى الصورة الأصلية التي خلق عليها امتداداً من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا. أي العودة إلى جنة عدن وشجرة الحياة، مركز الحضور الإلهي. إن تمرد الإنسان على وصية الله جعلت منه/ا ليس/ت أهلاً للدخول بعلاقة حقيقية ومقدسة مع الله. لقد طرد الإنسان من هيكل الله، عدن، ومن التمتع بشجرة الحياة. مع سقوط الإنسان، أعد الله حلقة جديدة وهي رحلة الفداء، وتحقيق السلام مع الإنسان. أعط الله فرصة جديدة للبشرية والخليقة مع نوح ونسله. بعد الطوفان، أطلق نوح حمامة لكي تتحري تقلص وتراجع المياه، وقد عادت له حاملة غصن زيتون رمزاً لبدأ عودة الحياة إلى الأرض. إن قصة الطوفان تمثل إعادة الخليقة. الله لا يريد للعالم أن يندثر أو للإنسان أن يفنى. يصور سفر التكوين نوح على أنه أدم الجديد، الذي معه تبدأ الخليقة الجديدة.[22] أن الأرض وكأنها عدن الجديدة، وأولى علامات هذه الحياة والخليقة الجديدة هو غصن شجرة زيتون.

مثلت أرض فلسطين صورة عن جنة عدن من منظور كُتاب العهد القديم.[23] كانت إحدى ميزات عدن أنها مزروعة من الله، ليست نتاج عمل بشري. في تكوين 2: 9، الله ينبت كل شجرة شهية النظر، وشجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر. هكذا، يجادل الله شعب العبراني القديم أن الأرض المزروعة كروماً وزيتوناً هي عمل يده (تثنية 6: 11، يشوع 24: 13، نحميا 9: 25) لكي يتمتع الإنسان من خيرها. إن كانت الأرض هي مثال عن عدن، فإن هيكل القدس، مركز العبادة الإلهية يشكل صورة مصغرة عن جنة عدن في المخيلة اللاهوتية للشعب العبراني القديم.[24] في خيمة الاجتماع ثم الهيكل، حيث المحضر الإلهي، صنع المحراب وقوائم الهيكل من خشب الزيتون (1 ملوك 6: 23، 31-33)، وكان لزيت الزيتون أهمية لإشعال سراج خيمة الاجتماع (خروج 27: 20، 35: 8، 14، 28). كما أن المنارة التي تتوسط الهيكل وأمام قدس الأقداس، لهي رمز لشجرة الحياة وشجرة الزيتون. علاوة على ذلك، يعتبر زيت الزيتون جزءاً مهماً من العبادات الطقسية أيضاً في تكريس الكهنة والملوك والمكرسين لله (خروج 28: 41، 29: 21، 30: 31؛ لاويين 7: 35، 8: 12؛ 1 صموئيل 10: 1، 16: 12-13؛ 2 صموئيل 5: 3، إلخ). يحتل زيت الزيتون دوراً جوهرياً في العبادات الطقسية في خيمة الاجتماع والهيكل، خلال الذبائح الحيوانية والتقديمات (لاويين

---

[22] أشرف عزمي، **في البدء: تفسير لُغوي ولاهوتي وتاريخي لسفر التكوين 1-11** (رؤية للطباعة، القاهرة: 2017)، 335-6.

[23] راجع منذر إسحق، **أرض الميعاد: لاهوت كتابي في السياق الفلسطيني** (بيت لحم: كلية بيت لحم للكتاب المقدس، 2021)، 42-68.

[24] راجع، يوسف كمال الخوري، "البيئة ولاهوت آخر الأيام: نحو فكر مسيحي إنجيلي وع ومستنير في فلسطين" في **نحو ذهن متجدد**، تحرير منذر إسحق وبطرس منصور (بيت لحم: كلية بيت لحم للكتاب المقدس، 2021)، 287-305.

2، 5:11، 6: 15، 7، 14؛ تثنية 18: 4، إلخ). كما أن الزيت أعتبر جزءاً من التطهير من الخطايا (لاويين 14: 29). لعل من أجمل وأوضح المراجع الكتابية التي تؤكد على ارتباط شجرة الزيتون بالهيكل، ومثالاً عن شجرة الحياة، هي كلمات النبي داوّد "أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله" (مزمور 52: 8).

استمر استخدام الزيتون في فترة الهيكل الثاني في القدس. يكتب العلامة اللاهوتي بولس الفغالي أن الزيتون كان يطحن في موضع خاص على زمن الرومان وكان هنالك اهتماماً بتهيئة زيت معد لشرائع العبادة في الهيكل.[25] لم تخلُ تعاليم السيد المسيح من ذكر الزيتون، وإن كان ضمنياً في التعبير عن زيته. إن السيد المسيح بحسب مفهوم العهد الجديد هو الملك والكاهن والنبي الممسوح من الله (إشعياء 61: 1؛ لوقا 4: 18). يعلم يسوع في العهد الجديد عن العذارى الحكيمات اللواتي حفظن والعذارى الجاهلات اللواتي لم يحفظن زيتهن لإنارة مصابيحهن لاستقبال العريس.[26] ويقضي يسوع وقتاً جليلاً على جبل الزيتون، ومنه ينطلق يسوع إلى حضن الأب على رجاء عودته إلى ذات الجبل ليحكم بشكل أبدي ويعلن اكتمال الخليقة الجديدة. ما بين الخليقتين، تبقى شجرة الزيتون رمزاً لعمل المصالحة وإحلال السلام بين الله والإنسان. يكتب الرسول بولس عن الزيتونة البرية التي تنم عن المصالحة التي تجمع الأمم واليهود (رومية 11: 17).[27] كما أن زيتها يشكل مسحة شفاء للمرضى (مرقس 6: 13؛ لوقا 10: 34؛ يعقوب 5: 14). وبينما يقطر الزيت من على وجنة المريض/ة، فأنه يذكر/ها بالشفاء الكامل الاتي. كما أن مسحة الزيت هي تعبيراً عن حلول الروح القدس في حياة المؤمنين (2 كورنثوس 1: 21؛ 1 يوحنا 2: 20، 27). ويختتم الكتاب المقدس الإعلان الإلهي المكتوب بصورة سماوية عن المحضر الإلهي، حيث منارتان وشجرتي زيتون على جانبيها (رؤيا 11: 4). إن لذلك الإعلان عن المنارتين وشجرتا الزيتون فيه إعلان عن السلام الذي قد أكمل، والشفاء الذي تم، والحياة الأبدية التي لا تنتهي.

3. شجرة الزيتون في السياق الفلسطيني

3.1. أهميتها التاريخية والاقتصادية الاجتماعية والروحية

تنمو شجرة الزيتون في محيط البحر الأبيض المتوسط، وضمنها فلسطين. إن ما تم توضيحه أنفاً عن شجرة الزيتون في ظلال العهد القديم والجديد يوضح أهميتها التاريخية والاقتصادية والروحية للشعوب التي سكنت فلسطين قديماً وحديثاً. يوضح الفغالي أن الزيتون

[25] بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم** (جمعية الكتاب المقدس والمكتبة البولسية: لبنان، 2003)، 628-9.

[26] لم يقضي كُتاب العهد الجديد جهداً لتوضيح أن الزيت هنا هو زيت ثمن الزيتون. أهمية شجرة الزيتون والزيت في عالمهم وإيمانهم كون ذلك يعتبر من الحقائق المحسومة التي يعرفها ويفهمها القارىء/ة الأصلية للنص. إن تلك الاستخدامات وإن كانت بسيطة وقليلة في العهد الجديد لا تنفي أهمية الزيتون وزيته لكتاب وقراء النص.

[27] راجع إسحق، **أرض الميعاد**، 94-95.

يعتبر من أقدم الأشجار التي زرعت في فلسطين.[28] تنمو أشجار الزيتون في المناطق الساحلية والجبلية على حدٍ سواء منذ ما قبل الميلاد. على سبيل المثال، وجد الباحثون بذوراً لشجرة الزيتون في كل مجدو وبيسان تعود إلى ما يقارب 4000 عام.[29] كما أن الخصائص الطبيعية التي تحملها الشجرة تجعل منها قادرة على التكيف مع الظروف المناخية وشح المياه. إنها بحاجة إلى الحد الأدنى من الاهتمام، ودائمة الخُضرة. تمكن الإنسان من الاستفادة من ظلالها، ومن ثمارها وزيتها في الطعام والعبادة، ومن خشبها للتدفئة في شتاء فلسطين القارس، وفي الأعمال اليدوية الخشبية. بذلك، تعتبر شجرة الزيتون كنزاً قومياً واقتصادياً لسكان فلسطين منذ فجر التاريخ وحتى الوقت الحاضر. بحسب الاستراتيجية الوطنية لقطاع الزيتون في فلسطين (2014-2019) فإن الزيتون يشكل ما يقارب النصف من مساحة الأراضي الزراعية في فلسطين و85% من مساحة أشجار البستنة. توضح ذات الدراسة أن ما يقارب 100 ألف عائلة فلسطينية تعتمد بشكل مباشر أو غير مباشر على زراعة أشجار الزيتون ومنتجاتها.[30] كل ذلك جعل من شجرة الزيتون تشكل عماد وشريان حياة للاقتصاد الفلسطيني على مر التاريخ، وذهبه الأخضر.

لا يمكن تجاهل الأثر القومي والاجتماعي والروحي لشجرة الزيتون في تشكل الهوية الفلسطينية. تعتبر هذه الأشجار جزءاً من التراث العائلي الفلسطيني، فهي موروث يتناقل عبر الأجيال وتحكي قصصاً عن الأجداد والأبناء. يمكن النظر إليها كرمز لحياة العائلة الفلسطينية التي يجتمع أفرادها سنوياً لقطف الثمار وعصر زيتها ومشاركته مع الأخرين. تتناقل التقاليد الفلسطينية قصصاً وعادات جمة لها علاقة بالزيتون وزيته لما له من فوائد صحية في الطعام، وأيضاً يستخدم لدهن جسد الأطفال والكبار على حد سواء. في حقيقة الأمر، إن أهمية شجرة الزيتون للشعب الفلسطيني جعلت بعض الفنانين في بدايات القرن العشرين يقترحون إضافة غصن الزيتون على العلم المستقبلي للدولة الفلسطينية انعكاساً لإيمانهم برمزيتها في تاريخهم وتراثهم.[31]

إن شجرة الزيتون وزيتها جزءٌ عريق من التراث الروحي، كما تم توضيح ذلك سابقاً من العهد القديم والجديد، والليتورجيا الكنسية. اعتمدت الكنائس الفلسطينية عبر الزمن على زيت الزيتون لإيقاد قناديل الكنائس، وفي مسحة الميرون في المعمودية، ومسحة المرضى. كما أن العارف بتاريخ الليتورجيا يدرك ارتباط موسم حصاد الزيتون بموسم المطر المبكر في العهد القديم،[32] بالتقاليد الكنسية والسنة الطقسية، بالإضافة إلى التقليد الشفوي المتناقل من جيل لأخر، سيلحظ ارتباط موسم الزيتون بعيد الصليب. بناءاً على كل ما سبق، إن ارتباط الإنسان

---

[28] بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم** (جمعية الكتاب المقدس والمكتبة البولسية: لبنان، 2003)، 629.

[29] "شجرة الزيتون عبر التاريخ،" **وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية -وفا.** https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=8416

[30] الاستراتيجية الوطنية لقطاع الزيتون في فلسطين (2014-2019)، وزارة الزراعة، **وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا**، https://info.wafa.ps/userfiles/server/pdf/olive_2014-2019.pdf

[31] كان الفلسطينيون في زمن الاستعمار البريطاني يخططون لوضع غصن الزيتون على علم الدولة الفلسطينية المزمع قيامها، بالإضافة إلى اللون البرتقالي الذي يرمز إلى برتقال يافا الشهير.

[32] عيسى دياب، **العهد القديم عالمه وتحدياته**، العهد القديم: مدخل ومسح شامل – جزء 1 (لبنان: دار منهل الحياة، 2014)، 90-91.

الفلسطيني بشجرة الزيتون له أبعاد شمولية غير قابلة للتجزئة، فهو/هي يعانق الزيتون ويلتحف زيته روحياً واجتماعياً واقتصادياً وطقسياً.

3.2. الحرب الاستعمارية الإسرائيلية على شجرة الزيتون

حمل الفلسطينيون غصن الزيتون مراراً وتكراراً على مدى قرون من الزمن كرمز للسلام. في ظل الحرب الاستعمارية الإسرائيلية على كل ما هو فلسطيني، لم تسلم حتى أشجار الزيتون من القتل والدمار. أراد المستعمر الإسرائيلي قتل شجرة الحياة، وسلب الفلسطينيين حياتهم. وعلى الرغم من ذلك، يستمر الفلسطينيون في حمل ما تبقى من أغصان الزيتون تعبيراً على الرغبة في السلام العادل والحقيقي. في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة خاطب ياسر عرفات، الرئيس الفلسطيني الراحل، شعوب العالم داعياً للسلام مستخدماً غصن الزيتون كدلالة قائلاً "لا تسقطوا غصن الأخضر من يدي،"[33] هكذا عبر عن استياءه من تجاهل المستعمر الإسرائيلي لدعوات السلام الفلسطينية. لا يمر يوماً دون أن تقوم قوات المستعمر العسكرية والمستوطنين من حرق واقتلاع أشجار زيتون ترعاها وتعتاش منها عائلات فلسطينية.

حسب الأرقام الواردة في الوكالة الرسمية الفلسطينية للأنباء فإن تقارير الأمم المتحدة للتنمية والتجارة توضح اقتلاع المستعمر الإسرائيلي نحو ثمانمئة ألف شجرة زيتون عام 1967. تذكر إحصاءات معهد أريج أن "سلطات الاحتلال اقتلعت بين عامي 1993-2020، 639683 ألف شجرة، وخلال عام 2020 جرى تقطيع وتجريف ومصادرة وحرق 9379 شجرة مثمرة في الضفة الغربية، أكثر من 80% منها أشجار زيتون."[34] تقدم تلك التقارير صورة متواضعة عن حرب استعمارية ممنهجة ضد أشجار الزيتون الفلسطينية. إن المتابع للأخبار في الأراضي الفلسطينية سيلحظ أن هجمات المستعمر والمستوطنين تشكل حدثاً يومياً ومنتظماً.[35] تشتد تلك الهجمات خلال موسم قطف الزيتون في محاولة لحرمان الفلسطينيين من ثمار أشجارهم. كما تحدد سلطات الاحتلال من إمكانية وصول المزارعين إلى أراضيهم في ذلك الموسم. إن هذه السياسات

---

[33] "خطاب ياسر عرفات في الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٤،" **قناة الغد**، نشر ١١ تشرين الثاني ٢٠٢١ متاح على https://www.youtube.com/watch?v=pHs87DeSWN4

انظر/ي ايضاً خطابه عام ١٩٨٨ مسجل في محضر اجتماع الجمعية العامة في جينيف.

"General Assembly Provisional Verbatim Record Of The Seventy-Eighth Meeting," *United Nations,* 13 December 1988, available via https://www.un.org/unispal/document/auto-insert-181060/

[34] زهران معالي، "الحرب على الأشجار.. أرقام وحقائق"، **وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا**، 4 فبراير 2021، https://www.wafa.ps/Pages/Details/17272

[35] راجع "الشجرة المظلومة"... الاحتلال يكثف عمليات اقتلاع الزيتون"، **قدس**، 10 يناير 2021، متاح على https://qudsn.net/post/181570/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B8%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%84-%D9%8A%D9%83%D8%AB%D9%81-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%88%D9%86

وبعض مقالات من بتسيلم، https://www.btselem.org/taxonomy/term/160

الاستعمارية والإرهاب المنظم ضد الفلسطينيين وأشجار الزيتون يستهدف قتل الاقتصاد ي والحياة الفلسطينية.

4. لاهوت شجرة الحياة والزيتون

تعتبر أشجار الزيتون رمزاً للحياة التي منحها ويمنحها الله للإنسان الفلسطيني وسكان فلسطين التاريخية. كما أوضحت أنفاً عن أهميتها التاريخية والاقتصادية والروحية في صقل تعلق الفلسطيني/ة بشجرة الزيتون. في حقيقة الأمر، لقد أضحت شجرة الزيتون مثالاً عن قصة الفلسطيني/ة ومعاناته/ا وصموده/ا أمام الاستعمار. في قرية الولجة جنوب غربي مدينة القدس، تحكي أقدم شجرة زيتون في العالم رواية صمود وحياة.[36] خلال زيارتي لموقع الشجرة، يقول صلاح أبو علي أن تلك الشجرة كفردٍ من أفراد عائلته، حتى أنه يعطي غصونها الجديدة أسماء عاقلة. أحدث تلك الغصون عمره 3 سنين وأسمه إبراهيم على اسم أبنه الأخير. إن شجرة الزيتون للفلسطيني/ة إنما هي كائن حي عاقل، وكأنها إنسان. لا يفهم المستعمر ذلك، بينما يؤمن به يقيناً الفلسطيني صاحب الأرض الأصلي الذي يحمل إرث تمتد جذوره إلى عصور غابرة في التاريخ. يخاطب الفلاح الفلسطيني شجرة الزيتون كما يخاطب أولاده وبناته مدركاً أنها تسمع كلماته لها.

ما بين محتل مستعمر يقتلع ويقتل، وفلسطيني يزرع، يتمسك، ويتحدث إلى شجرة الزيتون نستطيع أن نرى الفرق بين المعتدي وصاحب الأرض. إن صورة المرأة التي تعانق شجرة زيتون قد اقتلعتها لتوها أليات المحتل (أنظر الصورة التالية)، تتعانق مع الذاكرة الفلسطينية وتحكي

[36] "عمرها 5 آلاف سنة.. تعرف على أقدم شجرة زيتون في فلسطين"، **الجزيرة**، 14 نوفمبر 2019، متاح على https://www.aljazeera.net/news/miscellaneous/2019/11/14/%D8%B4%D8%AC%D8%B1%D8%A9-%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%88%D9%86-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%A5%D9%86%D8%AA%D8%A7%D8%AC-%D8%B2%D9%8A%D8%AA%D9%88%D9%86-%D8%A3%D9%83%D8%A8%D8%B1

رواية الحب والحياة التي يعيشها الإنسان الفلسطيني مع زيتونته. بناءاً على ذلك الإرث الذي يحمله الإنسان الفلسطيني باعتبار شجرة الزيتون على أنها شجرة حياة يمكن صياغة لاهوتاً على خمس قوائم:

4.1. شجرة الحياة المشتركة

تطعم أشجار الزيتون من خيرها كل إنسان يقصد ثمرها. فلا تمييز بين إنسان وأخر، إنما تعبر عن قدرتها لمشاركة خيرها مع الجميع. وكما أنها تجمع الكل تحت ظلالها وحول مائدة طعام من خيرها، هكذا هي تعبر عن قدرة الإنسان للحوار والسعي للعيش المشترك. يعتبر عن ذلك جريس خوري بقوله إن الحوار لا ينبغي أن يكون حول أفكار مجردة، بل "حوار الحياة اليومية والعيش المشترك."[37] إن العيش المشترك يشمل الكل، الفلسطيني المسلم والمسيحي والدرزي واليهودي على حدٍ سواء. يقدم الكتاب المقدس صورة مميزة عن الحياة والعيش المشترك. يكتب الرسول بولس عن ذلك شجرة الزيتون البرية والأغصان المطعمة التي تتشارك ذات الأصل والدسم بوضوح في رومية 11.[38] على الرغم من التفسيرات الإقصائية والتفضيلية التي يتبعها بعض المفسرين المحافظين لكلمات بولس، فإن شجرة الزيتون البرية وتلك الفروع التي طعمت فيها تعطي تصوراً جميلاً عن الحياة والعيش المشترك بين الشعوب التي تشارك في أصل الشجرة ودسمها. يستكمل الكتاب المقدس في خط تلك الرؤيا للحياة والعيش المشترك في الخليقة الجديدة حيث يجتمع البشر من كل قبيلة وشعب ولسان يجتمعون أمام المحضر الإلهي في تناغم يدل على الحياة الأبدية المشتركة (رؤيا 5: 9). وإن كنا ننتظر وننظر بشوق لتلك اللحظة، إلا أننا كأبناء الله مدعون للعمل في عالمنا اليوم والأن للتمتع بالعيش المشترك الذي يمجد الله.

4.2. شجرة السلام والمقاومة السلمية

عبر غصن الزيتون عن السلام بين الله والإنسان بعد الطوفان. يستمر استخدام غصن الزيتون كرمزٍ للسلام. سلام مع العدو ومع الشريك، وكلاهما القريب كما يعلم السيد المسيح. إن غصن الزيتون يجب أن يبقى دافعاً للعمل من أجل سلام مبني على العدالة. فأي سلام لا يقوم على العدل هو منقوص ولا يقود إلى مصالحة حقيقة وحياة أبدية. يدعونا السيد المسيح لأن نكون صناع سلام (متى 5: 9)، لا حافظوا سلام. صنع السلام يثبت بالعدل، أما حفظ السلام فهو يتقبل حالة اللاحرب. صناعة السلام تتطلب البسالة وتتوجب مسؤولية حمل لقب البنوية الإلهية. صناع السلام هم أبناء الله، "سبحانه هو السلام."[39] كما ينطوي على صناعة السلام واجباً نبوياً في مواجهة الظلم بأساليب سلمية ومبدعة، لا على الرد عن الشر بشر أخر. تؤكد

---

[37] خوري، "لاهوت شجرة الزيتون"، 76.

[38] تعتبر إصحاحات ٩-١١ من رسالة رومية من المقاطع التي اثارت الجدل بين المفسرين. كما أن البعض فسرها لدعم الصهيونية. لتفسير متخصص، انظر/ي، يوحنا كتناشو، **رومية ٩-١١ في السّياق الفلسطيني** (٢٠٢٠).

[39] ميشيل صباح، "المقاومة السلمية في فلسطين: نظرة فلسطينية مسيحية حول المقاومة السلمية" في **مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني**، تقديم وتحرير منذر إسحق (بيت لحم: ديار، 2017)، 146.

وثيقة كايروس فلسطين على مشروعية المقاومة السلمية الفلسطينية القائمة على "منطق المحبة" والتي بدورها "مقاومة مبدعة."[40]

4.3. شجرة شفاء

كما عبر غصن الزيتون عن السلام بعد الطوفان، كذلك أيضاً عن الخليقة الجديدة والشفاء الكامل. يقدم سفر الرؤيا صورة جميلة عن شجرة الحياة التي يأتي منها شفاء لكل الأمم (رؤيا 22: 2). إن شجرة الزيتون وزيتها لطالما كانا رمزاً لذلك الشفاء الإلهي الذي ينعم به الله للإنسان والأرض. ينبغي أن ننظر للشفاء ليس كأمر جسدي فقط، إنما أيضاً في إطار العلاقات البشرية والسياسية. إنها تشفي الشعوب الجريحة من الظلم، والشعوب الظالمة من أثار خطيئتها. علاوة على ذلك، إن الشفاء يتطلب شجاعة تخطي حدود العرقية والدين لمد يد المعونة للأخر. جميلٌ هو مثال السيد المسيح عن السامري الصالح (لوقا 10: 25-36) الذي يصب زيت الشفاء على الإنسان المضروب الجريح المتروك.

4.4. شجرة الصمود

تنمو أشجار الزيتون على الرغم من الظروف الطبيعية القاسية وتستطيع الاستمرار في الحياة لقرون عدة. إن فيها نموذجاً صريحاً عن حالة من الصمود الحقيقي. لا تستلم شجرة الزيتون أمام خريف المصاعب والظلم، بل تبقى أوراقها الخضراء المسطحة لتَعبُر عنها الريح وتغسلها أمطار الشتاء من غبار الصحراء. وفي سياق ظلم الاستعمار، إن لذلك دلالة على أن المستعمرين هم مجرد عابرين، بلا جذور ليطرحوها في الأرض. سوف يرحلون لتبقى أشجار الزيتون صامدة. وجذورها في الأرض أعمق من جذور المستعمر، وما اختبرته على مر قرونٍ من الزمن يجعلها تؤمن أنه سوف يرحل وتبقى هي. في ذلك أيضاً تصوراً عن شجرة الحياة في سفر الرؤيا التي تعبر عن حالة من الصمود، فكل إمبراطوريات العالم الظالم قد رحلت، أما هي فقد بقت وصمدت وخلدت في المحضر الإلهي العادل.

4.5. شجرة الرجاء

من الصعب قتل شجرة الزيتون، فهي قادرة على القيامة من الموت. تنبت براعم صغيرة من تلك الأشجار المقطوعة، تعبيراً عن ميلاد الحياة والرجاء من رحم الألم والموت. لذا، إن حاجتنا إلى لاهوت شجرة الحياة مدفوعاً بالتمسك بالرجاء. يكتب جريس خوري عن اللاهوت المحلي أنه "الوحيد الذي يمنح الحياة والأمل والمستقبل للمسيحيين الفلسطينيين."[41] أردف على ذلك، أنه يعطي كل ذلك أيضاً لكل سكان الأرض من كافة الأديان والأعراق. إن الأرض الفلسطينية معتمرة بأشجار الحياة التي تغذي الرجاء في غدٍ يسود فيه السلام والعدالة والحياة.

---

[40] **كايروس فلسطين: وقفة حق** 3-2-4، متاح على https://www.kairospalestine.ps/sites/default/files/Arabic.pdf

[41] خوري، "لاهوت شجرة الزيتون"، 80.

كلمة ختامية

إن ارتباط الفلسطينيين والفلسطينيات بأشجار الزيتون يتجاوز أهميتها الاقتصادية لكينونتها الروحية والتاريخية. إن شجرة الزيتون هي جزء أساسي من التراث الحضاري والروحي لسكان فلسطين منذ ألاف السنين. النظر لها من منظور لاهوتي يقود لاستخلاص أنها شجرة الحياة المذكورة في الكتاب المقدس لما لها من خصائص عضوية واستخدامات طقسية. إنها في ذاتها تشكل مصدر إلهام للإنسان المسيحي والفلسطيني للصمود والسعي للسلام، والتعايش مع الأخر. إن لها رسالة نبيلة تستند على إرسالية الكتاب المقدس للمسيحيين والمسيحيات الفلسطينيين/ات بأن يكونوا شفاءً لهذه الأرض وسكانها. أن يصمدوا/ن متجذرين/ات في هذه الأرض، نوراً فيها مشتعلاً بزيت زيتوناً لا ينبض.

إحياء المسيحية الفلسطينية
تطورات اللاهوت الفلسطيني

إليزابيث أس. مارتين
جامعة لودفيج ماكسيميليان في ميونيخ

الملخص:

يشكل المسيحيون الفلسطينيون أقلية لا تتجاوز 1% أو 2%، في سياق يتسم بالصراع والطرد والهجرة المستمرة. ورغم كل هذا، قدم المسيحيون الفلسطينيون مساهمة كبيرة للمجتمع في مجالات السياسة والفنون والعلوم والرعاية الاجتماعية. علاوة على ذلك، كان سياق النضال الفلسطيني منذ ثمانينيات القرن العشرين فصاعدا، مصدرا لظهور لاهوت سياقي ملتزم اجتماعيا وسياسيا. يحلل هذا المقال تطور اللاهوت السياقي الفلسطيني، من خلال دراسة الكتابات اللاهوتية لعلماء اللاهوت الفلسطينيين. كما يتناول بعض الموضوعات اللاهوتية السائدة، مثل التحرير، والمصالحة، والشهادة، والمسكونية، والحوار بين الأديان. إن ما يجمع بين هذه الكتابات هو الانخراط اللاهوتي في الهوية المسيحية الفلسطينية في سياق الصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

الكلمات المفتاحية: اللاهوت السياقي، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، لاهوت كايروس، المسيحية الفلسطينية، اللاهوت الفلسطيني، اللاهوت العام.

إحياء المسيحية الفلسطينية
التطورات في اللاهوت الفلسطيني

1. الصحوة المسيحية العربية:

يشعر المسيحيون الفلسطينيون بأنهم متجذرون بعمق في المجتمع الفلسطيني.[42] إنهم يفهمون أنفسهم كجزء من المجتمع الفلسطيني، ويساهمون بنشاط في ازدهاره. تهدف هذه المقالة إلى بيان كيف تبنى المسيحيون الفلسطينيون دعوتهم، "في خدمة المجتمع" على حد تعبير البطريرك الفخري ميشيل صباح.[43] إن البطريرك ميشيل صباح، المولود في الناصرة عام 1933، تم تكريسه في 6 كانون الثاني عام 1988، من قبل البابا يوحنا بولس الثاني، كأول بطريرك كاثوليكي في القدس. وكان هذا حدثا مهما في التاريخ الحديث للكنيسة الفلسطينية، حيث سلط الضوء على توطين الزعامة الدينية في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وقد نجح هؤلاء القادة الدينيون الفلسطينيون (وغيرهم من القادة الدينيين العرب) في رفع أصواتهم تدريجيا في موضوعات، مثل الظلم، والسلام، والاحتلال، وشجعوا مجتمعاتهم الدينية على عدم فقدان الأمل. وقد مهد هذا التطور في توطين الفكر الديني الفلسطيني، الطريق لظهور تيار محدد من الفكر اللاهوتي، فضلا عن الشعور بالمسؤولية العامة بين رجال الدين والعلمانيين في الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية.

ولم يمض وقت طويل بعد تولي ميشيل صباح منصبه كبطريرك للاتين في القدس، حتى نشر رسالته الرعوية الأولى في 15 آب 1988، وقد شجع فيها المؤمنين على "إعلان رسالة الإيمان وفقا لإرادة الله: إن تنفيذ مهمتنا يعني خدمته وخدمة إخواننا البشر".[44] بهذه الكلمات، عبر صباح عن موضوع لاهوتي فلسطيني محدد يمكن تسميته "إحياء المسيحية الفلسطينية": فقد بدأت صحوة روحية ومجتمعية وسياسية للكنيسة الفلسطينية في سبعينيات القرن العشرين، والتي حولت الكنائس المحلية إلى قوة مهمة للتغيير الاجتماعي والسياسي.

هذا الإحياء هو جزء من "صحوة مسيحية" أطول وأكثر تدرجية في الشرق الأوسط، بدأت في القرن التاسع عشر، واستمرت على مدار القرن العشرين. وكانت في حد ذاتها نتيجة لتحديات الحرب والنزوح والهجرة، والتدخل الأوروبي، والتطرف الديني الشامل في الشرق الأوسط. وقد جد المسيحيون العرب في هذا السياق، فرصا للمساهمة في التغيير الاجتماعي والسياسي. وكان

---

[42] هذه المقالة هي نسخة محدثة من: إليزابيث مارتين، "إحياء المسيحية الفلسطينية: التطورات في اللاهوت الفلسطيني"، *Exchange* 49/3-4 (2020)، 77- 257. https://doi.org/10.1163/1572543X-12341569. تم منح الإذن بإعادة استخدام هذه المقالة وترجمتها من قبل بريل.

[43] ميشيل صباح، الرسالة الرعوية الأولى "إيماننا في الأرض المقدسة"، القدس 15 آب 1988، الفقرة 45. https://www.lpj.org/storage/2023/12/14/1st-pastoral-letter-of-michel-sabbah-1591181230-docx.pdf (شوهد في أيار 2024). للاطلاع على فيلم وثائقي عن سيرة البطريرك الفخري ميشيل صباح، أنظر: بطريرك الشعب: تأملات مع البطريرك، من إنتاج وإخراج ليلي حبش ومحمد العطار، 2020. للاطلاع على مجموعة مختارة من رسائله الرعوية وخطبه، أنظر: ميشيل صباح، الشاهد الأمين: حول المصالحة والسلام في الأرض المقدسة، تحرير درو كريستيانسن. هايد بارك: دار نشر نيو سيتي، 2009.

[44] صباح، الرسالة الرعوية الأولى، الفقرة 5.

الرواد المسيحيون في الفكر القومي العربي أثناء النهضة العربية في سوريا العثمانية،[45] خير مثال على ذلك. كان بين هؤلاء بطرس البستاني (1819-1883)، وهو ماروني تحول إلى البروتستانتية، وكذلك الأب والابن الكاثوليكيين الملكيين ناصيف اليازجي (1800-1871) وإبراهيم اليازجي (1847-1906)، والسياسي والدبلوماسي القبطي الأرثوذكسي في مصر، بطرس بطرس غالي (1922-2016)، كأحدث نموذج للمسيحي العربي ذي النفوذ الاجتماعي والسياسي، حيث شغل منصب الأمين العام للأمم المتحدة من عام 1992 إلى عام 1996.

وقد ظهر المسيحيون العرب بشكل مؤثر أيضا في المجال العام، والمشاركة في الفنون والعلوم. يُسمع على سبيل المثال، صوت المغنية الأرثوذكسية اللبنانية فيروز (مواليد 1935) بانتظام في البث الإذاعي في جميع أنحاء بلاد الشام. وولد الناقد الأدبي إدوارد سعيد (1935-2003) في عائلة فلسطينية أنجليكانية، وكان أحد أكثر المفكرين تأثيرا في الدراسات الحديثة، وهو معروف بنظريته في الاستشراق.[46] كما كان للمسيحيين العرب تأثير في مجال النهضة الاجتماعية، من خلال تطور الصحافة في لبنان ومصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ناهيك عن تأثيرهم في مجالات التعليم والرعاية الصحية، ويرجع ذلك أساسا إلى اتصالهم بالعمل الإرسالي الغربي.[47]

تناقش هذه المقالة الخطاب الشائع والمتشائم إلى حد ما حول المسيحيين في الشرق الأوسط. إذ يبدو أن موضوعات المعاناة والاختفاء الوشيك للمسيحية في الشرق الأوسط، تهيمن على كتابات المؤرخين، مثل الفرنسي جان بيير فالون، والأمريكي فيليب جنكينز، ولكنها ظهرت أيضا في أعمال كتّاب أكثر شهرة مثل الاسكتلندي ويليام دالريمبل.[48] يعيش المسيحيون في الشرق الأوسط، بما في ذلك المسيحيون الفلسطينيون، في ظروف هشة مع انخفاض أعدادهم. وتكشف إحصائيات "قاعدة بيانات المسيحيين في العالم" أن المسيحيين يشكلون

---

[45] تم استخدام نظام المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط (IJMES) في الترجمة الحرفية في هذه المقالة. وتم استخدام علامات التشكيل للمصطلحات المنقولة، وتم وضع جميع المصطلحات العربية بخط مائل في النص، باستثناء أسماء الأشخاص والأماكن والمنظمات. وتم استخدام اللفظ الإنجليزي للأماكن التي لها اسم واضح باللغة الإنجليزية، مثل Jerusalem (بدلا من القدس). بالنسبة لأسماء الأشخاص، تم احترام طريقة كتابة أسمائهم المفضلة.

[46] إدوارد سعيد، الاستشراق. لندن: كتب بنغوين، 2003 (1978). ولد سعيد لعائلة بروتستانتية، وحدد نفسه كعلماني إنساني. ومع ذلك، كان سعيد المتحدث الرئيس خلال المؤتمر الدولي الأول لمركز السبيل في معهد الطنطور المسكوني في القدس عام 1990، وهو حدث موجه للمسيحيين بصورة خاصة (سيتم الإشارة إليه لاحقا في هذه المقالة).

[47] أنظر، على سبيل المثال: دينا فيري ووماك، البروتستانت والنوع الاجتماعي والنهضة العربية في نهاية الفترة العثمانية في سوريا. (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، 2019)؛ ديفيد جرافتون، الأصول المتنازع عليها للكتاب المقدس العربي لعام 1865: مساهمات في النهضة في القرن التاسع عشر (ليدن: بريل، 2016)؛ هيذر شاركي، "المبشرون الأمريكيون، والكتاب المقدس العربي، والإصلاح القبطي في مصر في أواخر القرن التاسع عشر"، في: المبشرون الأمريكيون والشرق الأوسط: لقاءات تأسيسية، تحرير: محمد علي دوغان وهيذر شاركي (سولت ليك سيتي، يوتا: مطبعة جامعة يوتا، 2011)، 237-259؛ هيذر شاركي، الإنجيليون الأمريكيون في مصر: لقاءات تبشيرية في عصر الإمبراطورية (برينستون: مطبعة جامعة برينستون، 2008)؛ قسطندي شوملي، "المسيحيون الفلسطينيون: السياسة والصحافة والهوية الدينية 1900-1948"، في: التراث المسيحي في الأرض المقدسة، تحرير: أنتوني أوموني، ويوران جونر وكيفورك هينتليان (لندن: سكوربيون كافنديش المحدودة، 1995)، 225-236.

[48] جان بيير فالون، حياة وموت المسيحيين في الشرق الأوسط: منذ القدم حتى اليوم. (باريس: فايارد، 1994)؛ فيليب جنكينز، التاريخ المفقود للمسيحية: العصر الذهبي للكنيسة في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا على مدى ألف عام - وكيف ماتت (أكسفورد: ليون هدسون بي إل سي، 2008)؛ ويليام دالريمبل، من الجبل المقدس: رحلة في ظل بيزنطة. (لندن: هاربر برس، 1998).

0.8% من سكان الأراضي الفلسطينية و2.1% من سكان إسرائيل.[49] ويعيش هؤلاء المسيحيون الفلسطينيون كأقلية صغيرة في سياق يتسم بالصراع المسلح والأيديولوجي، والطرد والهجرة المستمرة. ويعاني المسيحيون الفلسطينيون من الصراع الإسرائيلي الفلسطيني - وكمسيحيين في الشرق الأوسط بشكل عام - من صعود الجماعات الإسلامية المسلحة. وعلاوة على ذلك، يعيش حوالي نصف السكان الفلسطينيين خارج حدود فلسطين التاريخية لعام 1948،[50] مع نسب أعلى بين المسيحيين الفلسطينيين، حيث يعيش ما بين 70% إلى 90% منهم في الشتات.[51] ونتيجة لذلك، غالبا ما يتم تصنيف المسيحيين الفلسطينيين على أنهم "شكل مهدد من المسيحية"، أو "جيران مسيحيون للمسلمين"، أو "أقلية بحاجة إلى المساعدة (من الغرب)".[52]

ورغم الاعتراف في هذه الدراسة بالوضع القاسي الذي يعيشه المسيحيون الفلسطينيون، فإنها تهدف إلى إظهار كيف نجح المسيحيون الفلسطينيون في إحداث نهضة، ولعبوا دورا مهما في خلق مجتمع قائم على مبادئ العدالة والسلام والمصالحة. وتركز هذه الدراسة بشكل خاص على دور اللاهوت السياقي الفلسطيني العام، كما ينعكس في الأعمال اللاهوتية الفلسطينية. ولذلك، يقدم الجزء الأول من النص التطورات التاريخية واللاهوتية منذ ثمانينيات القرن العشرين، ويستعرض الجزء الثاني مجالات اللاهوت الفلسطيني. وتسعى هذه الدراسة أيضا إلى تقديم نظرة عامة على اللاهوت الفلسطيني، وتتميز عن العروض السابقة بإعطاء الأولوية للتطورات السياقية في الكنائس المحلية المختلفة، التي ساهمت في النهضة المذكورة أعلاه. وأرى أنه من الأفضل دراسة التطورات اللاهوتية في سياقها الأوسع والأكثر شمولا، بدلا من اتباع نهج أكثر تعدادا ومنهجية، يركز فقط على وجهات نظر موضوعية مثل التحرير، والكتاب المقدس، والصراع الإسرائيلي الفلسطيني، أو تأثير علماء اللاهوت الفلسطينيين البروتستانت/الإنجيليين.[53] في حين أجرى المؤلف مقابلات مع جميع علماء

---

[49] تود جونسون وجينا زورلو (محرران)، قاعدة بيانات المسيحيين العالمية (ليدن وبوسطن: بريل، شوهدت في تشرين أول 2023).

[50] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فلسطين في أرقام 2023 (رام الله، 2024)، 18.

https://www.pcbs.gov.ps/Downloads/book2693.pdf (شوهد في أيار 2024).

[51] قدر عالم الاجتماع الفلسطيني برنارد سابيلا أن 72٪ من المسيحيين الفلسطينيين يعيشون في الشتات، أنظر: برنارد سابيلا، "الهجرة المسيحية الفلسطينية والعربية: مبادرات الكنيسة ومواقف أوروبا والتأمل من خلال السياق الفلسطيني"، في: المسيحيون الفلسطينيون: الهجرة والنزوح والشتات، تحرير متري الراهب (بيت لحم: ديار، 2017)، 63. ولقد أظهرت في بحثي الخاص بين المسيحيين في قرية الطيبة في وسط الضفة الغربية (2016-19)، أن 90٪ من سكان القرية يعيشون في الشتات. إليزابيث مارتين، بين الأنقاض والبقايا: إعادة البعث الديني والتجديد بين المسيحيين في الضفة الغربية وفلسطين، أطروحة دكتوراه (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، 2022).

[52] انظر أيضا: آمال بشارة، " المسيحيون في الأرض المقدسة"، مشروع أبحاث ومعلومات الشرق الأوسط 2/43 (2013)، 7-14؛ متري الراهب، سياسات الاضطهاد: المسيحيون في الشرق الأوسط في عصر الإمبراطورية (واكو: مطبعة جامعة بايلور، 2021).

[53] لمزيد من المعلومات بأسلوب أكثر منهجية، أنظر على سبيل المثال: رفيق خوري، "اللاهوت السياقي الفلسطيني: دراسة عامة"، في: اللاهوت المسيحي في السياق الفلسطيني، تحرير رفيق خوري وربنر زيمر-فينكل (برلين: دار أفوريسم أ فيرلاغ، 2019)، 9-46. وقد أكد علماء آخرون على جانب واحد فقط من اللاهوت الفلسطيني. وحول لاهوت التحرير الفلسطيني، أنظر: أتاليا عمر، "صرخة الحجارة المنسية: وعد وحدود لاهوت التحرير الفلسطيني كطريقة لبناء السلام"، مجلة الأخلاق الدينية، 43:2 (2015)، 369-407؛ صمويل كوروفيلا، المسيحية الراديكالية في فلسطين وإسرائيل: التحرير واللاهوت في الشرق الأوسط (لندن / نيويورك: آي بي توريس وشركاه المحدودة، 2013)؛ لورا سي روبسون، "لاهوت التحرير الفلسطيني والعلاقات الإسلامية المسيحية والصراع العربي الإسرائيلي"، الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية 1/21 (2010)، 39-50. وحول الكتاب المقدس، أنظر: لانس ليرد، "لقاء يسوع مرة أخرى في المقام الأول: المسيحيون الفلسطينيون والكتاب المقدس"، تفسيرات 4/55 (2001)، 400-12؛ جانيكه ستيغمان، "تذكر الأرض: إرميا 32 في السرد والهوية الفلسطينية"، تاريخ الكنيسة المعاصرة، 1/26 (2013)، 41-54. حول الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، أنظر: آلان

اللاهوت الفلسطينيين المذكورين أدناه، فإن هذه المقالة هي دراسة أدبية، وتعتمد في المقام الأول على المنشورات اللاهوتية الفلسطينية، وخاصة ولكن ليس حصريا، تلك المنشورة باللغة الإنجليزية.

2. ظهور اللاهوت الفلسطيني:

يمكن تعريف اللاهوت السياقي بأنه "محاولة لفهم الإيمان المسيحي من خلال سياق معين".[54] يرى عدد من المؤلفين الكاثوليك مثل ستيفن بيفانز، وروبرت شرايتر، أن السياق هو في صميم اللاهوت. إضافة إلى المكانين الكلاسيكيين للكتاب المقدس والتقاليد، يضيف اللاهوت السياقي مصدرا لاهوتيا ثالثا، وهو مكان التجربة الإنسانية أو السياق. في تأملاته حول ولادة اللاهوت الفلسطيني، يقول الأب رفيق خوري (مواليد 1943)، - وهو لاهوتي فلسطيني وكاهن في البطريركية اللاتينية في القدس،- إن اللاهوت الفلسطيني تطور بالفعل من التجربة إلى التأمل، ومن "الفكر المسيحي" العام إلى مجموعة جيدة الصياغة من "اللاهوت السياقي".[55] فقد دفعت الأحداث الأخيرة في النصف الثاني من القرن العشرين، كالحرب والتهجير والتدخل الاستعماري، المسيحيين الفلسطينيين إلى طرح أسئلة حول هويتهم. وعلى حد تعبير الأب رفيق خوري:

بدأ الأمر من القاعدة، على مستوى القاعدة الشعبية، بين أولئك الذين كانوا يعيشون المأساة يوميا. بدأ الأمر على شكل أسئلة يطرحها هؤلاء الناس على أنفسهم تلقائيا: من نحن؟ ما معنى وجودنا في الأرض المقدسة؟ ما هي هويتنا؟ ما هي دعوتنا ورسالتنا وشهادتنا؟ ماذا يعني أن نكون مسيحيين فلسطينيين عربا هنا والآن؟ من أين أتينا؟ ما هي جذورنا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ ما هي الأسئلة التي تطرحها مأساة شعبنا الفلسطيني أمام ضميرنا المسيحي؟ ما هو موقفنا؟ ما هو توجهنا؟ ما هي أصالة مساهمتنا في نضال الشعب الفلسطيني؟ ... والعديد من الأسئلة الأخرى إلى جانب ذلك.[56]

بالنسبة لبعض علماء اللاهوت الفلسطينيين، زرعت بذرة التأمل اللاهوتي أثناء النكبة، في إشارة إلى حرب عام 1948، عندما فر أكثر من 700 ألف لاجئ عربي أو طُردوا من قراهم. كان لهذا النزوح القسري عواقب مدمرة على مستويات مختلفة من الوجود البشري

إيب ويفر، السكن في الأرض: التفكير اللاهوتي في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي (يوجين: كتب كاسكيد، 2018)، 46-68؛ حول اللاهوتيين البروتستانت/الإنجيليين: يوحنا كتناشو، "الاستجابات اللاهوتية البروتستانتية الفلسطينية لعالم يتسم بالعنف"، علم الإرساليات: مراجعة دولية، 3/36 (2008)، 289-305. وهناك دراسات أخرى عن اللاهوت الفلسطيني من الأوساط الأكاديمية الألمانية: هارالد سورمان، بين الهلال ونجمة داود: اللاهوت المسيحي في فلسطين اليوم (فرايبورغ إم بريسغاو: هيردر، 2001)؛ أوه غرابي، اللاهوت الفلسطيني السياقي. مساهمة مثيرة للجدل والخلاف في الحوار المسكوني والحوار بين الأديان) (إرلانجن: دار نشر إرلانجن للرسالة والمسكونية ، 1998).

[54] ستيفن بيفانز، نماذج اللاهوت السياقي. طبعة منقحة وموسعة (ماريكنول: كتب أوربيس، 2002 (1992)، 3. وهناك عمل آخر رائد في اللاهوت السياقي: روبرت شرايتر، بناء اللاهوت المحلي (لندن: مطبعة إس سي إم، 1985).

[55] رفيق خوري، "اللاهوت السياقي الفلسطيني"، 18.

[56] المرجع السابق، 16 وما يليها.

والهوية واللاهوت.[57] كان رئيس أساقفة الروم الكاثوليك الملكيين من حيفا، يوسف رايا (1916-2005)، أول مسؤول كنسي تحدث نيابة عن ضحايا النكبة المسيحيين.[58] ناضل من أجل حقوق قريتي إقرت وكفر برعم، وهما قريتان مسيحيتان في الجليل في شمال إسرائيل، طُرد سكانهما في عام 1948، وتم هدمهما بالجرافات في النهاية في عام 1951.

ويشير علماء لاهوت آخرون إلى النكسة، حرب الأيام الستة عام 1967، باعتبارها الحدث الحاسم الذي شكل ظهور اللاهوت السياقي الفلسطيني.[59] لقد هَزمت إسرائيل جبهة مشتركة من الدول العربية، واستولت على الضفة الغربية التي يسكنها فلسطينيون (والتي كانت تحت سيطرة الأردن سابقا)، ومرتفعات الجولان (والتي كانت تحت سيطرة سوريا سابقا)، وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء (والتي كانت تحت سيطرة مصر سابقا). وقد أحدثت هذه الهزيمة موجات من الصدمة في أنحاء العالم العربي، ولكنها أدت في الوقت نفسه إلى ظهور فكر فلسطيني مستقل، سواء على المستوى السياسي أو الديني. كما غيرت أنماط التفكير العربية الأوسع نطاقا فيما يتصل بالمفاهيم الدينية، مثل العنف في العهد القديم، وعهد الله مع الشعب اليهودي، وهوية يسوع وارتباطه باليهودية. وقد تجلى هذا في أول وثيقة لاهوتية عربية رئيسة تناولت الصراع العربي الإسرائيلي بعد حرب الأيام الستة: "منظور لاهوتي للصراع العربي الإسرائيلي"، والتي كتبها مجموعة من علماء الدين اللبنانيين والسوريين.[60] وقد تم اتخاذ خطوة هامة أخرى على طريق اللاهوت السياقي الفلسطيني في العشرين من نيسان عام 1971، وذلك بإنشاء لجنة العدل والسلام/القدس التابعة لمجلس الأساقفة الكاثوليك في الأرض المقدسة، تحت لواء أساقفة الكنيسة الكاثوليكية في إسرائيل وفلسطين والأردن وقبرص.[61] وقد نشرت هذه اللجنة أول وثيقة لها في عام 1980 حول الالتزام السياسي للمسيحيين الفلسطينيين، واستمرت في إنتاج المزيد من المنشورات المتعلقة بالمجتمع المسيحي الفلسطيني.

1-2 المرحلة الأولى (1984-2000): إعطاء صوت للمسيحيين الفلسطينيين:

لم يبدأ اللاهوت السياقي الفلسطيني في اتخاذ شكله الحالي إلا في ثمانينيات القرن العشرين. نشر المطران الفخري للروم الملكيين الكاثوليك الياس شقور (مواليد 1939) في عام 1984كتاب "الأخوة بالدم: القصة الدرامية لمسيحي فلسطيني والعمل من أجل السلام في إسرائيل"، وهي مذكرات يمكن اعتبارها أول كتاب لاهوتي سياقي من تأليف عالم لاهوت

[57] على سبيل المثال، نعيم عتيق، أجرت معه إليزابيث مارتين مقابلة في القدس، 22 شباط 2018؛ إلياس شقور، أجرت معه إليزابيث مارتين مقابلة في عبلين، 19 تموز 2018. أنظر أيضا: سيدار دعيبس، "النكبة الثلاثية"، كورنرستون 66، صيف 2013، 8 وما يلها.

[58] أنظر: نعيم عتيق، لاهوت التحرير الفلسطيني: الكتاب المقدس والعدالة والصراع الفلسطيني الإسرائيلي (ماري نول: كتب أوربيس، 2017)، 124 وما يلها.

[59] على سبيل المثال، مقابلة مع رفيق خوري أجرتها إليزابيث مارتين في القدس، 28 كانون أول 2017؛ مقابلة مع ميشيل صباح أجرتها إليزابيث مارتين في الطيبة، 1 كانون أول 2017.

[60] راجع: جورج صبرا، "لاهوت"، في: رفقاء إدنبرة للمسيحية العالمية: المسيحية في شمال إفريقيا وغرب آسيا، تحرير: كينيث روس، وماريز تادرس، وتود جونسون (إدنبرة: مطبعة جامعة إدنبرة، 2018)، ص 325-34.

[61] لمزيد من المعلومات، راجع موقع الكنيسة الكاثوليكية في الأرض المقدسة: https://aocts.org/ (شوهد في أيار 2024).

فلسطيني.[62] كان شقور كاهنا شابا في عهد المطران رايا، وكان من كفر برعم، إحدى القرى المسيحية التي دمرت بعد النكبة. أنتج شقور لاهوتا سرديا؛ فقد كتب قصته الشخصية عن النزوح، وصاغ لاهوتا حول الارتباط الفلسطيني بالأرض. واستخدم أيضا في وقت لاحق هذا النوع من السرد، علماء لاهوت آخرون مثل نعيم عتيق، وأليكس عوض، ومنذر إسحاق، ومتري الراهب، الذين تتضمن أعمالهم حكايات من حياتهم الخاصة.

وكان أحد المعالم التالية في تاريخ اللاهوت السياقي الفلسطيني هو نشر كتاب "اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة" في عام 1987، من قبل مركز اللقاء في بيت لحم، والذي أسسه شخص من طائفة الروم الكاثوليك وهو جريس خوري (1952-2016) في عام 1982، وترأسه حتى عام 2016. ومنذ ذلك الحين، تولى كاثوليكي يدعى يوسف زكنون إدارة المركز.[63] تأسس مركز اللقاء كمبادرة صغيرة، لكنه سرعان ما تطور ليصبح أحد المعاهد الرئيسة من أجل اللاهوت الفلسطيني المحلي. وكانت الفكرة الأساسية وراء مركز اللقاء، هي أن الدين في الشرق الأوسط يمثل أكثر من مجرد إيمان، ويجب أن يُنظر إليه كقوة مؤثرة على الحركات الاجتماعية والسياسية. وفي رأي المؤسسين، تحتاج الكنيسة إلى فهم هويتها الخاصة، باستخدام تفسيرات اللاهوت السياقي والتعاون المسكوني، لصياغة إجابة على سؤال الهوية المسيحية الفلسطينية. وقد صُممت الوثيقة الصادرة عام 1987 لتكون بمثابة نقطة انطلاق لحركة لاهوتية محلية، واستُخدمت في أحد المؤتمرات الأولى التي عقدت في الطنطور، وهو معهد مسكوني دولي في القدس. ويخلص المؤلفون إلى أن "المهمة هي المساهمة، كل في إطار تخصصه، في بناء الكنيسة وخدمة المجتمع".[64] وهناك مطبوعة أخرى تسمى مجلة اللقاء (بالعربية منذ عام 1985 فصاعدا وباللغة الإنجليزية منذ عام 1992)، تقدم مقالات ذات دوافع اجتماعية وسياسية، كتبها علماء فلسطينيون من خلفيات متنوعة.

ومن هنا، نشأ اللاهوت السياقي الفلسطيني في الثمانينيات كمشروع ملتزم سياسيا واجتماعيا. وإنه من المثير للاهتمام، ولكن ليس من المستغرب، أن هذا يتوازى مع اندلاع الانتفاضة الأولى في 8 كانون الأول عام 1987. كان هذا وقتا شعر فيه الفلسطينيون بالتعب والإحباط والعجز بعد عشرين عاما من الاحتلال. وشعروا بالإحباط إزاء المناخ السياسي داخل كل من الحكومة الإسرائيلية والقيادة الفلسطينية. وقد تسبب هذا في أن يصبح الشعب الفلسطيني أكثر صراحة، ويستولي على زمام المبادرة من خلال إنشاء حركات شعبية جديدة؛

---

[62] إلياس شقور، أخوة الدم: القصة الدرامية لمسيحي فلسطيني من أجل السلام في إسرائيل. طبعة محدثة (جراند رابيدز: بيكر، 2003). وكان بين كتبه اللاحقة: إلياس شقور، نحن ننتمي إلى الأرض: قصة فلسطيني إسرائيلي يعيش من أجل السلام والمصالحة (نوتردام: مطبعة جامعة نوتردام، 2001)؛ إلياس شقور، الإيمان ما بعد اليأس: بناء الأمل في الأرض المقدسة. ترجمة أ. هارفي (نورويتش: مطبعة كانتربري، 2008).

[63] مركز اللقاء، الوثيقة الأساسية: اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة، الطبعة الثالثة (بيت لحم: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2015). وقد شارك في كتابة هذه الوثيقة الأساسية: الأب رفيق خوري، يوسف زكنون، عدنان مسلم، القس منيب يونان، جورج هنتليان، بيتر قمري، شكري صمبر وجريس خوري. وللمزيد من المعلومات، أنظر: مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة: اليوبيل الفضي 25، 1982-2007 (مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، 2007).

[64] اللقاء، الوثيقة الأساسية، 18.

ويمكن فهم الانتفاضتين كنوع من الثورة، واللقاء كإجابة من اللاهوت. وقد توسع هذا التطور في اللاهوت الفلسطيني بسبب توطين الزعامات الدينية في الطوائف الكاثوليكية والبروتستانتية في السبعينيات والثمانينيات. وهكذا، مع اندلاع الانتفاضة الأولى، رفع القادة الفلسطينيون أصواتهم. وبعد أقل من شهرين من الانتفاضة الأولى، في الثاني والعشرين من كانون الثاني 1988، أصدر البطاركة ورؤساء الكنائس في القدس أول بيان مشترك من بين العديد من البيانات المشتركة ضد الاحتلال الإسرائيلي. ولا تزال هذه البيانات تصدر حتى يومنا هذا.[65]

وكان التطور اللاحق في اللاهوت السياقي الفلسطيني هو ظهور لاهوت التحرير الفلسطيني. ويُنظر إلى القس نعيم عتيق (مواليد 1937)، - وهو قس أنجليكاني،- على أنه أب لاهوت التحرير الفلسطيني. فقد نشر في عام 1989 كتابه "العدالة، والعدالة فقط: لاهوت التحرير الفلسطيني"، وهو أول محاولة جادة من قبل مسيحي فلسطيني، لتقديم حجة مضادة للقراءة الصهيونية (المسيحية) للكتاب المقدس.[66] أسس نعيم عتيق بعد نشر كتابه مركز السبيل للاهوت التحرير المسكوني، والذي يقع حاليا في شعفاط، وهو حي في القدس الشرقية. وبينما كان اللقاء في الأساس لقاء بين الفلسطينيين المحليين الذين يركزون على الحوار المسكوني والحوار بين الأديان، كان مركز السبيل (رغم مخاطبته للكنيسة المحلية في البداية) متواصل دوليا، وتميزت كتابات قادته بالنشاط اللاهوتي.

ونظم مركز السبيل في عام 1990 أول مؤتمر له حول لاهوت التحرير الفلسطيني في معهد الطنطور المسكوني. وكان هناك عشرة مشاركين دوليين من جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة وأيرلندا وجنوب إفريقيا والفلبين وزيمبابوي وسريلانكا، وانضم إليهم حوالي أربعين مشاركا محليا.[67] كانت هذه بداية حركة عالمية لمجموعات تسمى أصدقاء مركز السبيل في العديد من البلدان في أمريكا الشمالية وأوروبا. وكانت جميع كتابات مركز السبيل تقريبا باللغة الإنجليزية، مما ساعد لاهوت التحرير الفلسطيني على اكتساب الاهتمام والدعم في جميع أنحاء العالم. بدأ لاهوت التحرير الفلسطيني كرد فعل على اللاهوت المسيحي الغربي حول إسرائيل. وبالتالي يمكن انتقاد الحركة لعدم وصولها بشكل كاف إلى عامة الناس الفلسطينيين. ورغم ذلك، كان نعيم عتيق ذا أهمية كبيرة لمجتمع كنيسته العربية. خدم كقسيس في كاتدرائية القديس جورج الأنجليكانية في القدس من عام 1985حتى عام 1997، وكان يعظ كل يوم أحد خلال فترة الانتفاضة الأولى. وبعد كل هذه الخدمات، كان نعيم عتيق

[65] للمزيد من المعلومات، أنظر: ميلاني ماي، العهد الجديد القدسي: المسيحيون الفلسطينيون يتحدثون، 1988-2008 (جراند رابيدز وكامبريدج: ويليام إيردمانز، 2010).

[66] نعيم عتيق، العدالة، والعدالة فقط: لاهوت التحرير الفلسطيني (ماريكنول: كتب أوربيس، 1989). كما نشر عتيق ثلاثة كتب أخرى حول لاهوت التحرير الفلسطيني، وكان الأخير عبارة عن سيرة ذاتية: نعيم عتيق، صرخة فلسطينية للمصالحة (ماريكنول: كتب أوربيس، 2008)؛ عتيق، لاهوت فلسطيني؛ نعيم عتيق، الدعوة والالتزام: رحلة الإيمان من النكبة إلى لاهوت التحرير الفلسطيني (يوجين: كاسكيد، 2023).

[67] نعيم عتيق، لاهوت فلسطيني، 130.

يستمع إلى تأملات جماعته حول الخطب والإنجيل فيما يتعلق بالوضع السياسي الذي كانوا يعيشون فيه. قدمت هذه اللحظات الإلهام لكتبه عن لاهوت التحرير.[68]

وكان بين علماء اللاهوت البارزين في هذا المجال القس متري راهب (مواليد 1962)، وهو قس لوثري يسمي نفسه عالم لاهوت سياقي، وليس عالم لاهوت تحريري، رغم أن اهتماماته تشبه اهتمامات نعيم عتيق. والواقع أن البعض يميز بين "لاهوت التحرير الفلسطيني" و"لاهوت السياق الفلسطيني"،[69] ولكن هذه الدراسة تعتبر لاهوت التحرير جزءا من اللاهوت السياقي الفلسطيني. أصبح راهب قسا لكنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم عام 1987،[70] وبدأ النشر في عام 1990.[71] يتناول أول كتاب لمتري الراهب باللغة الإنجليزية، أنا مسيحي فلسطيني (1995)،[72] هوية المسيحيين الفلسطينيين بشكل أساسي، والتفسيرات الكتابية لموضوعات مثل: الانتخاب، والأرض الموعودة، والخروج، والعنف، والمعاناة، وحب الجار. ويقدم كتابه اللاحق "الإيمان في وجه الإمبراطورية: الكتاب المقدس من خلال عيون فلسطينية" (2014) حججا ضد ما يسميه "اللاهوت الإمبراطوري": الغرض الإلهي للإمبراطورية في إطار أيديولوجي أو لاهوتي.[73] ويشرح متري الراهب ماذا يعني هذا اللاهوت الإمبراطوري بالنسبة للفلسطينيين:

ومن الجدير بالذكر أنه فيما يتعلق بقضية فلسطين، فإن اللاهوت الغربي الليبرالي المفترض، واللاهوت المحافظ والأصولي، لا ينتقدان دولة إسرائيل، ويحتويان على تحيز مؤيد لإسرائيل، ويختاران تجاهل وجود ومعاناة الشعب الفلسطيني الأصلي. ما زلنا بعيدين عن اللحظة التي يطلب فيها علماء اللاهوت الغربيون واليهود من الفلسطينيين المغفرة عن الأذى الذي لحق بهم وبأرضهم باسم الإله.[74]

ودفع هذا متري الراهب إلى كتابة أحدث كتاب له بعنوان "إنهاء استعمار فلسطين: الأرض والشعب والكتاب المقدس" (2023)، والذي يقدم فيه لاهوتا لإنهاء الاستعمار لفلسطين.[75] ويلتزم متري الراهب بموضوعات أعماله السابقة - بما في ذلك تاريخ فلسطين والصهيونية المسيحية، وموضوع الأرض، ومفاهيم الانتخاب التوراتي، والشعب المختار - لكنه يضعها الآن في حوار مع نظرية الاستعمار الاستيطاني، وبالتالي يستجوب كيف تُستخدم اللغة

---

[68] نعيم عتيق، لاهوت فلسطيني، 37 وما يليه.

[69] على سبيل المثال، جمال خضر دعيبس، في مقابلة أجرتها إليزابيث مارتين في رام الله، 21 كانون أول 2017؛ النساج، سكن الأرض،

[70] أنظر لمحة عن خطبه: متري الراهب: لكل موقف تعليق: مواعظ ربع قرن: 1988-2013 (بيت لحم: دار ديار للنشر، 2013) .

[71] متري الراهب، التراث الإصلاحي بين الفلسطينيين: ظهور الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن (غوترسلوه: دار نشر غوترسلوه ، 1990).

[72] متري الراهب، أنا مسيحي فلسطيني (مينيابوليس: مطبعة فورترس، 1995). وقد نُشر كتاب مماثل لأول مرة باللغة الألمانية قبل عام بعنوان: أنا مسيحي وفلسطيني: إسرائيل وجيرانها والكتاب المقدس (غوترسلوه: دار نشر غوترسلوه، 1994).

[73] متري الراهب، الإيمان في وجه الإمبراطورية: الكتاب المقدس من خلال عيون فلسطينية (ماريكنول: كتب أوربيس، 2014).

[74] متري الراهب، الإيمان، 65 وما يليها.

[75] متري الراهب، تحرير فلسطين من الاستعمار: الأرض والشعب والكتاب المقدس (ماريكنول: (كتب أوربيس، 2023). وقد قام جون سليم منيّر وصمويل سليم منيّر بمحاولة أخرى لإزالة الاستعمار من اللاهوت الفلسطيني في مقالهما المشترك "إزالة الاستعمار من لاهوت التحرير الفلسطيني: أساليب ومصادر وأصوات جديدة"، دراسات في المسيحية العالمية 3/28 (2022)، 287- 310.

والدوافع التوراتية لدعم مشروع استعماري استيطاني. ويصف متري الراهب هذا بأنه "تحول نموذجي جديد (سوف) يقربنا من العدالة ويقربنا من روح الله".[76]

ومتري الراهب عالم لاهوتي له العديد من الكتب: نشر حتى الآن، ثمانية عشر كتابا منفردا بلغات مختلفة،[77] وعشرات الكتب التي شارك في تأليفها أو تحريرها، والعديد من المقالات وفصول الكتب. وعلاوة على ذلك، أسس متري الراهب مركز دار الندوة في بيت لحم عام 1995 كمنتدى دولي للحوار بين الإيمان والثقافة، وجامعة دار الكلمة عام 2006، ودار ديار للنشر عام 2011. وبالتالي، وعلى غرار نشاط نعيم عتيق اللاهوتي، يدمج عمل متري الراهب اللاهوت والمشاركة العامة، مما يساهم ليس فقط في تطوير اللاهوت الفلسطيني، بل أيضا المجتمع الفلسطيني بشكل عام.

2-2 المرحلة الثانية (منذ عام 2000 فصاعدا): تحديد المسائل اللاهوتية:

في حين شهدت ثمانينيات القرن العشرين ظهور اللاهوت الفلسطيني رسميا، إلا أنه بحلول مطلع الألفية الجديدة انتقل هذا الإحياء اللاهوتي إلى مرحلة جديدة من التأمل السياقي. فعندما زار البابا يوحنا بولس الثاني إسرائيل والأراضي الفلسطينية خلال حجه الألفي في آذار عام 2000، رفع ذلك من معنويات المسيحيين الفلسطينيين. ومثله كمثل سلفه البابا بولس السادس في كانون الثاني 1964- وهو أول بابا يزور الأراضي المقدسة في التاريخ الحديث- قال البابا يوحنا بولس الثاني: إن معاناة الفلسطينيين لابد أن تنتهي، وأن الشعب الفلسطيني له حق طبيعي في وطن. وفي رسالته بمناسبة عيد الفصح في 23 نيسان عام 2000، تأمل البطريرك ميشيل صباح في الزيارة البابوية، مؤكدا على أوقات الصلاة العميقة التي يقضيها البابا في الأماكن المقدسة، وملخصا رسالة البابا بالكلمات التالية: "... تشجعوا، واقبلوا دعوتكم، وأنجزوا مهمتكم في مجتمعاتكم المختلفة في أرض يسوع".[78] ومن هنا، فقد أظهرت القيادة الكاثوليكية وعيا بمعاناة المسيحيين الفلسطينيين.

ويتناقض هذا مع وضع البطريركية اليونانية الأرثوذكسية، حيث كانت التسلسل الهرمي اليوناني يصطدم بشكل متكرر مع الكهنة والعلمانيين العرب منذ نهاية الإمبراطورية العثمانية.[79] وقد ظهرت هذه العلاقات المتضاربة بشكل خاص خلال الانتفاضة الثانية (2000-2005) عندما تولى المطران الفلسطيني ثيودوسيوس حنا - المعروف أيضا باسم عطا الله حنا؛ من مواليد

[76] متري الراهب، تحرير فلسطين من الاستعمار، x.

[77] إلى جانب الأعمال التي سبق ذكرها، نشر متري الراهب أيضا الكتب التالية باللغة الإنجليزية: متري الراهب، الإبحار عبر المياه العكرة: المسيحية في الشرق الأوسط (بيت لحم: دار ديار للنشر، 2013)؛ متري راهب، بيت لحم المحاصرة (مينابوليس: فورتيس برس، 2004).

[78] ميشيل صباح، "رسالة عيد الفصح، 23 نيسان 2000"، الفقرة 3، في: صباح، المؤمن، 126 وما يليها.

[79] وقد تم توثيق هذا الصدام على سبيل المثال من قبل: آنا هاجر، "القضية الأرثوذكسية في الأردن: الصراع من أجل هوية عربية وأرثوذكسية"، دراسات في المسيحية العالمية 3/24 (2018)، 212-23؛ صموئيل كوروفيلا، "العلاقات بين الكنيسة والدولة في فلسطين: الإمبراطوريات والقومية العربية والأرثوذكسية اليونانية الأصلية، 1880-1940"، دراسات الأرض المقدسة 1/10 (2011)، 55-71؛ لورا روبسون، "الطائفية والقومية في فترة الانتداب: الخلاف الأرثوذكسي اليوناني والحركة الوطنية"، مجلة الدراسات الفلسطينية 1/41 (2011)، 6-23؛ سوتيريس روسوس، "بطريركية ومجتمع الروم الأرثوذكس في القدس"، في: التراث المسيحي في الأرض المقدسة، تحرير: أنتوني أوماهوني، ويوران جونر، وكيفورك هينتليان (لندن: سكوربيون كافنديش، 1995)، 211-24.

عام 1965- منصب المتحدث الرسمي باسم بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس. ويُعرف المطران ثيودوسيوس حنا بنشاطه السياسي الصريح، مما تسبب في صدامات متكررة مع رجال الدين اليونانيين في كنيسته - وخاصة مع السلطات الإسرائيلية، التي اعتقلت واستجوبت المطران ثيودوسيوس حنا عدة مرات خلال الانتفاضة الثانية. وباعتباره واحدا من أربعة رجال دين عرب رفيعي المستوى في بطريركية القدس للأرثوذكس، يشكل المطران ثيودوسيوس حنا استثناء من القيادة البعيدة إلى حد ما في التسلسل الهرمي للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية.

كان القادة الفلسطينيون المحليون، مثل البطريرك ميشيل صباح والمطران ثيودوسيوس حنا، منارات أمل للمجتمع المسيحي الفلسطيني في أوقات الأزمات وعدم اليقين، حيث شرحوا لاهوتهم السياقي في الخطب والرسائل الرعوية والظهور الإعلامي. وبعد مرور ثلاث سنوات على الانتفاضة، تم في عام 2003 تعيين المطران جمال خضر دعيبس (مواليد 1964) رئيسا جديدا لقسم الدراسات الدينية في جامعة بيت لحم، وهي مؤسسة كاثوليكية.[80] وكانت هذه خطوة مهمة أخرى إلى الأمام في اللاهوت السياقي، حيث بدأ هذا القسم بتنظيم مؤتمرات محلية ودولية حول مواضيع لاهوتية سياقية. وتحقق في عام 2005، نحو نهاية الانتفاضة المزيد من التقدم، عندما جمع الناشط اللوثري في مجال حقوق الإنسان رفعت قسيس (مواليد 1958) مجموعة مسكونية من خمسة عشر مسيحيا فلسطينيا، من رجال الدين والعلمانيين، للعمل على وثيقة كايروس الفلسطينية، على غرار نظيرتها في جنوب أفريقيا عام 1985.[81] وقدمت هذه المجموعة في الحادي عشر من كانون الأول عام 2009، وثيقة كايروس الفلسطينية في بيت لحم، وحثت الفلسطينيين على الصمود والصبر ومقاومة المحتل بطرق غير عنيفة. ويتحدى النص الكنائس من جميع الطوائف من أجل المشاركة في المناقشات الحالية ضمن تقليد حب المظلومين. وتصف الوثيقة بجرأة الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية بأنه "خطيئة ضد الله والإنسانية":

كما نعلن أن الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية هو خطيئة بحق الله والإنسانية، لأنه يحرم الفلسطينيين من حقوقهم الإنسانية الأساسية التي وهبها الله لهم، ويشوه صورة الله في الإسرائيلي الذي أصبح محتلا، كما يشوه هذه الصورة في الفلسطيني الذي يعيش تحت الاحتلال. ونعلن أن أي لاهوت يبدو أنه يستند إلى الكتاب المقدس أو الإيمان أو التاريخ ويشرع الاحتلال، هو بعيد كل البعد عن التعاليم المسيحية، لأنه يدعو إلى العنف والحرب المقدسة

[80] ومن بين كتاباته: جمال خضر، "الأديان في خدمة السلام؟ حالة فلسطين/إسرائيل"، في: مجلة "السلام والديمقراطية" (1995)؛ دور الدين في بناء السلام: تجاوز حدود التحيز وعدم الثقة، تحرير: بولين كولونتاي، وسو يور، وسيباستيان كيم (لندن وفيلادلفيا: دار جيسيكا كينجسلي للنشر، 2018)، 226-242؛ جمال خضر، "مكافحة العنف باسم الله في فلسطين/إسرائيل الحالية"، المجلة المسكونية 1/68 (2016)، 81-94؛ جمال خضر، "سياق كايروس فلسطين"، المجلة المسكونية 1/64 (2012)، 3-6.

[81] المؤلفون الخمسة عشر لوثيقة كايروس فلسطين (2009): البطريرك ميشيل صباح، المطران ثيودوسيوس (عطاالله حنا)، المطران جمال خضر دعيبس، الأب رفيق خوري، القس متري الراهب، القس نعيم عتيق، القس يوحنا كتناشو، القس فادي دياب، جريس خوري، سيدار دعيبس، نورا قرط، لوسي ثلجية، نضال أبو زلف، يوسف ضاهر، ورفعت قسيس (المنسق). للحصول على معلومات أساسية عن حركة كايروس الفلسطينية، أنظر: رفعت عودة قسيس، كايروس فلسطين (رام الله: بدائل، 2011).

باسم الله تعالى، ويُخضع الله لمصالح إنسانية مؤقتة، ويشوه الصورة الإلهية في البشر الذين يعيشون تحت الظلم السياسي واللاهوتي.[82]

إن وثيقة كايروس الفلسطينية التي نشرت في الأصل باللغتين العربية والإنجليزية، قد ترجمت الآن إلى 23 لغة. وبعد ما يسمى بدعوة بيت لحم، وهو مؤتمر عقد في بيت لحم في عام 2011، تطورت كايروس فلسطين إلى شبكة كايروس العالمية، والتي توجد حاليا في أحد عشر دولة حول العالم.

وقد حدث تطور في الفترة الأخيرة في مجال العمل السياقي الفلسطيني في اللاهوت الإنجيلي الفلسطيني الذي يتميز بحداثته وسرعة تقدمه.[83] وتشمل مراكز اللاهوت الإنجيلي الفلسطيني كلية بيت لحم للكتاب المقدس (التي تأسست عام 1979)، وكلية الناصرة الإنجيلية (التي تأسست عام 2014). وقد اكتسب الصوت الإنجيلي اهتماما خاصا من خلال المؤتمر الأول "المسيح عند الحاجز" الذي عقد في بيت لحم عام 2010، والذي كان يهدف إلى "استعادة الدور النبوي في إحلال السلام والعدالة والمصالحة في فلسطين وإسرائيل".[84] ويُنظم مؤتمر "المسيح عند الحاجز" الآن، مرة كل عامين، تحت رعاية كلية بيت لحم للكتاب المقدس، والتي يقودها إنجيليون فلسطينيون محليون. وبصفته العميد الأكاديمي لكلية بيت لحم للكتاب المقدس، وراعي كنيسة الميلاد اللوثرية في بيت لحم (خلفا لمتري الراهب المذكور سابقا منذ عام 2016)، ارتقى منذر إسحاق (مواليد 1979) بسرعة إلى الشهرة الوطنية والدولية خلال حرب إسرائيل وحماس التي بدأت في تشرين الأول عام 2023. وتمت مشاركة عظته في عيد الميلاد "المسيح بين الأنقاض: قداس الرثاء" بتاريخ 23 كانون الأول 2023 على نطاق واسع على وسائل التواصل

[82] كايروس فلسطين، لحظة حقيقة: كلمة إيمان وأمل ومحبة من قلب المعاناة الفلسطينية (بيت لحم: كايروس فلسطين، 2009)، الفقرة 2: 5.

[83] لمزيد من المعلومات حول الإنجيليين الفلسطينيين، أنظر: أزار عجاج، ودوان ألكسندر ميلر، وفيليب سامبتر، الإنجيليون العرب في إسرائيل (يوجين: منشورات بيكويك، 2016). وهذه مجموعة مختارة من المنشورات اللاهوتية من الإنجيليين الفلسطينيين: أليكس عوض، ذكريات فلسطينية: قصة أم فلسطينية وشعبها (بيت لحم: كلية بيت لحم للكتاب المقدس، 2012)؛ منذر إسحاق، الجانب الآخر من الجدار: رواية مسيحية فلسطينية عن الرثاء والأمل (داونرز جروف: إنترفارستي برس، 2020)؛ منذر إسحاق، من الأرض الموعودة إلى الأراضي، من عدن إلى الأرض الجديدة: لاهوت كتابي يتركز حول المسيح حو لأرض الموعودة (كارلايل: دراسات علمية، لانغهام، 2015)؛ يوحنا كتناشو، الصلاة من خلال المزامير (كارلايل: مكتبة لانغهام العالمية، 2018)؛ يوحنا كتناشو، أرض المسيح: صرخة فلسطينية (يوجين: دار نشر ويب وستوك، 2013)؛ سليم منيّر وليزا لودن، من خلال عيون أعدائي: تصور المصالحة في إسرائيل وفلسطين (كراونهيل: باترنوستر، 2014)؛ سليم منيّر وليزا لودن (محرران)، الأرض تصرخ: لاهوت المصالحة في السياق الإسرائيلي الفلسطيني (يوجين: دار نشر ويب وستوك، 2011).

[84] لجنة مؤتمر المسيح عند الحاجز، بيان المسيح عند الحاجز، البيان رقم 1. -https://christatthecheckpoint.bethbc.edu/about christ-at-the-checkpoint/ (شوهد في أيار 2024). للاطلاع على مجموعة مختارة من الأوراق المقدمة خلال المؤتمرات، أنظر: مانفريد كول، ومنذر إسحاق. المسيح عند الحاجز. طوبى لصانعي السلام (بيت لحم: دار ديار للنشر، 2018). نشر قسم الشباب في لجنة مؤتمر المسيح عند الحاجز بيانا في حزيران 2021 بعنوان "بيان التوبة والأمل"، باللغتين العربية والإنجليزية، يمثل صوت الجيل الإنجيلي الشاب الصاعد، الذي يدعو إلى التأمل الذاتي والتوبة والوحدة في معركة العدالة والسلام. شباب المسيح عند الحاجز، بيان التوبة والأمل، https://www.kairospalestine.ps/images/STATEMENT_CATCYA.pdf (شوهد في أيار 2024).

الاجتماعي، وتم اقتباسها خلال قضية الإبادة الجماعية التي رفعتها جنوب إفريقيا ضد إسرائيل، والتي تم رفعها أمام محكمة العدل الدولية في 29 كانون الأول 2023.[85]

وقد أثارت حرب إسرائيل وحماس، والأزمة الإنسانية المتزامنة، والموجة الجديدة من النزوح القسري في غزة، موجة جديدة من التأمل اللاهوتي السياسي بين المسيحيين الفلسطينيين. فبعد حوالي أسبوعين من اندلاع الحرب في 7 تشرين أول، نُشرت رسالة مفتوحة بعنوان "دعوة للتوبة: رسالة مفتوحة من المسيحيين الفلسطينيين إلى قادة الكنائس واللاهوتيين الغربيين" على موقع Change.org، وهي منصة عريضة عبر الإنترنت، وحظيت باهتمام وسائل الإعلام المحلية والدولية.[86] وبما أن الرسالة كانت تستهدف الجماهير الغربية، فقد كان من الواضح في إدانتها، صمت العديد من قادة الكنائس واللاهوتيين الغربيين بشأن ارتفاع عدد القتلى في غزة، أو في حالات أخرى، الدعم المسيحي الثابت لإسرائيل. كما صدرت بيانات مشتركة من البطاركة ورؤساء الطوائف المسيحية، استمرارا لتقليد بدأ منذ عام 1988. فقد شكلوا جبهة موحدة بعد الفظائع التي حدثت للمسيحيين في غزة، وأبرزها انفجار مستشفى الأهلي العربي في 17 تشرين أول 2023، وهو مستشفى تديره الكنيسة الأسقفية في القدس، مما أسفر عن إصابة ومقتل المئات، والغارة الجوية الإسرائيلية في 19 تشرين أول 2023 والتي تسببت في مقتل ما لا يقل عن 18 مسيحيا، كانوا يبحثون عن ملجأ في مجمع كنيسة القديس برفيريوس الأرثوذكسية اليونانية.

إن حرب إسرائيل وحماس هي نقطة تحول أخرى في تطور اللاهوت الفلسطيني، على غرار موجات النزوح القسري السابقة (1948)، واندلاع العنف (1967، والانتفاضة الأولى). واستجابة للمعاناة الواسعة النطاق التي عانى منها سكان غزة بشكل عام خلال هذه الحرب، والمجتمعات المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية الصغيرة في غزة بشكل خاص، كتبت المؤسسات المسيحية الفلسطينية، مثل مركز السبيل، وكايروس فلسطين، وكلية بيت لحم للكتاب المقدس - فضلا عن قادة الكنائس المسيحية الفلسطينية بشكل فردي - بيانات، وبادروا إلى عقد اجتماعات صلاة وجهود مناصرة، للدعوة إلى وقف فوري لإطلاق النار، وفي بعض الحالات، للاعتراف بالتأثير الإبادي للحرب على الفلسطينيين في غزة. وكما عملت الانتفاضة الأولى كحافز لرجال الدين واللاهوتيين الفلسطينيين ليصبحوا أكثر صراحة، وجعلت التطورات في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين اللاهوت الفلسطيني أكثر

---

[85] منذر إسحاق، عظة "المسيح بين الأنقاض" في قداس الرثاء. قداس الرثاء: كنيسة عيد الميلاد اللوثرية بيت لحم، 23 كانون أول 2023. تسجيل الفيديو: https://www.youtube.com/watch?v=aEGiANa0-oI (شوهد في أيار 2024). ظهرت العظة بشكل بارز خلال البيان الافتتاحي في جلسة محكمة العدل الدولية في 11 كانون الثاني 2024 للمحامية الأيرلندية بلين ني غرالايغ التي تقدم المشورة للفريق القانوني لجنوب إفريقيا.

[86] "المسيحيون الفلسطينيون"، "دعوة للتوبة: رسالة مفتوحة من المسيحيين الفلسطينيين إلى قادة الكنائس واللاهوتيين الغربيين"، https://www.change.org/p/an-open-letter-from-palestinian-christians-to-western-church-leaders-and-theologians (شوهد في أيار 2024). وقد تم التوقيع على الرسالة من قبل معظم المنظمات والمؤسسات المذكورة في هذه المقالة، بما في ذلك كايروس فلسطين، والمسيح عند الحاجز، وكلية بيت لحم للكتاب المقدس، ومركز السبيل، وجامعة دار الكلمة، ومركز اللقاء، إضافة إلى عدد من المنظمات المسيحية الأخرى النشطة في إسرائيل وفلسطين.

محلية، فإن حرب إسرائيل وحماس جعلت هذه المجموعة من علماء اللاهوت السياقيّين الفلسطينيين، أكثر انخراطا سياسيا مما كانوا عليه من قبل.

ويمكن للمرء حاليا، أن يتحدث عن مجموعة منهجية من الأعمال السياقية الفلسطينية. فقد نشر أربعة عشر من علماء اللاهوت فلسطيني كتبا في اللاهوت السياقي باللغة الإنجليزية أو العربية أو الألمانية؛ وهذا العدد أعلى بكثير إذا ما حسبنا علماء الدين الفلسطينيين الذين ساهموا في مجلة اللقاء، وأولئك الذين تحدثوا في مؤتمرات وطنية أو دولية، وأولئك الذين يدرّسون في الجامعات والمعاهد اللاهوتية المحلية، أو أولئك الذين لم تُنشر أطروحاتهم بعد في شكل كتاب.[87] وقد بدأت تظهر في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، المجلدات المحررة الأولى التي قدمت لمحات عامة منهجية عن اللاهوت الفلسطيني: مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني (2017) حرره منذر إسحاق ونُشر باللغة العربية؛[88] واللاهوت المسيحي في السياق الفلسطيني (2019)، حرره رفيق خوري ورينر زيمر-فينكل، ونُشر باللغة الإنجليزية.[89] ومن التطورات المماثلة إطلاق مجلة المسيحية الفلسطينية في عام 2024، التي أسسها وحررها منذر إسحاق ويوسف الخوري وجون سليم منيّر. يشير نشر هذه الكتب ونشر المجلة بوضوح إلى تطور وازدهار مجال اللاهوت السياقي الفلسطيني - منذ ظهوره قبل حوالي 40 عاما، مع مشاركين من مختلف أنحاء الطيف المسيحي. ورغم ذلك، فقد تم تجاهل العديد من هذه التطورات في الدوائر اللاهوتية الغربية، وأيضا في مجال المسيحية العالمية، رغم اهتمامها بالتطورات اللاهوتية خارج أوروبا وأمريكا الشمالية. ويرجع هذا جزئيا إلى أن تطور اللاهوت السياقي العربي قد حدث في فترة لاحقة، وكان أبطأ في التطور من بعض المناطق الأخرى من العالم. وكان السبب الآخر لضعف الاهتمام الأكاديمي، هو الوضع المختلف تماما للمسيحية في الشرق الأوسط: على النقيض من المسيحية في إفريقيا في جنوب الصحراء الكبرى وآسيا، فإن المسيحية في الشرق الأوسط تتضاءل. وبالتالي، فإن مسار المسيحية في الشرق الأوسط لا يتناسب مع الافتراض العام الكامن وراء مجال المسيحية العالمية، بأن عدد المسيحيين في الجنوب العالمي ينمو بسرعة.[90]

---

[87] ومن بين هؤلاء اللاهوتيين الأربعة عشر: القس نعيم عتيق، القس أليكس عوض، المطران الفخري الياس شقور، القس منذر إسحق، القس يوحنا كتناشو، المطران جمال خضر دعيبس، جريس خوري، الأب رفيق خوري، رولا خوري منصور، سليم منيّر، القس متري الراهب، البطريرك الفخري ميشيل صباح، المطران الفخري منيب يونان، وجان زارو.

[88] منذر إسحق (محرر)، مدخل إلى اللاهوت الفلسطيني (بيت لحم: دار ديار للنشر، 2017).

[89] خوري وزيمر-وينكل، محرران، اللاهوت المسيحي.

[90] ديانا فيري ووماك، "دمج المسيحية الشرق أوسطية في المسيحية العالمية"، في: المسيحية العالمية: التاريخ، والمنهجيات، والآفاق، تحرير جيهو هانسيلز (ماريكنول: كتب أوربيس: 2021)، 171-84؛ ديانا فيري ووماك، "المسيحية الشرق أوسطية في سياق المسيحية العالمية"، في: دليل رومان وليتل فيلد للمسيحية في الشرق الأوسط، تحرير: متري الراهب ومارك لامبورت (لانهام: رومان وليتل فيلد، 2020)، 548-558؛ دايرون دوغريتي، "تجاهل الشرق: تصحيح خلل خطير في دراسات المسيحية العالمية"، في: الدين في مسيرة التقدم! ديناميكيات جديدة للتوسع المسيحي في عالم معولم، تحرير: آفي أدوغام وشوبانا شانكار (ليدن: بريل، 2013)، 41-59.

3. نطاق اللاهوت الفلسطيني:

كان علماء اللاهوت الفلسطينيون روادا، ولعبوا دورا نموذجيا في ظهور طيف واسع من اللاهوت العربي، وبالتالي قدموا مساهمة كبيرة في الفكر العربي بشكل عام.[91] يقدم اللاهوت الفلسطيني تأملا عميقا في التاريخ الحديث للشرق الأوسط - تاريخ الاضطرابات السياسية والصراع والمعاناة الإنسانية، والتدفق المستمر للاجئين. يوجد حاليا بشكل عام، أربعة موضوعات رئيسية في الأعمال اللاهوتية الفلسطينية، وقد أشار هذا المقال بالفعل إلى معظمها، وهي: 1) التحرير، و2) المصالحة، و3) الشهادة، و4) الحوار المسكوني والحوار بين الأديان. يقدم هذا القسم الأخير دراسة متعمقة لهذه الموضوعات المتميزة، ولكن المترابطة. يفكر العديد من العلماء الفلسطينيين في اللاهوت السياقي في جميع الموضوعات الأربعة، ولكن بتركيز خاص. إضافة إلى ذلك، تحمل هذه الموضوعات وزنا متفاوتا من الأهمية، اعتمادا على الظرف المحدد في فترات زمنية مختلفة. ولكن ما يوحد هؤلاء اللاهوتيين هو انخراطهم اللاهوتي في هويتهم كمسيحيين فلسطينيين، وتأملهم في السياق الاجتماعي والسياسي للصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

3-1 التحرير:

يعد لاهوت التحرير أحد الفروع المميزة في اللاهوت السياقي الفلسطيني. وبتأثير نظريات ما بعد الاستعمار، يشمل موضوع التحرير طيفا واسعا من الموضوعات المترابطة، بما في ذلك التأويلات الكتابية، وإسرائيل الحديثة، وحالة العهد القديم، ورواية الخروج، والعهد، والانتخاب، والأرض، والصهيونية المسيحية. ويمكن العثور على هذا الموضوع، على سبيل المثال، في أعمال منذر إسحاق، ويوحنا كتناشو، ومتري الراهب. ومن أبرز أعمال لاهوت التحرير الفلسطيني كتابات نعيم عتيق، مؤلف كتاب "العدالة والعدالة فقط: لاهوت التحرير الفلسطيني" (1989)، ومؤسس مركز السبيل للتحرير المسكوني. ويهدف نعيم عتيق إلى إيجاد تأويل جديد للكتاب المقدس، يؤكد على رؤية عالمية شاملة لله، في مواجهة وجهات النظر التقييدية الحصرية لبعض اليهود، وبعض علماء اللاهوت المسيحيين الغربيين. إن لاهوت التحرير الفلسطيني، كما طوره نعيم عتيق، يختلف اختلافا عميقا عن النسخة اللاتينية الأمريكية كما شرحها، على سبيل المثال، عالم اللاهوت البيروفي جوستافو جوتيريز،[92] لأنه يتناول القمع الصهيوني والاستعماري بدلا من التركيز على القمع الاقتصادي كنتيجة مباشرة للاستعمار.[93] تعد أفكار التحرير الفلسطينية في الأوساط الأكاديمية الغربية من بين المفاهيم

---

[91] راجع: إليزابيث كساب، الفكر العربي المعاصر: النقد الثقافي من منظور مقارن (نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 2010)، 207-13. حدث تطور مماثل في اللاهوت العربي السياقي في أماكن أخرى في الشرق الأوسط، أنظر: أنطوان فليفيل، اللاهوت السياقي العربي: النموذج اللبناني (باريس: لارماتان، 2011)؛ أندريا زكي ستيفانوس (محرر)، اللاهوت المسيحي العربي: منظور إنجيلي عالمي معاصر (جراند رابيدز: زوندرفان، 2019).

[92] غوستافو جوتيريز، لاهوت التحرير: التاريخ والسياسة والخلاص (لندن: SCM، 1988).

[93] للمقارنة بين لاهوت التحرير الفلسطيني ولاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، أنظر: برايان ستانلي، المسيحية في القرن العشرين: تاريخ العالم (برينستون وأكسفورد: مطبعة جامعة برينستون، 2018)، 231-7؛ صامويل كوروفيلا، "لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية وفلسطين-إسرائيل من منظور مقارن: الاختلاف السياقي والتشابه العملي"، دراسات الأرض المقدسة 1/9 (2010)، 51-69.

اللاهوتية الأكثر مناقشة في اللاهوت الفلسطيني.[94] ورغم ذلك، وكما ذكرنا سابقا، لم يكن لدى لاهوت التحرير الفلسطيني جمهور واسع بين عامة الناس الفلسطينيين، وبالتالي يمكن وصفه بأنه حركة النخبة المسيحية الفلسطينية.

2-3 المصالحة:

إن الموضوع الرئيس الثاني في اللاهوت الفلسطيني هو المصالحة. لقد كان الحديث عن التحرير يُسمع كثيرا في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، وفي بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وقت التوتر السياسي والانتفاضات. وبدأ علماء اللاهوت الفلسطينيون في الآونة الأخيرة، يصورون أنفسهم كمصالحين نشطين بدلا من كونهم تحرريين ناقدين. ونجد مفاهيم المصالحة، على سبيل المثال، في كتابات إلياس شقور وسليم منيّر، وفي أعمال عالمتي دين بارزتين، رولا خوري منصور وجان زارو.[95] وقد جعل سليم منيّر (مواليد 1955) المصالحة الموضوع الرئيس لعمله، وأسس منظمة المصالحة في القدس، والتي تهدف إلى بناء الجسور بين مختلف شرائح المجتمع الإسرائيلي والفلسطيني، وفقا لمبادئ المصالحة المستمدة من الكتاب المقدس. وبدلا من التركيز على الهويات العرقية والقومية المختلفة، يشير التأكيد اللاهوتي للمصالحة إلى المفهوم التوراتي للهوية الجديدة في المسيح، مما يجعل من الممكن للأشخاص المتعارضين أن يلتقوا ويتصالحوا في هذه الهوية الجديدة. ورغم ذلك، قد يتساءل المرء عما إذا كان من الممكن النظر إلى مثل هذا التركيز على المصالحة بشكل منفصل عن مفهوم التحرير. يرى نعيم عتيق على سبيل المثال، أن التحرير والمصالحة مترابطان، لكن التحرير والعدالة ضروريان قبل أي شكل من أشكال المصالحة.[96]

3-3 الشهادة:

يمكن العثور على موضوع "الشهادة"، المفهوم اللاهوتي الأكثر انتشارا وشعبية بين رجال الدين الفلسطينيين الحاليين في مصادر مختلفة، وخاصة في تصريحات رؤساء الكنائس في القدس. كما يتضح ذلك في عمل البطريرك الفخري ميشيل صباح، الذي قال إن دعوة المسيحيين الفلسطينيين هي أن يحملوا شهادة يسوع المسيح "أولا وقبل كل شيء، في مواجهة قداسة هذه الأرض، ثم في مواجهة الولادة الصعبة للسلام والعدالة فيها، وفي مواجهة القمع

---

[94] يتضح هذا، على سبيل المثال، في: ميشيل إلياس أندراوس، "لاهوت المصالحة الفلسطيني: صرخة أمل في غياب كل أمل"، "أصوات" المجلة اللاهوتية للرابطة المسكونية للاهوتيين في العالم الثالث 1/36 (2013)، 47-59؛ كوروفيلا، المسيحية الراديكالية؛ روبسون، "لاهوت التحرير الفلسطيني"؛ أندريا زكي ستيفانوس وجوس سترينغهولت، "اللاهوت الشرق أوسطي والعربي"، في: القاموس العالمي للاهوت، تحرير: ويليام ديرنس وفيلي ماتي كاركاينين (داونرز جروف ونوتنغهام: إنترفارستي برس، 2008)، ص 537-542.

[95] شقور، أخوة الدم؛ رولا خوري منصور، لاهوت المصالحة في سياق العلاقات الكنسية: منظور مسيحي فلسطيني في حوار مع ميروسلاف فولف (كارلايل: دراسات لانغهام، 2020)؛ منيّر ولودن، من خلال؛ جان زارو، محتلة باللاعنف: امرأة فلسطينية تتحدث (مينابوليس: فورتس برس، 2008).

[96] نعيم عتيق، العدالة، ص 180.

وانتهاك كرامة الإنسان، التي تُرتكب هنا".[97] لذلك، يسعى لاهوت الشهادة المسيحي الفلسطيني أولا وقبل كل شيء إلى تحقيق العدالة، ثم في المرتبة الثانية، إلى المساهمة المسيحية في المجتمع. ويطلق الأسقف الفخري منيب يونان (مواليد 1950) على هذا لاهوت "الاستشهاد" (الشهادة في اللغة اليونانية) ويركز على الدور الاجتماعي للمسيحية. يصف الشهادة بأنها خدمة إبداعية، حيث يعمل الإيمان المسيحي كمصدر إلهام لإنشاء المدارس والجامعات، وترجمات الكتاب المقدس، والحركات المسكونية.[98] وبالتالي، فإن مفهوم الشهادة يتجلى بشكل واضح في الدور العام الذي يلعبه المسيحيون في المجتمع. ومع ذلك، فإن لاهوت الشهادة لا يتحدث عن حقائق جذرية للظلم الطويل الأمد، بنفس الطريقة التي يفعلها لاهوت التحرير والمصالحة.

4-3 الحوار المسكوني والحوار بين الأديان:

رابعا، هناك موضوع يتكرر في الأعمال السياقية الفلسطينية، وهو الحوار المسكوني والحوار بين الأديان. وإن المنظمات مثل اللقاء، ومركز السبيل، وكايروس فلسطين، هي كلها مبادرات مسكونية. وقد نظم مركز اللقاء مؤتمرات سنوية للحوار المسيحي الإسلامي منذ عام 1983. كانت هذه المؤتمرات منذ فترة طويلة تضم مجموعة من المثقفين العرب، الذين يروجون للقومية الفلسطينية والوحدة والحوار. يذكر الأب رفيق خوري، الذي هو أيضا جزء من اللقاء، أن العلاقات المسيحية الإسلامية في فلسطين تشكل حالة خاصة.[99] تقع فلسطين عند مفترق ثلاث قارات (آسيا وأفريقيا وأوروبا)، وثلاث ديانات عالمية (المسيحية واليهودية والإسلام). ويرى الأب رفيق خوري أن المسيحيين الفلسطينيين مروا بمرحلة متقدمة من التعريب. بل إنه يصف فلسطين بأنها "الجزء الذي تم تعريبه أكثر من غيره".[100] وعلاوة على ذلك، فإن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني جعل المسيحيين والمسلمين الفلسطينيين لا يعانون من بعضهم البعض، بل يعانون معا. ويمكن للمرء أن يشير أيضا إلى هذا التضامن الفلسطيني لشرح المحاولات المسكونية لتحقيق الوحدة الكنسية والوحدة الوطنية، التي قام بها البطاركة ورؤساء الطوائف المسيحية في بياناتهم المشتركة بشأن الاحتلال الإسرائيلي. ومع ذلك، يظل السؤال قائما: ماذا سيحدث لوحدة الكنيسة والحوار بين الأديان، إذا لم تعد مصالح المجموعة متوافقة بل متعارضة مع بعضها البعض؟

---

[97] ميشيل صباح، "عظة في دير البينديكتين آيا ماريا صهيون في القدس، أحد العنصرة، 8 حزيران 2003"، الفقرة 3، في: صباح، المؤمن، ص 165 وما يليها.

[98] منيب يونان، "خدمة العبادة بمناسبة الذكرى السنوية في كنيسة الفادي اللوثرية في القدس"، الأحد 17 أيار 2009، في شهادتنا المشتركة: صوت من أجل العدالة والمصالحة، تحرير: منيب يونان (مينابوليس: مطبعة الجامعة اللوثرية، 2012)، 41-5. انظر أيضا: منيب يونان، الشهادة من أجل السلام في القدس والعالم (مينابوليس: مطبعة فورتيس، 2003).

[99] رفيق خوري، "مستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية في فلسطين"، مجلة اللقاء 11 و12 (1998)، 88-113. لاحظ أيضا سلسلة كتبه الخمسة: رفيق خوري، نحو لاهوت متجسد لتقدم بلدنا (بيت لحم: منشورات اللقاء، 2012)؛ رفيق خوري، الحضور المسيحي في المشرق العربي بين الماضي والحاضر والمستقبل (بيت لحم: منشورات اللقاء، 2014)؛ رفيق خوري، الآخر... نعمة أم نقيمة؟ (بيت لحم: منشورات اللقاء، 2016)؛ رفيق خوري، فلسطين في القلب (بيت لحم: منشورات اللقاء، 2017)؛ رفيق خوري، كتاب الأيام (بيت لحم: منشورات اللقاء، 2018).

[100] خوري، "العلاقات الإسلامية المسيحية"، 94.

4. بعض الملاحظات

رغم أن هذه المقالة ركزت بشكل خاص على النصوص التي كتبها علماء اللاهوت وقادة الكنيسة الفلسطينيين، إلا أن هناك تطورات موازية في التعبير الديني الشعبي، مثل الحج وتبجيل القديسين.[101] وعلاوة على ذلك، ينشط المسيحيون الفلسطينيون محليا في مجال المجتمع المدني والتعليم والرعاية الصحية والفنون.[102] ويشغل المسيحيون وعلى المستوى السياسي عددا محددا من المقاعد في برلمان السلطة الفلسطينية. كما كان للعديد من حركات التحرير السياسي الوطني، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وحركة الأرض، مؤسسون مسيحيون أيضا. وكانت هناك أيضا مشاركة مسيحية في الوفد الفلسطيني في عملية السلام في التسعينيات، من خلال السياسية الأنجليكانية الدكتورة حنان عشراوي (مواليد 1946).[103] وبالتالي فإن اللاهوت السياقي الفلسطيني يمثل نموذجا للمشاركة المجتمعية والسياسية المسيحية الفلسطينية الأوسع.

وبينما كان طيف اللاهوت السياقي الفلسطيني واسع ومتنوع، إلا أن جميع الأصوات ليست ممثلة بالتساوي. إذ يوجد هنا في اللاهوت الفلسطيني، على سبيل المثال، تمثيل ناقص للأصوات النسائية. هذا لا يعني أن النساء لم يلعبن أي دور في هذا الإحياء المسيحي. فقد كانت النساء الثلاث سيدار دعيبس ونورا كرمي وجان زارو جزءا من المجموعة التي ساعدت في تأسيس مركز السبيل. وبالمثل، تضم وثيقة كايروس فلسطين ثلاث نساء من بين مؤلفيها الخمسة عشر: سيدار دعيبس ونورا قرط ولوسي ثلجية. كما أشارت هذه المقالة إلى اللاهوتية الإنجيلية الفلسطينية رولا خوري منصور، التي قد يشير عملها المستمر إلى بداية مشاركة لاهوتية أوسع من قبل اللاهوتيات الفلسطينيات الشابات، اللاتي أصبحن الآن طالبات دراسات عليا. وقد تم في الوقت نفسه، في 22 كانون الثاني 2023، تكريس سالي عازار كأول راعية كنيسة عربية في إسرائيل / فلسطين في كنيسة الفادي اللوثرية في القدس.[104] ولا ينبغي لنا أن نقلل من شأن دور

---

[101] أنظر على سبيل المثال: إليزابيث مارتين، "الاستشهاد والتحرير والانتماء: دراسة اثنوغرافية حول التبجيل الشعبي للقديس جورج بين المسيحيين الفلسطينيين"، مجلة المسيحية العالمية 1/10 (2020)، 53-67؛ إليزابيث مارتين، "سياسات التفسير: فهم التاريخ التوراتي في الثقافة الريفية الفلسطينية"، دراسات في المسيحية العالمية 1/26 (2020)، 4-20؛ منيّر ومنيّر، "نزع الاستعمار عن لاهوت التحرير الفلسطيني"، 298-306.

[102] بول رو، "الملاذ المفتوح: منظمات المجتمع المدني المسيحية الفلسطينية وبقاء الأقلية المسيحية في إسرائيل وفلسطين"، مجلة الكنيسة والدولة، 4/58 (2016)، 1-19؛ شوملي، "المسيحيون الفلسطينيون".

[103] للمزيد عن المسيحية والسياسة في الشرق الأوسط، أنظر: كيل إليس، محرر. القومية العلمانية والمواطنة في الدول الإسلامية، المسيحيون العرب في بلاد الشام. (نيويورك: بالجريف ماكميلان، 2018)؛ محمد جيرما وكريستيان روموسيا. محرران، المواطنة المسيحية في الشرق الأوسط: الولاء المنقسم أم الانتماء المزدوج؟ (لندن وفيلادلفيا: جيسيكا كينجسلي للنشر. 2017)؛ فيونا مكالوم، "المشاركة السياسية المسيحية في العالم العربي"، الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية 1/23 (2012)، 3-18.

[104] حتى الآن، لم يتم تعيين راعيات عربيات للكنائس إلا في لبنان وسوريا. وقد تم تكريس رولا سليمان في 26 شباط 2017 في الكنيسة الإنجيلية المشيخية في طرابلس، كأول راعية كنيسة عربية في الشرق الأوسط. وبعد فترة وجيزة من تكريسها، في 24 آذار 2017، تم تكريس نجا كساب في الكنيسة الإنجيلية المشيخية في بيروت. وبعد عام، في 11 تشرين الثاني 2018، تم تكريس ريما نصر الله في الكنيسة الإنجيلية الوطنية في بيروت. وتم تكريس ليندا مكتبي في الكنيسة الإنجيلية الوطنية في بيروت للمرة الرابعة في 26 حزيران 2022. وحتى الآن، تعتبر ماتيلد صباغ هي القسيسة العربية الوحيدة النشطة في سوريا، تم تكريسها في 3 نيسان 2022 في الكنيسة

راهبات الوردية، التي أسستها الراهبة الفلسطينية ماري الفونسين دانيل غطاس (1843-1927) في 24 تموز 1880. وتدير هذه الرهبنة العربية الكاثوليكية الكنائس والمدارس والمستشفيات في الأراضي الفلسطينية، وإسرائيل ولبنان، والأردن، وسوريا، ومصر، والكويت، والإمارات العربية المتحدة.[105]

وهناك مجموعة أخرى لا تحظى بالقدر الكافي من التمثيل في مناقشة اللاهوت الفلسطيني، وهي طائفة المسيحيين الأرثوذكس الشرقيين، الذين يشكلون في الواقع أكبر جالية بين المسيحيين الفلسطينيين. وقد لعب علماء اللاهوت الفلسطينيون من المدرسة الغربية في اللاهوت . الروم الكاثوليك، والبروتستانت، والإنجيليون . الدور الرئيس في تشكيل اللاهوت السياقي الفلسطيني. وإن التفسير الأكثر ترجيحا لدورهم المهيمن، هو انخراطهم المباشر في مفاهيم الصهيونية المسيحية الأوروبية والأمريكية المتعلقة بعلم نهاية العالم، والأرض، والعهد. كان صراعهم مع هذه الأسئلة هو الذي ساهم في ظهور علماء اللاهوت السياقي الفلسطيني.

5. الخاتمة:

وصفت هذه الدراسة كيف تطور اللاهوت والمسيحية الفلسطينية منذ سبعينيات القرن العشرين، واستعرضت التطورات التاريخية في الثمانينيات والتسعينيات والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والتي جعلت رجال الدين واللاهوتيين الفلسطينيين أكثر صراحة. لقد شجعت أحداث مثل الانتفاضة الأولى وتوطين الزعامات الدينية، القادة المسيحيين الفلسطينيين على التحدث. ومنذ مطلع الألفية، أصبح اللاهوت الفلسطيني محليا بصورة أكبر، من خلال عدم إعطاء الأولوية للعلاقات المسيحية الدولية، ولكن من خلال التأكيد على أهمية النقاش اللاهوتي المحلي. لقد أصبحت المبادرات اللاهوتية السابقة مثل جمعية رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة، والبيانات المشتركة للبطاركة ورؤساء الطوائف المسيحية في القدس، واللاهوت المحلي لمركز اللقاء في بيت لحم، واللاهوت التحريري لمركز سبيل في القدس، غنية بتيارات لاهوتية أكثر حداثة، مثل لاهوت كايروس الفلسطيني، واللاهوت الإنجيلي الفلسطيني، واللاهوت الفلسطيني المناهض للاستعمار. ويمكن الآن أن نتحدث عن مجموعة منهجية من علماء اللاهوت الفلسطيني، تحتوي على تأمل لاهوتي حول مفاهيم التحرير، والمصالحة، والشهادة، والحوار بين الأديان والمسكونية.

لقد كانت أهمية "السياق" واضحة طوال هذه المقالة. وهناك طريقتان مختلفتان أثر بهما السياق على اللاهوت الفلسطيني. يعتمد لاهوت التحرير على "سياق المقاومة المشتركة"، الموجود في أماكن مثل القدس، حيث يعيش المسيحيون مع المسلمين ضد المحتل الإسرائيلي.

الإنجيلية الوطنية في الحسكة. لم يتم ذكر القسيسات العربيات الناشطات خارج الشرق الأوسط، والقسيسات غير العربيات (الغربيات) في الشرق الأوسط في هذه القائمة.

[105] ويلي يانسن، "نساء عربيات في رسالة: راهبات الوردية"، في: الشهادة المسيحية بين الاستمرارية والبدايات الجديدة: البعثات التاريخية الحديثة في الشرق الأوسط، تحرير: مارتن تامكي ومايكل مارتن (برلين: ليت فيرلاغ، 2006)، 41-46.

وعلى النقيض من ذلك، فإن اللاهوت الذي يركز على المصالحة والشهادة يميل أكثر نحو "سياق التعايش": العيش بسلام مع الآخر، مع اليهود ومع المسلمين.

وباستثناء قِلة مختارة مثل نعيم عتيق، ومتري راهب، ومنذر إسحاق، فإن علماء اللاهوت الفلسطينيين - وعلماء اللاهوت في الشرق الأوسط بشكل عام - لم يكتسبوا سوى القليل من النفوذ في الدراسات اللاهوتية الغربية أو في مجال المسيحية العالمية. لقد أدى سوء الفهم في الغرب، والهجرة المستمرة، والطائفية المتنامية، إلى التقليل من أصوات المسيحيين الفلسطينيين ومشاركتهم العامة. ولكن من ناحية أخرى، سلطت حرب إسرائيل وحماس الضوء على مصير المجتمع الصغير من المسيحيين في غزة، ووفرت منصة لعلماء اللاهوت المسيحيين الفلسطينيين لرفع مكانتهم العامة في سياق الأزمة الإنسانية والهجرة المتزايدة.

تشير أمثلة علماء اللاهوت الفلسطينيين المذكورة في هذه المقالة، إلى أن الأمل في المستقبل لم يُفقَد. ويعمل هؤلاء حاليا على إزالة الاستعمار من الخطاب اللاهوتي، وإضفاء طابع محلي عليه، من خلال نشر المزيد من الأعمال باللغة العربية، والعمل مع علماء اللاهوت العرب في أجزاء أخرى من الشرق الأوسط. وسوف تكون مهمة علماء اللاهوت الآخرين في العالم، هي التعامل معهم وتحفيزهم، وإشراك هؤلاء العلماء الفلسطينيين في مناقشاتهم اللاهوتية الدولية.

حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه بالعنف وتبريره "كتابيا"

في ضوء لاهوت بونهوفر

أولريش ديترو، دكتوراه
جامعة هايدلبرغ، ألمانيا

الملخص:

إن "صرخة الأمل الفلسطينية: هي دعوة إلى اتخاذ القرار والعمل" تحت شعار: "لا يمكننا أن نخدم الله بينما نلتزم الصمت إزاء اضطهاد الفلسطينيين!" والموجهة إلى كنائس العالم، تستند إلى لاهوت ديترك بونهوفر. كتب بونهوفر في عام 1933، إذا حرمت الدولة مجموعة من مواطنيها من حقوقهم، أو انتهكت تفويضها بالتدخل في أمور الإيمان، فإن هذا يشكل "حالة إيمان" (status confessionis). وهذا يعني أن الكنيسة المسيحية لابد أن تتخذ موقفا حازما وتقاوم الدولة. فماذا يعني هذا بالنسبة للقمع العنيف الحالي للشعب الفلسطيني من قبل دولة إسرائيل؟ والرد هو أن هذا الحرمان المنهجي من الحقوق من خلال العنف المباشر والمنهجي والثقافي (الرمزي)، والذي يرقى إلى مستوى الفصل العنصري، والتطهير العرقي الاستيطاني الاستعماري، والآن حتى الإبادة الجماعية، يتوافق تماما مع ما كتبه بونهوفر عن اليهود في بداية الحكم النازي. إضافة إلى ذلك، فإن الصهيونية العنيفة (المسيحية) - وليس أسلوب مارتن بوبر في الحوار - تسيء استخدام الكتاب المقدس لتبرير هذا الظلم البنيوي، مما يجعله بدعة يجب رفضها من قبل الكنائس المسيحية. وقد بدأ مجلس الكنائس العالمي بدراسة هذه القضية بهدف التوصل إلى قرار واضح.

الكلمات المفتاحية: حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه، العنف، الصهيونية، الفهم الكتابي لقضية الأرض، موضوع الإيمان.

مقدمة

أصدرت كايروس فلسطين، وكايروس العالمية من أجل العدالة "صرخة لأمل: دعوة لاتخاذ القرار والعمل" في 1 تموز 2020، تحت شعار "لا يمكننا أن نخدم الله، بينما نلتزم الصمت إزاء اضطهاد الفلسطينيين!" وهي تنص على ما يلي:

> ندعو جميع المسيحيين والكنائس على المستويات الجماعية والطائفية والوطنية والعالمية المسكونية، إلى الانخراط في عملية الدراسة والتأمل والاعتراف. إن القضية هي حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه التاريخية والمنهجية، وإساءة استخدام الكتاب المقدس من قبل الكثيرين، لتبرير ودعم هذا القمع. ندعو الكنائس إلى التفكير في كيفية تعبير تقاليدها الخاصة عن الواجب المقدس للحفاظ على سلامة الكنيسة، والإيمان المسيحي فيما يتعلق بهذه القضية.[106]

لقد كانوا يشيرون في هذا السياق، إلى ديترك بونهوفر، الذي ذكر في مقالة "الكنيسة والمسألة اليهودية" عام 1933، أن حرمان اليهود من حقوقهم المدنية والسياسية على يد النظام النازي، وتدخل الدولة في الشؤون الدينية، كان يعني "حالة إيمان" للكنيسة.[107] وآمل أن أظهر في هذا المقال، أن نفس الحجة تنطبق على حرمان الفلسطينيين من حقوقهم بالقوة على يد دولة إسرائيل، وتبرير هذا الظلم بالكتاب المقدس من قبل الصهيونية، وخاصة الصهيونية المسيحية.

طرد الفلسطينيين وحرمانهم من حقوقهم بالعنف المباشر:

سأتحدث أولا عن العنف المباشر، ثم فيما بعد عن العنف البنيوي والثقافي.[108] كانت القوى الاستعمارية، إنجلترا وفرنسا، قد وعدت الدول العربية، التي ساعدتها في هزيمة الإمبراطورية العثمانية، بأنها ستمنحها الاستقلال بعد تحقيق النصر. لكنها خالفت هذا الوعد بتقسيم الأراضي فيما بينها، في اتفاقية سايكس بيكو السرية عام 1916.[109] ونتيجة لذلك، عانت المنطقة أولا من العنف الاستعماري. ثم قام هذا الاستعمار بتمكن الحركة الصهيونية، ثم دولة إسرائيل، من تنفيذ ما يسمى بالاستعمار الاستيطاني - أي مثل ما حدث في أمريكا الشمالية وجنوب إفريقيا وأستراليا ونيوزيلندا، حيث قام المستعمرون بشكل مباشر وغير مباشر، بتهجير

---

[106] ميشيل صباح ورفعت قسيس، "صرخة أمل: نداء إلى عمل حاسم"، 1 تموز 2020.

[107] من الجدير بالذكر أن عام 1933 لم يكن بعد عن الهولوكوست، بل كان عن الحرمان من الحقوق المدنية والسياسية، لذا فإن المقارنة مع مواقف مماثلة أخرى مشروعة. بونهوفر، "الكنيسة والأسئلة اليهودية"، 366.

[108] حول العنف البنيوي والثقافي، أنظر: يوهان جالتونج، "العنف الثقافي"، 291-305.

[109] مكتبة القانون ليليان جولدمان، "اتفاقية سايكس بيكو: 1916"، مشروع أفالون: وثائق في القانون والتاريخ والدبلوماسية.

السكان الأصليين بالقوة.[110] ويهدف الاستعمار إلى الاستغلال، بينما يهدف الاستعمار الاستيطاني إلى استبدال السكان الأصليين.

وبخلاف الجمهور الألماني، ليست هناك حاجة لتكرار رؤى "المؤرخين الجدد" للفلسطينيين، حول الأفعال الفردية وتسلسل العنف أثناء النكبة. إن ما هو مهم هو أن العنف الصهيوني المتمثل في التطهير العرقي، بدأ مباشرة بعد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين في 29 تشرين الثاني عام 1947 – وكانت لا تزال تحت الانتداب البريطاني - وليس فقط بعد أن أعلنت الدول العربية الحرب، بعد تأسيس دولة إسرائيل في 14 أيار عام 1948.[111]

بلغ العنف ذروته مرة أخرى في حرب الأيام الستة التي شنتها إسرائيل عام 1967، والتي أعلنتها كحرب استباقية. وقد أدت إلى احتلال الأراضي الفلسطينية المتبقية في الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان والقدس الشرقية. ومنذ ذلك الحين، استمر العنف يوما بعد يوم بأشكال مختلفة. وقد وصفت نادرة شلهب كيفوركيان الآثار النفسية لهذه السياسة العنيفة التي تنتشر بصورة سريعة، في كتابها الصادر عام 2015 بعنوان "لاهوت الأمن والمراقبة وسياسة الخوف".

وتم في الوقت نفسه، تحديد هذا الاستبداد الإسرائيلي للشعب الفلسطيني على أنه نظام فصل عنصري، يفرض الاستعمار الاستيطاني بشكل مستدام. وقد لاحظت ووثقت هذا، العديد من منظمات حقوق الإنسان، مثل بتسيلم، وهيومن رايتس ووتش، ومنظمة العفو الدولية، ومؤسسة الحق، وكذلك الأمم المتحدة.[112] وقد أظهرت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) في الأمم المتحدة هذا الفصل العنصري بصورة واضحة - في حين لم تقم الجمعية العامة بذلك حتى الآن.[113] ورغم ذلك، تذهب المقررة الخاصة المعنية بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية، فرانشيسكا البانيزي إلى أبعد من ذلك. إنها تشير إلى أنه في الوقت الذي يظهر مفهوم الفصل العنصري الطبيعة النظامية للقمع، هناك حقائق أخرى يجب الإشارة إليها، والتي تتعارض مع القانون الدولي: (1) إنكار حق العودة أو التعويض للاجئين؛ (2) عدم شرعية الاحتلال بموجب القانون الدولي، بما في ذلك سرقة الأراضي وتجاهل حق

---

[110] أنظر: بترا وايلد، الفصل العنصري والتطهير العرقي في فلسطين: الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بالقول والفعل.

[111] أنظر: إيلان بابي، التطهير العرقي لفلسطين؛ بيني موريس، ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من جديد.

[112] أنظر: بتسيلم. "نظام تفوق يهودي من نهر الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط: هذا هو الفصل العنصري؛ هيومن رايتس ووتش، تجاوز العتبة: السلطات الإسرائيلية وجرائم الفصل العنصري والاضطهاد؛ منظمة العفو الدولية، الفصل العنصري الإسرائيلي ضد الفلسطينيين: نظام هيمنة قاس وجريمة ضد الإنسانية؛ رانيا محارب وآخرون، الفصل العنصري الإسرائيلي: أداة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني. قامت منظمة كايروس فلسطين وشبكتها الدولية كايروس العالمية للعدالة بتجميع وتقييم لاهوتي لكل الوثائق المتعلقة بالفصل العنصري في إسرائيل: أنظر: كايروس فلسطين وكايروس العالمية للعدالة، ملف عن الفصل العنصري الإسرائيلي. أنظر أيضا قرار الكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية: "حول الاعتراف بأن قوانين إسرائيل وسياساتها وممارساتها تشكل فصلا عنصريا ضد الشعب الفلسطيني.

[113] اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة (الإسكوا)، "الممارسات الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني ومسألة الفصل العنصري، فلسطين والاحتلال الإسرائيلي"، العدد رقم 1.

الفلسطينيين في تقرير المصير؛ (3) والسبب الجذري، الاستعمار الاستيطاني، بما في ذلك جرائم الحرب بموجب نظام روما الأساسي.[114]

إن الفصل العنصري ليس مجرد مقارنة بجنوب أفريقيا. ولكن تم منذ ذلك الحين، تعريف الفصل العنصري بوضوح وبشكل عام بموجب القانون الدولي، وأحدث تعريف له في نظام روما لعام 1998 للمحكمة الجنائية الدولية، بأنه جريمة ضد الإنسانية. وفيما يلي مقدماته:

1. تهيمن مجموعة عرقية واحدة على أخرى وتضطهدها.

2. تمارس أعمالا غير إنسانية ووحشية، مثل القتل أو القتل التعسفي أو السجن أو التهجير.

3. كل هذا بشكل منهجي ومؤسسي، وكذلك بشكل دائم.

4. وبقصد الهيمنة.[115]

ولقد أوضحت منظمة العفو الدولية بشكل كامل أن دولة إسرائيل، من حيث القوانين والسياسات والممارسات، تنطبق عليها كل هذه الشروط - وتفعل ذلك لجميع شرائح الشعب الفلسطيني المجزأة. وقد فتحت المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي تحقيقات في جرائم الحرب في عام 2021، وفي الإجراءات العسكرية الإسرائيلية في حرب غزة عام 2014، بما في ذلك دور حماس، وفي الوقت نفسه، فيما يتعلق أيضا بالفصل العنصري.[116]

نبذة مختصرة عن العنف المضاد الفلسطيني: لقد كانت هناك محاولتان من قبل الفلسطينيين لتغيير وضع العنف من خلال العنف المضاد: الانتفاضة الأولى والثانية (1987-1990 و2000). وتجدر الإشارة إلى أن هذه أعمال مقاومة مشروعة ضد الاحتلال غير القانوني بموجب القانون الدولي. ورغم ذلك، وفقا للمعايير المعمول بها، يجب التمييز بين المقاتلين والمدنيين، وهو ما لم يلتزم به الجانب الفلسطيني دائما. صحيح أن الهجمات الصاروخية المتكررة من قطاع غزة على الأراضي الإسرائيلية، تسبقها عادة عمليات قتل مستهدفة أو استفزازات إسرائيلية أخرى. ورغم ذلك، يجب أيضا انتقاد أي عنف مضاد يعرض حياة المدنيين

[114] فرانشيسكا البانيز، حالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967، الجمعية العامة للأمم المتحدة، 2022.

[115] أنظر: المحكمة الجنائية الدولية، نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (مؤتمر روما، 17 تموز 1998).

[116] ناهد سمور، "تطورات القانون الدولي في فلسطين-إسرائيل"، في: "أديان من أجل العدالة في فلسطين-إسرائيل"، المجلد الثاني: الرد المسكوني على انتهاكات القانون الدولي والفصل العنصري، تحرير أولريش ديترو ومارك برافرمان. 73-82.

للخطر. وهذا صحيح بشكل خاص فيما يتعلق بمذبحة حماس في 7 أكتوبر 2023. كما يتعين علينا أن نتذكر أن المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب إفريقيا في ظل نظام الفصل العنصري، كان مقنعا وفعالا للغاية بكفاحه المسلح، لأنه التزم بدقة بالقانون الدولي، من خلال تقييد نفسه بالتخريب والهجمات العسكرية على المقاتلين (الشرطة والقوات العسكرية). وقد اختار القسم الأكبر من الفلسطينيين منذ عام 2005 المقاومة السلمية، وهذه نقطه سيتم العودة إليها.

ألمانيا والغرب بأكمله كجزء من نظام العنف:

لا توجد الآن مشكلة العنف المباشر لدولة إسرائيل فحسب، بل العنف البنيوي (النظامي) والثقافي (الرمزي) أيضا. وفيما يتعلق بالعنف النظامي، فإن انغماس إسرائيل في الغرب، والذي تحدده هيمنتها من خلال الولايات المتحدة، هو الشرط الذي يسمح لدولة إسرائيل بالحفاظ على حكمها العنيف دون عقاب. ويمكنها من فرض وتمويل احتلالها الذي يتعارض مع القانون الدولي، واستعمارها للأراضي المحتلة، وحرمان الفلسطينيين من حقوقهم بشكل تدريجي. لأن الولايات المتحدة وألمانيا والاتحاد الأوروبي، على وجه الخصوص، تسمح لإسرائيل بأن تفعل ما تريد، وتدعمها عسكريا وسياسيا وماليا - رغم كل المداهنة في شكل احتجاجات في بعض الأحيان.

ويلخص رئيس الكنيست السابق أبراهام بورغ الأمر بعد التحول نحو اليمين في انتخابات عام 2022، وانتصار الأحزاب الفاشية:

فقط الحماية المطلقة من ألمانيا والولايات المتحدة لا تزال تقف بين إسرائيل وإدانة تشوهاتها السياسية.[117]

وتقوم الولايات المتحدة في الأمم المتحدة بشكل خاص، بمنع أي إجراء لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة. علاوة على ذلك، تقدم 3.8 مليار دولار أمريكي سنويا كمساعدات عسكرية فقط لجيش الاحتلال. وتقدم ألمانيا مساعدات إنسانية وتنموية، وتشارك في تمويل سلطة الحكم الذاتي، وتخفف بالتالي عن إسرائيل تكاليف الاحتلال. كما أنها تزود إسرائيل بغواصات مدعومة من دافعي الضرائب، والتي يمكن تحويلها إلى قاذفات قنابل نووية، وتسمح أيضا للجنود الألمان بالتدريب على القتال من منزل إلى منزل مع جنود إسرائيليين، وقد تم اختبار ذلك في حرب غزة، رغم أن إجراءات الأمم المتحدة القائمة ضدهم بتهمة ارتكاب جرائم حرب. إضافة إلى ذلك، توجد حاليا مشاريع مشتركة للتدريب على الحرب السيبرانية. وبصورة مختصرة، تقول الخبيرة الاقتصادية الإسرائيلية شير هيبر : "يجب أن نقول بوضوح تام أن نظام الفصل العنصري الإسرائيلي لم يكن ممكنا، ولا يمكن أن يستمر دون الدعم الدولي".[118] ورغم أن الشرط الأساسي

[117] بورغ، 2022

[118] شير هيبر، ماذا تعني العلاقات الاقتصادية بين أوروبا وإسرائيل؟ في: أولريش ديترو وهانز أولريش، أديان من أجل العدالة في فلسطين-إسرائيل- تجاوز نفي لوثر للآخر، 25.

للتحرير هو الصمود الفلسطيني، فإن الولايات المتحدة وألمانيا تحملان المفتاح لجعل إسرائيل تنفذ القانون الدولي وتحترم حقوق الإنسان.

ورغم ذلك، فإن الأمر الأكثر خطورة هو المشاركة في العنف المنهجي، وهو الدور الرائد الذي تلعبه ألمانيا في العنف الثقافي ضد الشعب الفلسطيني. وقد تم توضيح ذلك الآن بدقة في أطروحة سارة البلبيسي: "المحرم والصدمة والهوية-حول الفلسطينيين في ألمانيا وسويسرا، 1960-2015".[119] لقد أجرت الباحثة 39 مقابلة سردية ذاتية مع فلسطينيين في ألمانيا وسويسرا من عام 2010 إلى عام 2015. فقد عانى الجيل الأول بالفعل من العنف في شكله الثقافي والرمزي، لكن الجيل الثاني يعاني منه أكثر من ذلك بكثير. ويتلخص هذا في حقيقة أن السرد الفلسطيني، وخاصة في ألمانيا، يتم قمعه بطريقة شاملة ومتعددة الأوجه. إن النكبة الفلسطينية لا يمكن تصورها بدون كارثة المحرقة. لذا، فإن الألمان لم يتحملوا ذنبا واحدا فحسب، بل اثنتين: لذا لا ينبغي لهم أن يدافعوا عن حقوق الشعب اليهودي فحسب، بل وأيضا، وعلى وجه الخصوص، عن حقوق الفلسطينيين، لكنهم لا يفعلون ذلك.

لقد كان هذا القمع للنصف الثاني من الذنب الألماني، والمسؤولية المشتركة باعتبارهما عنفا ثقافيا، واضحا في جمهورية ألمانيا الاتحادية منذ البداية. وهناك أيضا دراسة جديدة حول هذا الموضوع أجراها دانييل مارفيكي، "ألمانيا وإسرائيل - التبييض وبناء الدولة 2020". وهو يوضح كيف كان التفاهم الكامل قائما بين أديناور وبن غوريون على حقيقة مفادها أن ألمانيا أرادت تبرئة نفسها من الذنب، من خلال التركيز على التعويضات لليهود، وبالتالي أن تصبح جزءا من المجتمع الإمبراطوري الغربي مرة أخرى. "لقد منحت ألمانيا إسرائيل سلطة الغفران، واستخدمت الدولة الإسرائيلية هذه السلطة للحصول على الدعم المادي لتعزيز نفسها".[120] وإنه من الأهمية بمكان بالنسبة لمسؤولية ألمانيا المشتركة عن وضع الفلسطينيين، الحقيقة التي ظلت سرية عن العامة في ذلك الوقت- أن ألمانيا قد عوضت عن ذلك في المقام الأول، من خلال بناء الجيش الإسرائيلي قبل أن تتولى الولايات المتحدة هذا الدور في عام 1967. وهذا يعني أن "القوة العسكرية التي أظهرتها إسرائيل في حرب الأيام الستة الحاسمة، لم يكن من الممكن أن تتطور إلى هذا المستوى، لولا الدعم المسبق من جانب جمهورية ألمانيا الاتحادية".[121] وبناء على ذلك، فإن احتلال فلسطين منذ عام 1967، جاء أيضا بمساعدة ألمانية. وتشارك ألمانيا اليوم في تمويل الاحتلال:

ومن الإنصاف أن نقول... إن المساعدات الاقتصادية لم تساهم حتى الآن إلا في دعم العملية، ولم تؤد إلى السلام. ونتيجة لهذا، فإن التركيز على الإغاثة الإنسانية والحفاظ على السلطة الفلسطينية، يعني في الواقع دعم الاحتلال الإسرائيلي.[122]

---

[119] سارة البلبيسي توسع فئات جالتونج بفئات مماثلة لسلافوي جيجيك، العنف: ستة تأملات جانبية.

[120] دانيال مارفيكي، ألمانيا وإسرائيل – التطهير وبناء الدولة، 224.

[121] المرجع السابق، 21.

[122] المرجع السابق، 211.

وفي ختام حديثه، يقول مارفيكي:

في الوقت الحالي، يبدو الأمر وكأن ألمانيا ستواصل لعب دورها في دعم الوضع غير القابل للاستمرار بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وهو الوضع الذي ساهمت فيه تاريخيا بطرق عديدة...[123]

وتعبر شارلوت فيدمان عن نفس الرأي في كتابها "فهم آلام الآخرين: الهولوكوست والذكرى العالمية":

... لأن الاتفاق مع إسرائيل مهد الطريق لإعادة تأهيل الجمهورية الاتحادية دوليا ودمجها في الغرب... وقد ساعد وجود إسرائيل الألمان على تبرئة أنفسهم من المسؤولية عن الهولوكوست، والتي لم يعترف بها أغلبهم.[124]

وهي تعتقد أن هذا له آثار خطيرة على ثقافة الذكرى في ألمانيا. إن "التاريخ اليهودي ينحصر في الصهيونية"، ولا يتم إدراك التنوع التاريخي والحالي لليهودية.[125] "من الواضح أن هناك حاجة ألمانية للتماهي مع إسرائيل والصهيونية بطريقة غير مشروطة، لدرجة أنه قد يقال لليهود الذين يفكرون بخلاف ذلك، أنهم يؤيدون "حلا نهائيا" جديدا.[126] "نحن نفدي أنفسنا بالتماهي مع الضحايا..."[127] في مقابل هذا، فإنها تضع فهم آلام الآخرين - في هذه الحالة، اليوم، آلام الفلسطينيين.

يشخص عالم اللاهوت التحريري اليهودي مارك إليس شيئا مشابها في السياسة والمجتمع الألماني، فيما يرتبط بتطور الحوار المسيحي اليهودي في ألمانيا. إن ألمانيا تعترف بالجهود التي بذلها المسيحيون في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية للتوبة عن خطيئة معاداة اليهودية والمحرقة باعتبارها "ضرورية وثورية".[128] ورغم ذلك، فإن هذا التقارب طالب عمليا بضحايا - الشعب الفلسطيني. أصبح الحوار صفقة من نواح كثيرة: "المسيحيون يتوبون عن خطاياهم، ويتمسكون بإسرائيل، ويصمتون بشأن القضية الفلسطينية. الصمت مطلوب بشأن الفلسطينيين، وإلا فإن الاتهام سيكون بأن المسيحيين عادوا إلى معاداة السامية التي تخلوا عنها سابقا".[129]

---

[123] المرجع السابق، 229.

[124] شارلوت فيدمان، فهم آلام الآخرين: المحرقة وذاكرة العالم ، 241

[125] المرجع السابق، 255

[126] المرجع السابق، 255

[127] المرجع السابق ، 268.

[128] . مارك إليس، "عوامل تمكين التوبة – المسيحيون الألمان، المحرقة وعودة القوة الألمانية: تأملات من لاهوت التحرير اليهودي،"، في: التضامن بين الأديان من أجل العدالة في فلسطين وإسرائيل - تجاوز نفي لوثر للآخر.

[129] إليس، "تمكين التوبة"، 61.

يتم في السياسة والمجتمع والكنيسة بشكل دائم، إخفاء المسؤولية التاريخية والحالية لألمانيا عن الوضع في فلسطين. لا تمارس ألمانيا العنف الثقافي بشكل سلبي فقط ضد الشعب الفلسطيني، بل بنشاط. وإن المثال الأكثر وضوحا هو تجريم المقاومة السلمية للفلسطينيين ضد نظام الفصل العنصري الإسرائيلي في حملة مقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS). أدان البرلمان الألماني بأكمله (البوندستاغ) باستثناء حزب اليسار، حركة مقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات، باعتبارها معادية للسامية. وقد أقر البرلمان الألماني في 17 أيار 2019، قرارا - ضد استنكار أصوات العلماء والمحامين الإسرائيليين واليهود[130] - بعدم منح المساحات العامة أو الأموال للمنظمين والمنظمات التي يمكن أن ترتبط بحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات، بأي شكل من الأشكال. وإن المؤسسات العامة الوحيدة في ألمانيا التي لا تزال تلتزم بالقانون المعمول به في هذا الشأن هي المحاكم. وذلك لأن جميع الدعاوى القضائية التي رفعها منظمو الفعاليات ضد المجالس البلدية أو المؤسسات مثل كاريتاس ميونيخ، التي أرادت منع تسليم الغرف المتفق عليها تعاقديا، كانت ناجحة. المنطق الواضح للمحكمة: حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات ليست معادية للسامية، وتندرج تحت المادة 5 من القانون الأساسي لحماية حرية التعبير. ومؤخرا، حكمت المحكمة الإدارية الفيدرالية على أعلى مستوى على مدينة ميونيخ بإطلاق سراح "الغرف" لحدث خاص بحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات.[131] لذا فإن قرار البوندستاغ بمنع المقاومة اللاعنفية لعنف الدولة الإسرائيلية، لا يستند فقط إلى الأكاذيب والتلميحات، بل إنه غير دستوري. ولهذا السبب، فإن دعوى قضائية ضد قرار البوندستاغ جارية أيضا.[132]

لقد أصبحت هناك بنية تحتية في ألمانيا، تسعى إلى منع مناقشة قضية فلسطين علانية وبشكل مفتوح. ومن بين الجهات الفاعلة بشكل خاص في هذا الهدف، الجمعيات الألمانية الإسرائيلية التي يقودها عضو البرلمان السابق من حزب الخضر فولكر بيك،[133] ومفوضي معاداة السامية في الحكومة الفيدرالية والولايات والكنائس، والمجموعة التي تطلق على نفسها اسم "معادو الألمان".[134] وهم يستخدمون تعريف معاداة السامية الذي وضعه التحالف الدولي

[130] أنظر: "دعوة من 240 عالمًا يهوديا وإسرائيليا إلى الحكومة الفيدرالية بشأن حركة المقاطعة ومعاداة السامية"، 3 حزيران 2019, https://de.scribd.com/document/412474418/Aufruf-von-240-Judischen-und-Israelischen-Wissenschaftlern-an-die-Bundesregierung-zu-BDS-und-Antisemitismus (شوهد في 16 تموز 2024).

[131] أنظر: حكم المحكمة الإدارية الفيدرالية " إن قيود الإهداء المتعلقة بالموضوع تنتهك حرية التعبير، 20 كانون الثاني 2022، Nr. 6/2022، https://www.bverwg.de/de/pm/2022/6 (شوهد في 16 تموز 2024).

[132] أنظر: البوندستاغ من أجل فلسطين، https://www.bt3p.org/de/home (شوهد في 26 تموز 2024).

[133] على سبيل المثال، انظر حملته ضد مجلس الكنائس العالمي (WCC) وكايروس فلسطين أمام جمعية مجلس الكنائس العالمي، آخر أخبار بادن BNN، 21 أيار 2022.

[134] روبرت كورتس، الأيديولوجية المعادية لألمانيا: من معاداة الفاشية إلى الإمبريالية في أوقات الأزمات: نقد الطائفية اليسارية الألمانية الأخيرة في أنبيائها النظريين، أنظر أيضا الفيلم الوثائقي "زمن الافتراءات" مع المؤرخ موشيه زوكرمان الذي تم عرضه لأول مرة على موقع يوتيوب في 22 أيار 2022، من إخراج درور دايانا ند وسوزان ويت ستال، مشروع التنوير النقدي، https://www. .youtube.com/watch?v=8mYNLAykdZM (شوهد في 16 تموز 2024)

لإحياء ذكرى الهولوكوست، والذي تم تغييره تحت تأثير إسرائيل، لوصم أي انتقاد لدولة إسرائيل بأنه معاد للسامية.[135] ويعملون باستخدام الخوف لوصفهم بمعاداة السامية، ويقنعون الأغلبية في السياسة والكنائس ووسائل الإعلام بقمع الواقع الفلسطيني، وانتقاد انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي. وحتى الآن، ليس من الواضح أن الساسة يأخذون الانتقادات المتعددة لتعريف التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست على محمل الجد، ويستبدلونه بإعلان القدس بشأن معاداة السامية، والذي خضع منذ ذلك الحين لإعادة صياغة علمية.[136]

القمع العنيف وحرمان الفلسطينيين من حقوقهم وتبريره اللاهوتي في ضوء لاهوت بونهوفر

غالبا ما يسأل الناس، "لماذا تنتقد إسرائيل إلى هذا الحد؟ لأنه في نهاية المطاف، هناك الكثير من الظلم في العالم". وإن إحدى الإجابات بسيطة: لأن دولة إسرائيل تبرر جرائمها العنيفة ضد القانون الدولي وحقوق الإنسان بالكتاب المقدس. وعلاوة على ذلك، هناك صهاينة مسيحيون يفعلون الشيء نفسه. وبالتالي، من الأهمية بمكان توضيح قضية إسرائيل وفلسطين لاهوتيا وحلها كنسيا. ولتحقيق هذه الغاية، تشير "صرخة الأمل" إلى بونهوفر. وفي مقالته التي تم ذكرها "الكنيسة أمام المسألة اليهودية"، يقول عن الكنيسة:

... يمكنها ويجب عليها، لأنها على وجه التحديد لا تعالج الحالات الفردية أخلاقيا، أن تستمر في سؤال الحكومة عما إذا كان يمكن تبرير أفعالها باعتبارها أفعال دولة مشروعة، أي أفعال تخلق القانون والنظام، وليس الافتقار إلى الحقوق والفوضى. إن الكنيسة مطالبة بطرح هذا السؤال بقوة قدر الإمكان، حيثما تبدو الدولة معرضة للخطر على وجه التحديد في طابعها كدولة، أي في وظيفتها المتمثلة في وضع القانون وتطبيق النظام بالقوة. وسوف يكون لزاما على الكنيسة أن تطرح هذا السؤال بأقصى قدر من الوضوح اليوم في موضوع المسألة اليهودية.[137]

---

[135] تم الإضافة إلى التعريف العملي الأصلي للتحالف الدولي لإحياء ذكرى المحرقة (IHRA) 11 مثالا لمعاداة السامية لاحقا، سبعة منها تتعلق بانتقاد إسرائيل. أنظر: شير هيبر، "ماذا تعني العلاقات الاقتصادية بين أوروبا وإسرائيل؟" لاحقا، الشخص المسؤول في الأصل عن التعريف، كينيث ستيرن، وقد نأى ستيرن بنفسه عنها (انظر كينيث ستيرن، "شهادة مكتوبة لكينيث ستيرن، المدير التنفيذي لمؤسسة العدالة، وكارين روزنبرج أمام لجنة القضاء بمجلس النواب الأمريكي"، 7 تشرين الثاني 2017، جلسة استماع بشأن مكافحة السامية في الحرم الجامعي، https://docs.house.gov/meetings/JU/JU00/20171107/106610/HHRG-115-JU00-Wstate-SternK-20171107.pdf (شوهد في 16 تموز 2024). انظر أيضا: بيتر أولريش، "رأي الخبراء بشأن "التعريف العملي لمعاداة السامية" للتحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست"، مؤسسة روزا لوكسمبورج والجمعية الطبية الدولية، آذار 2019، https://www.rosalux.de/publikation/id/41168/gutachten-zur-arbeitsdefinition-antisemitismus-der-international-holocaust-remembrance-alliance (شوهد في 16 تموز 2024).

[136] أنظر: "إعلان القدس بشأن معاداة السامية، 2020"، https://jerusalemdeclaration.org (شوهد في 16 تموز 2024).

[137] بونهوفر، الكنيسة والمسألة اليهودية، في برلين: 1932-1933، 364. التأكيد الأصلي.

ثم اتبع المعايير لقرار الكنيسة:

وبهذا، فإن الكنيسة سوف ترى بطبيعة الحال أن الدولة مقيدة بطريقتين. فإما أن يكون القانون والنظام ضعيفا، أو أن يكون القانون والنظام مطبقا بصورة جيدة، وهذا ما يجبر الكنيسة على الكلام. فالقانون والنظام الضعيف يحرم مجموعة من الناس من حقوقها...[138]

وينبغي لنا من الناحية التاريخية، أن نلاحظ أولا، أنه في عام 1933 لم تكن القضية بعد إبادة اليهود، بل كانت الحرمان من الحقوق المدنية والسياسية. ولهذا السبب، فإن المقارنة مع بلدان أخرى أصبحت مشروعة. وبالتالي فإن هذه المقارنة الملموسة بين حرمان اليهود في ذلك الوقت، والفلسطينيين اليوم، لا تقارن إسرائيل بألمانيا النازية على الإطلاق. ماذا يعني في حالة إسرائيل وفلسطين "التدخل الضعيف للدولة"، يعني "حرمان من الحقوق"؟ تتجاهل إسرائيل وتنتهك جميع قرارات الأمم المتحدة بموجب القانون الدولي. ويظهر كل ما قيل أعلاه عن الفصل العنصري ضرورة وجود دور هنا. إذا كانت الكنيسة - وفقا لبونهوفر - تحذر الدولة من أجل الوفاء بولايتها، فإنها تحمي الدولة من التدمير الذاتي، وإن هذا له آثار واضحة على تصرفات الحكومة الإسرائيلية الحالية التدميرية.

فيما يتعلق بـ "التدخل الإضافي للدولة"، لا تتدخل الدولة الإسرائيلية بشكل مباشر في إعلان الكنائس ونظامها، لكنها تبرر تصرفاتها الظالمة بالكتاب المقدس.[139] ولهذا يمكنك الآن الاعتراض بأن الكنيسة المسيحية لا تتأثر عندما تقرأ دولة تطلق على نفسها اسم يهودية من الكتاب المقدس العبري، شيئا لا يتوافق مع العقيدة المسيحية. وهنا من المثير للاهتمام أن نرى أن المؤلف اليهودي مارك برافرمان يردد صدى بونهوفر، وبالتالي يدعو الكنائس إلى الاستجابة، كما فعلت في العصر النازي، وفي جنوب أفريقيا في عهد الفصل العنصري، بالاعتراف والمقاومة لإساءة استخدام الكتاب المقدس لتبرير الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، والانتهاك المرتبط به للقانون الدولي وحقوق الإنسان.[140]

لا يمكن تبرير الصهيونية المسيحية على الإطلاق من الناحية الكتابية. فهي غالبا ما ترتبط بمعاداة السامية. ويقرأ أتباعها الأصوليون النصوص التنبؤية على أنها تعني أن عودة

---

[138] المرجع السابق، 364. التأكيد مني.

[139] ومع ذلك، لا تمنع السلطات الجماعات المتطرفة بشكل كاف من استهداف الكنائس والمسيحيين. أنظر: احتجاج قادة الكنيسة المحلية: البطاركة ورؤساء الكنائس في القدس، "بيان بشأن التهديد الحالي للوجود المسيحي في الأرض المقدسة"، 13 كانون الأول 2021، بطريركية القدس، https://en.jerusalem-patriarchate.info/blog/2021/12/13/statement-on-the-current-threat-to-the-christian-presence / (شوهد في 16 تموز 2024).

[140] أنظر: مارك برافرمان، " الكنيسة تعترف ب "كايروس"، في: التضامن بين الأديان من أجل العدالة في فلسطين وإسرائيل – تجاوز نفي لوثر للآخر، 35-58. انظر أيضا قرار الاتحاد اللوثري العالمي في عام 1977 بإعلان الفصل العنصري كحالة اعتراف، والذي حدث عندما كنت مديرا لقسم الدراسات في الاتحاد اللوثري العالمي، وكان مستوحى من اعتراف ديتريش بونهوفر نفسه.

اليهود إلى الأرض المقدسة ستعجّل بمجيء المسيح.[141] وسوف يخطف أتباعه المؤمنين إلى السماء - بما في ذلك عدد من اليهود المتحولين. ومع ذلك، سيتم قتل معظمهم مع الكفار في المعركة النهائية وإلقائهم في الجحيم. يشكل هؤلاء المتطرفين اليوم خطورة سياسية خاصة، لأنهم يرون في تدمير المسجد الأقصى، وبناء الهيكل الثالث في القدس، خطوة ضرورية في سلسلة الأحداث النهائية، وبالتالي يدعمون الصهاينة اليهود المتطرفين، وحزب كاخ الذي أسسه الحاخام كاهانا؛ الذين يسعون إلى تحقيق هذه الخطة.[142] لقد رحبت حكومة نتنياهو ولا تزال ترحب بهؤلاء المتطرفين. وذلك لأن ممثليهم في الولايات المتحدة يتبرعون بمبالغ كبيرة من المال للجيش الإسرائيلي، والمستعمرات في الأراضي المحتلة، والتي تعتبر غير قانونية بموجب القانون الدولي؛ وبهذه الطريقة يريدون أن تصبح يهودا والسامرة، كما يسمون الضفة الغربية المحتلة والقدس الشرقية، أرضا إسرائيلية مرة أخرى.

ولكن هناك أيضا صهيونية مسيحية ضمنية. ومثالا على ذلك، قال فريدريش فيلهم ماكفات، أحد رواد لاهوت ما بعد الهولوكوست، في زيارة لمتري الراهب في فلسطين عندما كان قسا شابا في بيت لحم: "سيد متري الراهب، أنت تقف في طريق الله. لو كنت مكانك، لحزمت أمتعتي وهاجرت، تاركا هذا البلد لأصحابه الشرعيين، اليهود". وقد لخص ماكفات منشوراته السابقة حول هذا الموضوع في المجلد الثاني من كتابه "علم الآخرة".[143] وكانت أطروحته: الأرض جزء لا يتجزأ من الوعود. وبالتالي، كان لابد من "حرمان" الكنعانيين من الميراث، إما بالاستعباد أو الطرد. وينطبق نفس هذا الأمر في رأيه، على الفلسطينيين . كان عليهم أن يتركوا الأرض أو يخدموا إسرائيل.[144] وكتبرير تفسيري، يستشهد باختيار الله لإسحاق ورفض إسماعيل وحرمانه من الميراث في نفس الوقت. ولا يتردد حتى في الاستشهاد بكلمة يسوع التي يمدح فيها الودعاء الذين سيرثون الأرض (متى 5: 5).

نعم، في الكتاب المقدس العبري، الأرض هي عنصر أساسي من الوعود[145] - ولكن فقط كتعويض بعد "خسارة التراب الوطني" ومرتبطة بتحقيق التوراة.[146] وبالتالي، فإن لها أيضا منظورا وهدفا عالميين منذ البداية، ألا وهو تحقيق عدالة الله في الأرض بطريقة مثالية، وبالتالي تكون نعمة لجميع الشعوب، كما ورد بالفعل في الوعد لإبراهيم (تكوين 12: 1).[147] يصف عالم اللاهوت الفلسطيني منذر إسحاق الأمور بهذه الطريقة:

---

[141] نور مصالحة، الكتاب المقدس والصهيونية: التقاليد المبتدعة والآثار وما بعد الاستعمار في إسرائيل وفلسطين، 124.

[142] المرجع السابق، 177.

[143] فريدريش فيلهلم ماكفات، ماذا نرجو، إذا سمح لنا أن نأمل؟ علم الأمور الأخيرة.

[144] المرجع السابق، 275.

[145] كلاوس فيسترمان، بحث في العهد القديم، 11

[146] فرانك كروزمان وآخرون، القاموس التاريخي للكتاب المقدس جيتاسلو: دار نشر فيرلكهاوس، 326.

[147] . المرجع السابق،275؛ إن هذا التوجه الموجود في العهد القديم بالفعل فيما يتعلق بانتخاب إسرائيل الخاص للتنمية الشاملة لعالم عادل من الأمم، يلخصه نوربرت لوهفينك بوضوح وبشكل موجز، 62. يهودية المسيحية: البعد المفقود، فرايبورغ، هردر، 1989.

يجب ألا نغفل عن الغرض وراء وعود الأرض. إن الحفاظ على التوراة والوفاء لله له الأولوية على أي مطالبة بالاستحقاق. لهذا السبب أعطيت إسرائيل أرضا كميراث. وعلاوة على ذلك، فإن طاعة إسرائيل وحفظها للعهد يميز إسرائيل كمجتمع عهد مميز - شعب الله المختار. لقد جلب الله إسرائيل إلى الأرض حتى يشكلوا نموذجا لمجتمع مختلف ومتميز، منفصل عن الأمم الأخرى.[148]

وهذا هو السبب أيضا وراء صياغة معظم النصوص التوراتية حول الأرض، في سياق السبي واستجلاء السؤال: لماذا فقدنا الأرض؟ والإجابة إذن في كل حالة هي: لأننا خرقنا العهد.[149] وعلاوة على ذلك، في نهاية السبي وبعد العودة، عندما كتبت التوراة في سياق الإمبراطورية الفارسية، كان هناك نقاش حول ما إذا كان سفر يشوع، مع احتلالاته العنيفة، يجب أن يُدرج في الوثيقة الأساسية لإسرائيل.[150] لم يكن القرار إنشاء الكتب الستة الأولى من الكتاب المقدس مع إدراج سفر يشوع، بل أسفار موسى الخمسة. ثم تم تضمين الأرض الموعودة في التوراة من خلال الفصول 25-36، ولكن كمنظور مستقبلي.

لذلك، من غير المسموح تفسيريا ولاهوتيا استخدام الكتاب المقدس العبري، لتأسيس الهوية اليهودية على دولة إسرائيل وحيازة الأرض بدلا من التوراة، كما يحدث في كثير من الأحيان اليوم - وفوق ذلك، العنف القائم على الدولة، وليس القانون. يقتبس رولف فيرليكه من صديق له من شبابه قال له: "في الماضي، كان عليك أن تحافظ على الوصايا من أجل تعريف نفسك كيهودي. اليوم لدينا دولة إسرائيل. لم نعد بحاجة إلى الوصايا. إن كون المرء يهوديا يعني الوقوف إلى جانب إسرائيل. ويضيف: "هذه هي رسالة الصهيونية: القومية كبديل للدين".[151]

ومن الناحية الاجتماعية والتاريخية، كما هو معروف جيدا، لم يكن استيطان الأرض الموعودة مشروعا عرقيا، بل مشروعا تعاونيا بين مجموعات مختلفة مضطهدة اجتماعيا تسمى "العبرانيين"، بما في ذلك الفلاحين الذين حرروا أنفسهم من الاعتماد على ممالك المدن والإمبراطوريات، والبدو الرحل، ومجموعة يهوه المستعبدة التي فرت من مصر تحت قيادة موسى.[152] ومن المعروف أن الغزو العنيف كما ورد في سفر يشوع كان بناء لاحقا (تثنية). وعندما يتحدث سفر التثنية عن الانفصال عن الشعوب الأخرى وآلهتهم، فإن المعنى الأساسي هو أولا وقبل كل شيء، رفض النظام الاجتماعي الاقتصادي الأساسي القائم على الظلم والاستعباد

---

[148] هذا الاقتباس يأتي من بحث غير منشور لعالم اللاهوت الفلسطيني منذر إسحاق، والذي قدمه في مؤتمر حول موضوع الأرض الموعودة في فولترسبورج مل بالقرب من أولزن في عام 2015.

[149] انظر أولريكه بيشمان، "تكوين 12 ونموذج إبراهيم". فيما يتعلق بالأرض الموعودة، ص 62-80.

[150] أنظر: راينر البرتز، التاريخ الديني لإسرائيل في فترة العهد القديم.

[151] رولف فيرليكه، مائة عام من الوطن؟ اليهودية وإسرائيل بين الاحسان والوطنية، 133

[152] فرانك كروزمان وآخرون، قاموس التاريخ الاجتماعي للكتاب المقدس، ٣٢٥، أنظر أيضا: البرتز، المرجع السابق؛ نورمان جوتوالد، قبائل الرب: علم اجتماع دين إسرائيل المحررة 1250-1050 قبل الميلاد. ماريكنول: أوربيس، 1979؛ أولريش ديترو، بدائل الرأسمالية العالمية: مستمدة من تاريخ الكتاب المقدس، مصممة للعمل السياسي، 1995؛ وإديث راسل، طريق الوفرة: العدالة الاقتصادية في الكتاب المقدس والمجتمع.

والاستغلال، باعتباره مسألة تتعلق بأي إله يحكم وليس فصلا عرقيا.[153] ولكن في الأجزاء التي تلت السبي من سفر التثنية، يلعب العنصر العرقي دورا كبيرا، حيث اختلط أولئك الذين بقوا في الأرض ببقية السكان. وكانت البداية الجديدة مع العائدين من بابل هشة للغاية، لذا كان لزاما تعزيز التضامن الأسري من أجل فرض نظام أكثر عدالة.[154] وفي كل الأحوال، لا يمكن استخدام هذه النصوص لتبرير الطرد العنيف والتهجير والقمع الذي تعرض له شعب من قِبَل دولة إسرائيل القوية للغاية اليوم. ويلخص مانفريد أومينج تعامله مع موضوع الله والعنف في العهد القديم على النحو التالي:

إن أي عمل عنيف يقوم به الله لا يُسْبَرُ غوره، وهو عمل غير مفهوم حقا، لابد وأن يتحول إلى نموذج مباشر وفوري للعمل العنيف الذي يقوم به البشر، فلابد وأن يكون هناك اعتراض لاهوتي. فعندما نطالب على سبيل المثال بالعنف ضد الأجانب، أو عندما تتحدث بعض النصوص عن "التطهير العرقي" (وخاصة تثنية 5 ويشوع والقضاة 13)، أو عندما نستنتج الجرائم السياسية أو نبررها مباشرة من خلال الأفكار الدينية، فإن النقد اللاهوتي للوقائع يصبح ضروريا ويظل كذلك. إن العنف في نظر الله له قوانينه الخاصة، وهو رد فعل على انتهاك حقوق الإنسان. وحيثما تمس حقوق الإنسان ذاتها، فإن المقاومة ضد النصوص التوراتية ضرورية أيضا![155]

فضلا عن ذلك، إن ادعاء ماكفات بأن إسماعيل حرم من الميراث غير مقبول.[156] فإسماعيل أيضا وارث الوعود مثل إسحاق .ولا حاجة هنا إلى ذكر الأرض، لأن كل منهما يعيش في منطقتين مختلفتين (تكوين 16). إن إسماعيل مشمول بعهد الختان حتى قبل إسحاق، ويتلقى الوعد بذرية عظيمة (تكوين 17 و25). ويتعايش إسماعيل وإسحاق في صداقة ووئام أخوي، ويدفنان أباهما إبراهيم معا. ولهذا، فإن مبرر أطروحة ماكفات حول طرد الفلسطينيين (بالقوة) وإخضاعهم، يثبت أنه لا أساس له من الصحة من الناحية التفسيرية. ولكي يكون هناك مستقبل سلمي لشعوب غرب آسيا، من الأهمية بمكان التغلب على مثل هذه التفسيرات الخاطئة للكتاب المقدس. والواقع أن الثلاثية بين الديانات الإبراهيمية لها أهمية كبيرة بالنسبة لهذا المستقبل.

وقد تم تقديم مناقشة مفصلة لقضية الأرض في أطروحة عالم اللاهوت الفلسطيني منذر إسحاق: "من الأرض الموعودة إلى جميع الأراضي: من عدن إلى الأراضي الجديدة".[157] وهو يسعى إلى إثبات أن اللاهوت الكتابي الشامل للأرض، يهدف في نهاية المطاف إلى إعادة توجيه

[153] أنظر: تون فيركامب، العالم بشكل مختلف: التاريخ السياسي للسرد الكبير.

[154] انظر: روث إيباخ، الأجنبي والخاص: التمثيلات الأجنبية لسفر التثنية في سياق بناء الهوية الإسرائيلية.

[155] مانفريد اومنج، "الله والعنف في العهد القديم": تأملات في غير أوانها من أحد المفسرين". في: السلام كهدية ومهمة: مساهمات في أبحاث السلام اللاهوتية"، ص 85.

[156] أنظر: توماس نومان، إسماعيل: تصور إسرائيل لذاتها في دائرة الأمم من نسل إبراهيم.

[157] أنظر: منذر إسحاق، من الأرض الموعودة إلى جميع الأراضي، من عدن إلى الأرض الجديدة: لاهوت كتابي متمركز حول المسيح للأرض الموعودة.

الأرض كلها نحو الله. إن لاهوت الأرض يعترف بما يلي: 1) إن الأرض هي الوسيط لحضور الله وتطالب بالقداسة، 2) إن الأرض مشمولة بالعهد، وبالتالي فهي ليست ملكية غير مشروطة، بل هي دائما تفويض ومهمة، وبالتالي فهي تنطوي على المساءلة، ولذلك فهي المكان الذي يحدث فيه حكم الله، وعليه فإن أجندة الله يجب أن يتم تنفيذها من قبل حكامه.[158] ويظهر بصورة واضحة للجميع أن الوضع الحالي في أرض فلسطين التاريخية بعيد كل البعد عن هذه الرؤية الكتابية، لأنه يتميز بالقمع والعنف الخارج عن القانون. وهذا يفرض نفس المشكلة على اليهودية كما يفعل بالنسبة للمسيحية الإمبريالية. وهذا هو السبب الذي جعل عالم اللاهوت التحريري اليهودي مارك إليس يتحدث عن اليهودية القسطنطينية، فيما يتعلق باليهود الذين يدعمون سياسات دولة إسرائيل الحالية.[159]

وهذا يثير السؤال حول كيفية الحكم على دولة إسرائيل الحقيقية القائمة من الناحية اللاهوتية. يمكن الإجابة على السؤال بوضوح من حيث القانون الدولي. لقد رفضت محكمة العدل الدولية صراحة فكرة حق الملكية الإقليمية الأصلي أو القديم.[160] ولو كانت هذه الفكرة صحيحة، لكانت قد أدت إلى حرب دائمة. ولكن حتى لو كانت هذه الفكرة قانونا صحيحا، لم يكن الإسرائيليون القدماء أول من استوطنوا فلسطين اليوم، بل الكنعانيون والفينيقيون وغيرهم. ومن ثم، ينبغي أن يكون واضحا حتى لعلماء اللاهوت، أن دولة إسرائيل اليوم ليست مجرد استمرار للمجتمع الإسرائيلي القديم. وهذا يعني أن وجود دولة إسرائيل الحالية لابد وأن يبرره القانون الدولي حصريا، والذي لابد وأن يحكم على قوانينها وسياساتها بموجبه أيضا.

ولكن من الواجب علينا أن نسأل أنفسنا، ماذا يعني أن يقول مجمع الكنيسة الإنجيلية في رينلاند في عام 1980: "... إن استمرار وجود الشعب اليهودي، وعودته إلى أرض الميعاد، وكذلك تأسيس دولة إسرائيل، هي علامات على وفاء الله لشعبه".[161] وبطبيعة الحال، يمكننا أن نقول كتعبير عن الإيمان، إن "استمرار وجود الشعب اليهودي" هو علامة على وفاء الله. ولكن هذا لا يرتبط ببلد بعينه أو حتى بدولة بعينها، بل بالتوراة. ولا توجد أي مشكلة في فكرة مارتن بوبر، على سبيل المثال، أن يستقر اليهود ويعيشون في الأرض في سلام مع السكان الفلسطينيين. ولكن من المستحيل لاهوتيا إضفاء الشرعية على دولة بعينها باعتبارها عملا مباشرا من الله - بعيدا تماما عن السياسات العنيفة التي تنتهجها تلك الدولة في إسرائيل المعاصرة، والتي تنكر الحقوق. إن ربط الدولة بالإيمان بالله يخلط بين الناس والدولة. وتحتاج كنيسة الراينلاند إلى تصحيح هذا الأمر بشكل عاجل، إذا كانت لا تريد أن تضع نفسها على قدم المساواة مع المسيحيين الصهاينة. ويقدم بيرتهويد كلابرت نهجا مثيرا للاهتمام في هذا الصدد في كتابه " اسم الله ومستقبل إبراهيم: نصوص حول الحوار بين اليهودية والمسيحية والإسلام". ويرى أن الصهيونية الأصلية ونضال الفلسطينيين من أجل تقرير المصير، يمثلان تعبيرا عن حركات التحرير

---

[158] المرجع السابق، 24.

[159] انظر إليس، "إمكانية التوبة".

[160] جون كوبقلي، قضية فلسطين: منظور القانون الدولي. 69.

[161] كورنيليا بروير-إيف، لتجديد العلاقة بين المسيحيين واليهود، 12 تشرين أول 2005، الكنيسة الإنجيلية في راينلاند https://www.ekir.de/www/service/2509.php (شوهد في 16 تموز 2024).

المشروعة، مضيفا: "في هذا الصدد، فإن دولة إسرائيل، إذا لم تعمل على تعزيز دولة الفلسطينيين، فلن يكون لها أي منظور في أرض الميعاد".[162] وهو يتفق مع تصريح عالم اللاهوت الفلسطيني شحادة جاد الله، الذي يخلص إلى أن "بركة شعب إسرائيل المختار ووعده بالأرض، الذي لا يزال ساريا حتى اليوم، يجب أن تصبح أيضا نعمة للشعب الفلسطيني وأرضه، إذا لم يكن من المفترض أن يتردى انتخاب إسرائيل الدائم إلى اختيار قومي".[163] وفي هذا الصدد، يشير إلى فرانك كروسمان عندما يقول، "لا تشير الوعود "الكتابية" بالأرض في أي مكان إلى أن إسرائيل وحدها يجب أن تعيش أو ستعيش في الأرض".[164]

القمع العنيف وحرمان الفلسطينيين من حقوقهم وتبريره اللاهوتي في ضوء لاهوت بونهوفر

في ضوء حرمان الفلسطينيين من حقوقهم، وإساءة استخدام الدولة والصهيونية المسيحية للكتاب المقدس، لإضفاء الشرعية على هذا الظلم؛ فإن الكنائس مدعوة اليوم إلى البدء في عملية دراسة واعتراف يمكن أن يؤدي إلى إعلان "حالة إيمان". كيف قد تبدو مثل حالة الإيمان هذه بروح بونهوفر؟ تتلخص القضية بحسب المعايير التي ذكرها، في حرمان الفلسطينيين من حقوقهم على نحو منهجي، باعتبار ذلك "*ضعفا في القانون والنظام*" وإساءة استخدام الدولة والمسيحيين الصهيونيين للكتاب المقدس، لإضفاء الشرعية على هذا الظلم "*بتدخل الدولة أكثر مما ينبغي*". وهنا، كما قيل، لا يتلخص "الاحتمال الثالث في مجرد ربط جراح الضحايا تحت العجلة، بل في الاستيلاء على العجلة نفسها".[165] ووفقا لبونهوفر، تدعم الكنيسة بهذه الطريقة الدولة على وجه التحديد في ممارسة سلطتها الحقيقية، ألا وهي توفير القانون والنظام. وهذا هو أيضا الموقف الذي اتخذته الكنائس في فلسطين عندما أشارت في وثيقة كايروس إلى أن الالتزام بالنضال من أجل إنهاء القمع يشمل تحرير الظالمين. وعلى نحو مماثل، كتب رئيس الأساقفة توتو في رسالته إلى مؤتمر الكنيسة البروتستانتية الألمانية في عام 2015: "يرجى الانضمام إلى حركة كايروس المسكونية، ورفع صوتك في التضامن العام لتحرير فلسطين، حتى تتمكن إسرائيل من أن تكون حرة أيضا".[166] إن جوهر كل الجهود هو كيف يمكن للإسرائيليين والفلسطينيين بناء مستقبل مشترك - لأنهم لا يملكون مستقبلا إلا معا.

وكما هو موضح أعلاه، لا يمكن تنفيذ قمع الفلسطينيين من قبل دولة إسرائيل، إلا لأن الولايات المتحدة وألمانيا والاتحاد الأوروبي يجعلون ذلك ممكنا سياسيا وعسكريا وماليا.

---

[162] بيرتهولد شتابرت، اسم الله ومستقبل إبراهيم: نصوص حول الحوار بين اليهودية والمسيحية والإسلام، 204

[163] المرجع السابق، 206.

[164] المرجع السابق.

[165] ديتريش بونهوفر، الكنيسة والمسألة اليهودية، 265

[166] ديزموند توتو، " المطالبة بالحرية علانية وتضامنا لفلسطين حتى تكون إسرائيل حرة أيضا."

وبالتالي، فإن الكنائس في الولايات المتحدة وألمانيا، على وجه الخصوص، لديها كل الأسباب للانضمام إلى عملية الاعتراف والمشاركة والتضامن مع المقاومة.

هذا هو بالضبط ما تدعو إليه "صرخة الأمل" الفلسطينية منذ عام 2020. وقد تم الرد على هذه الدعوة بطرق هامة من قبل كنائس مختلفة، والتي سنعود إليها بعد برهة. وقد اتُّخِذت خطوة أخرى استعدادا لاجتماع مجلس الكنائس العالمي لعام 2022 في كارلسروه بألمانيا: فقد أصدرت كايروس فلسطين وكايروس العالمية من أجل العدالة، إضافة إلى "صرخة الأمل"، ملفا يلخص تقارير منظمات حقوق الإنسان عن الفصل العنصري في إسرائيل، ويوصي بإعلان "حالة إيمان" كاستجابة لاهوتية.[167] إضافة إلى ذلك، أعدت الكنيسة الأنجليكانية في جنوب إفريقيا قرارا للجمعية العامة يدعوها إلى نبذ الفصل العنصري في إسرائيل، والتصرف وفقا لذلك.[168] وقد أيدت هذا الاقتراح ست عشرة كنيسة، بما في ذلك كنائس النرويج والسويد. ورغم ذلك، تم قمع الأصوات من فلسطين ومن أجل فلسطين بشكل منهجي في الاجتماع، تحت ضغط من الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا ووزارة الخارجية الألمانية.[169] ولكن على الأقل، لم تنجح الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا في حذف مصطلح الفصل العنصري من الوثيقة النهائية. بل إن الخلاف استُغِلَّ لدعوة مجلس الكنائس العالمي والكنائس إلى النظر بشكل مكثف في تقارير منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة، بشأن الفصل العنصري الإسرائيلي، والتوصل إلى قرار.[170]

بعد اجتماع مجلس الكنائس العالمي، ينصب التركيز الآن على تنظيم عملية الدراسة والاعتراف في جميع أنحاء العالم. وقد أعدت شبكة كايروس للتضامن مع فلسطين في ألمانيا عملية لذلك في جميع الكنائس (السينودس) على جميع المستويات. وقد أُرسِلت رسالة في 23 كانون الثاني، إلى جميع قادة الكنائس، حيث عرضت شبكة كايروس في المانيا تعاونها:

1. تم بالفعل نشر أربعة كتيبات بما في ذلك:

آ. صرخة الأمل الفلسطينية واستجابة الكنائس.

ب. نظام الفصل العنصري في إسرائيل - نداء عاجل للكنائس في جميع أنحاء العالم لتحقيق العدالة.

[167] كايروس فلسطين وكايروس العالمية من أجل العدالة، ملف عن الفصل العنصري الإسرائيلي.

[168] تابو سيسيل ماقوبا، "القرار الذي اقترحته الكنيسة الأنجليكانية في جنوب إفريقيا بشأن الأرض المقدسة"، 5 آب 2022،

[169] إرنست لودفيج فاتر، "الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا تنأى بنفسها عن القانون الدولي، وتمارس الضغط على مجلس الكنائس العالمي لقمع صوت الفلسطينيين"، شبكة التضامن كايروس فلسطين.

[170] مجلس الكنائس العالمي، "السعي إلى العدالة والسلام للجميع في الشرق الأوسط"، الجمعية الحادية عشرة، 31 آب - 8 أيلول 2022،

ج. كيف يمكن للكنائس في الولايات المتحدة وأوروبا المساعدة في إنفاذ القانون الدولي وحقوق الإنسان في فلسطين / إسرائيل؟[171]

د. وكتيب رابع يشرح الأشكال المختلفة للصهيونية (المسيحية).[172]

2. تم تطوير نموذج لندوة جماعية مكونة من أربعة أجزاء باستخدام موضوعات الكتيبات.[173]

3. كجزء من عملية ما بعد الجمعية العامة، يجب أيضا إعادة النظر في قضية حملة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات، التي تدعمها العديد من الكنائس. بعد اجتماع مجلس الكنائس العالمي، هل الكنائس الألمانية مستعدة للتعلّم من الكنائس الشقيقة في المسكونية العالمية؟ وقد استجابت على وجه الخصوص، كنيسة المسيح المتحدة (UCC) في الولايات المتحدة لـ "صرخة الأمل" باعتراف نموذجي في بشكل إعلان بارمن اللاهوتي (1934).[174]

4. أقرت الكنيسة المشيخية في الولايات المتحدة (PCUSA)، في شهر تموز 2022، في مجمعها العام، قرارا يعترف، على وجه الخصوص، بالطابع العنصري لدولة إسرائيل.[175] وفي الوقت نفسه، اتبعت العديد من الكنائس في إنجلترا والدول الاسكندنافية أيضا، مثال الكنائس الأمريكية في نفس الاتجاه.[176]

يمكن تلخيص أصوات الكنائس المذكورة والدعوة الموجهة إلى الكنائس الألمانية، لمعارضة نظام الفصل العنصري في دولة إسرائيل، والذي يبرره الكتاب المقدس، بالتعاون مع المسكونية، كنسيا وسياسيا، بكلمة معدلة لبونهوفر: "وحده فقط الذي يصرخ من أجل اليهود يستطيع أن ينشد الترنيمة الغريغورية"، كما قال بونهوفر ذات مرة للذين قاموا برسماته.[177]

---

[171] كايروس فلسطين وكايروس من أجل العدالة العالمية، "كيف يمكن للكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أن تساعد في تطبيق القانون الدولي وحقوق الإنسان في فلسطين/إسرائيل؟": نصوص في سياق الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمي في كارلسروه ، العدد 3، العملية المسكونية، نظام الفصل العنصري في إسرائيل؟

[172] أولريش ديترو ومارك برافرمان (محرران)، " رابطة أديان من أجل العدالة في فلسطين-إسرائيل، المجلد الثاني: الرد المسكوني على انتهاكات القانون الدولي والفصل العنصري ". الكتاب متوفر باللغة الألمانية وسيصدر قريبا باللغة الإنجليزية.

[173] كايروس فلسطين، دعوة للجماعات لحضور الندوة المسكونية المكونة من أربعة أجزاء، "إسرائيل – نظام فصل عنصري؟" بعد انعقاد الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمي.

[174] كنيسة المسيح المتحدة شالوم، "إعلان من أجل سلام عادل بين فلسطين وإسرائيل، نيوهيفن.

[175] الكنيسة المشيخية الأمريكية، "حول الاعتراف بأن قوانين إسرائيل وسياساتها وممارساتها تشكل فصلا عنصريا ضد الشعب الفلسطيني: الجمعية العامة 225.

[176] صرخة الأمل وكل ما سبق ذكره من إجابات الكنائس، وقد نُشرت ردود الفعل عليها في شبكة كايروس للتضامن مع فلسطين، "الصرخة الفلسطينية من أجل الأمل واستجابة الكنائس - نحو جمعية مجلس الكنائس العالمي"، تحرير أولريش ديترو (كايروس: كرومهورن-أوتوم، 2021).

[177] إيبرهارد بيتقه، ديتريش بونهوفر: سيرة ذاتية منقحة، تحرير فيكتوريا بارنيت، 441

ويمكن ترجمة هذا في سياق اليوم على النحو التالي: "فقط أولئك الذين يصرخون من أجل الفلسطينيين يمكنهم أيضا ترنيم المزامير".

التضامن المسيحي مع فلسطين العابر للحدود الوطنية: النشاط الكاثوليكي الفرنسي نموذجا[178]

الدكتورة كاترينا باندیني
مساعدة بحثية ومدرسة مؤقتة، جامعة ليل، فرنسا

الملخص:

اعتمادا على الدراسات العابرة للحدود الوطنية وعلم الاجتماع العلائقي، تُلقي هذه المقالة الضوء على التضامن بين شريحة من الكاثوليك الفرنسيين والمجتمعات المسيحية الفلسطينية. تتناول هذه المقالة لتحقيق هذه الغاية، الخطاب والممارسات التي يتبناها الكاثوليك الفرنسيون فيما يتصل بقضية فلسطين، إضافة إلى التحولات الاجتماعية والسياسية داخل السكان المسيحيين الفلسطينيين. وتأتي هذه الدعوة إلى التضامن من قطاع من الكنائس والعلمانيين الفلسطينيين الذين شاركوا منذ أواخر الثمانينيات في حركة لاهوت التحرر، وفي إنشاء جولات الحج البديلة. وتدفع هذه الجولات، التي يطلق عليها "رحلات الحج للحجارة الحية"، كلا المجموعتين من الجهات الفاعلة إلى التساؤل حول هويتهم الدينية والوطنية، ومعنى التزامهم كمسيحيين من أجل العدالة والسلام في فلسطين.

الكلمات المفتاحية: التضامن العابر للحدود الوطنية، النهج العلائقي، "الكاثوليك اليساريون"، المسيحيون الفلسطينيون، "حج الحجارة الحية".

[178] هذه المقالة هي نسخة محدّثة من مقال نُشر أصلا باللغة الفرنسية: كاترينا باندیني، "الكاثوليك الفرنسيون والمسيحيون الفلسطينيون: من أجل علم اجتماع علائقي للتضامن"، في: دفاتر إيمام *Les Cahiers d'EMAM* 32 (2020). أنا أشعر بالامتنان لسيسيل ليكا لمساعدتها في ترجمة المسودة الأولى إلى اللغة الإنجليزية. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024.
https://journals.openedition.org/emam/2787

إن التضامن الذي يربط جزءًا من العالم الكاثوليكي الفرنسي بالفلسطينيين المسيحيين، له حجج دينية وسياسية وتاريخية.[179] وهو نتاج عمل مشترك قام به رجال الدين والناشطون في فرنسا وفلسطين. ولكي نتمكن من إلقاء الضوء عليه، من الضروري دراسة ممارسات الكاثوليك الفرنسيين وخطاباتهم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فضلا عن التحولات التي خضعت لها المجتمعات المسيحية في فلسطين. والواقع أن وجهات النظر على جانبي البحر الأبيض المتوسط تنير ببعضها البعض، حيث تعكس الالتزامات "هناك" دائمًا المخاوف الموجودة "هنا".

وتشكل حركات التضامن في هذا السياق، موضوعات مميزة للدراسة للتحليل العلائقي، وهو النهج الذي يهدف إلى مراعاة الجانب الديناميكي للعمليات الاجتماعية والتغيرات التاريخية، وبالتالي تجنب المزالق المنهجية القومية والثقافية.[180] وقد طرح المؤرخ زاكاري لوكمان النهج العلائقي في عمله الرائد حول التضامن بين الطبقة العاملة الفلسطينية اليهودية في أواخر القرن التاسع عشر في العهد العثماني وعهد الانتداب البريطاني.[181] كما أنها تشكل محوراً أساسياً لدراسة التضامن عبر الوطني مع فلسطين،[182] والذي يشمل "التضامن عبر الوطني بين السود والفلسطينيين"؛[183] و"التماهي عبر الوطني" بين المغرب وفلسطين،[184] وسياسات التضامن التي تربط بين العديد من الحركات المناهضة للاستعمار (الجزائر، وفيتنام، وليبيا، وفلسطين، والمكسيك)،[185] ودعم العرب الفرنسيين للقضية الفلسطينية.[186] ويشارك علماء دراسات الاستعمار الاستيطاني بشكل خاص في رسم المقارنات بين فلسطين وغيرها من سياقات الاستعمار الاستيطاني.[187]

تركز هذه المقالة على العلاقة الحالية بين المجال الهامشي من العلمانيين ورجال الدين الكاثوليك اليساريين في فرنسا، وجزء من النخب المسيحية في فلسطين، والذين يشاركون جميعهم في إنشاء شبكات التضامن عبر الوطنية.[188] وتشكل رحلات حج "الحجارة الحية"، التي

---

[179] رغم أنني أستخدم هنا مصطلح "الفلسطينيون المسيحيون"، فإنه من المهم أن نلاحظ أن النقاش حول ترتيب استخدام الهوية الدينية والوطنية (على سبيل المثال "الفلسطينيون المسيحيون" أو "المسيحيون الفلسطينيون") لا يزال قائما بين السكان المسيحيين في فلسطين.

[180] مصطفى أميربابر، "بيان من أجل علم اجتماع علائقي"، ص 281-317 (282-91).

[181] أنظر: زاكاري لوكمان، الرفاق والأعداء: العمال العرب واليهود في فلسطين 1906-1948.

[182] أنظر: سورشا تومسون وبيلي فالنتين أولسن. محرران. فلسطين في العالم: التضامن الدولي مع حركة التحرير الفلسطينية. لندن: دار نشر بلومزبري، 2023.

[183] روبن كيلي. "من النهر إلى البحر إلى كل قمة جبل: التضامن كصناعة عالمية"، ص 69-91.

[184] أنظر: أوليفيا هاريسون. المغرب عبر الاستعمار: تخيل فلسطين في عصر إنهاء الاستعمار.

[185] ألينا ساجد، وتيموثي سيدل، محرران. "التواصل المناهض للاستعمار وسياسات التضامن: بين الوطن والعالم"، ص 26، 1-22.

[186] أنظر: عبد الله حجات. "لجان فلسطين 1970-1972: أصول دعم القضية الفلسطينية في فرنسا"، 74-92؛ أوليفيا هاريسون. السكان الأصليون ضد النزعة القومية: مناهضة العنصرية والنقد المحلي في فرنسا ما بعد الاستعمار.

[187] أنظر كاترينا باندیني وماريون ليكوكيير، محرران. "استعمار الشعوب: تطبيقات تجريبية ومناهج نقدية"، مجلة السياسة الدولية المقارنة (قيد النشر).

[188] يشير تعبير "الكاثوليك اليساريون" إلى الحركة التي بدأت في ثلاثينيات القرن العشرين بإطلاق مجلة Esprit (الروح)، التي كان هدفها فصل العالم الكاثوليكي عن الطيف السياسي اليميني، وخلق بديل سياسي من شأنه أن

تمثل مزيجاً من الحج والمناصرة والسياحة، مثالاً نموذجياً على ذلك. وفي الوقت الذي تتضاعف في فرنسا أعمال التضامن لصالح المسيحيين في العالم العربي، قد يميل المرء إلى تضمين هذه الظاهرة في نفس الاتجاه.

وبعد استيلاء داعش على مدينتي الموصل وكراكوش على وجه الخصوص في صيف عام 2014، بدأ الفرنسيون في حشد الجهود لصالح المسيحيين في سوريا والعراق على شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال إنشاء جمعيات، أو تقديم المساعدة من أجل اللاجئين المسيحيين.[189] وإن معظم هذه الجهود من وجهة نظر اجتماعية هي يمينية، وتصاحبها خطابات قومية وطائفية، مبنية على الهوية، مع دلالات معادية للإسلام. ويعكس التقارب مع "مسيحي الشرق"[190] المخاوف الفرنسية ذاتها من تراجع الممارسة الدينية، و"أسلمة" المجتمع، وهي الموضوعات التي يفضلها اليمين واليمين المتطرف[191] إلى حد كبير. وقد استعاد هذا الأخير هذه القضية، كما يتضح من إنشاء جمعية "إغاثة مسيحيي الشرق" في عام 2013 من قبل نشطاء مقربين من حزب اليمين المتطرف، التجمع الوطني (المعروف سابقا باسم الجبهة الوطنية)[192].

لا يشكل التضامن مع الفلسطينيين في فرنسا في حد ذاته امتيازا للطيف السياسي اليساري. تاريخيا، انخرطت الجماعات اليمينية، مثل مجلة "الدفاع عن الغرب"، في دعم القضية الفلسطينية على أساس لاهوتي معادي للهودية ومعادي أيضا للسامية[193]العنصرية والسياسية. كان لإنكار الهولوكوست أتباع في أقصى اليمين، مثل روبرت فوريسون، وفي أقصى اليسار، مثل مكتبة ودار نشر الخلد القديم *La vieille Taupe*.[194] وتُتهم الجماعات المناهضة

يتحرر من الثنائية بين اليمين والكاثوليكية، واليسار والإلحاد. وفي أعقاب مجمع الفاتيكان الثاني (1962-1965)، كان "الكاثوليك اليساريون" نشطين بشكل خاص في عام 1968، قبل أن يساهموا في فوز فرانسوا ميتران في الانتخابات الرئاسية الفرنسية عام 1981. ورغم أن البروتستانت شاركوا أيضا في هذه الحركة، إلا أنني تناولت هنا مشاركة الكاثوليك فقط، نظرا لوجود اختلافات طبقية بين البرجوازية الفكرية والطبقة العاملة في هذا المجال الاجتماعي. ولا ينبغي فهم عبارة "الكاثوليك اليساريين" على أنها مجموعة متجانسة، بل على أنها شكل نموذجي اتخذ أشكالًا مختلفة على مدار التاريخ. جاي كوك، المسيحيون اليساريون: طائفة إشكالية"، ترانسفيرسالتيه *Transversalites* 140، 2017. أنظر أيضا: أندريه روسو. "البرجوازية الفكرية الصغيرة والطبقة العاملة في التكوين اليسار المسيحي في فرنسا 1962-1978". تاريخ @ سياسة *Histoire@Politique*، 30. 3، 2016، 98-113.

[189] جان كريستوف بوسيل. "فرنسا والمسيحيون في الشرق"، ص 7–18

[190] يُستخدم هذا التعبير بشكل شائع في اللغة الفرنسية للإشارة إلى المسيحيين في العالم العربي.

[191] كاميل لونس. "الرحمة السياسية من أجل مسيحيي الشرق"، مجلة الشرق Orient،21، 2016. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024. https://orientxxi.info/magazine/une-compassion-tres-politique-pour-les-chretiens-d-orient، 1300

[192] ألكسيس أرتو دي لا فيريير. "هؤلاء الشباب المسيحيون غادروا إلى سوريا". ص 28-31.

[193] لقد رافق انتشار معاداة السامية السياسية والعنصرية في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، انتشار معاداة السامية اللاهوتية في أوروبا. وقد طورت الكنيسة منذ القرن الأول فصاعدا الفكر المعادي للهودية، المعروف باسم "الاستبدال" أو "اللاهوت الاستبدالي"، والذي يستند إلى فكرة أنه مع مجيء المسيح، كان الله ليحل محل انتخاب اليهود القديم بانتخاب المسيحيين، حيث رأى في نفي اليهود في الشتات العقوبة التي أرادها الله لخطاياهم، أي حقيقة عدم قبولهم للرب المسيح. ولم تضع الكنيسة الكاثوليكية الأسس للتغلب على هذا اللاهوت إلا مع المجمع الفاتيكاني الثاني. وفي هذا الصدد، أنظر : ليون بولياكوف. تاريخ معاداة السامية: عصر الإيمان. روزماري رادفورد روثر. الإيمان وقتل الأخوة: الجذور اللاهوتية لمعاداة السامية.

[194] جيزيل سابيرو، "السلبية في فرنسا"، ص 217-228.

للعنصرية من أقصى اليسار في الوقت نفسه، بالتخلي عن مكافحة معاداة السامية،[195] التي استولى عليها اليمين المتطرف مؤخرا، كما أظهرت الحملات الانتخابية الأوروبية والتشريعية لعام 2024.[196] لكن خصوصية القضية الفلسطينية يمكن العثور على إدراجها، منذ بداية السبعينيات، وخاصة بعد أحداث "أيلول الأسود"، في الحركة المناهضة للاستعمار التي قادها اليسار الفرنسي.[197] وكان "الكاثوليك اليساريون" في العالم المسيحي، هم الذين ترجموا القضية الفلسطينية إلى مصطلحات النضال ضد الاستعمار، بعد أن أدركوا أنهم جزء من الكاثوليكية الاجتماعية في لاهوت التحرر، وإعلانات المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965).

إضافة إلى هذا التراث السياسي، هناك الحالة الخاصة بالمجتمعات المسيحية في فلسطين. قام الفلسطينيون المسيحيون بدور نشط للغاية في حركة التحرير الوطني: فقد أسس المسيحيون اثنتين من أكبر المنظمات الفلسطينية، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. كما كانت هذه المنظمات نشطة للغاية أثناء الانتفاضة الأولى، من خلال نظرية المقاومة اللاعنفية،[198] والثورة ضد نظام الضرائب الذي فرضته إسرائيل، والتي قامت بقيادتها بلدة بيت ساحور المسيحية.[199]

ورغم ذلك، انخفض عدد المسيحيين بشكل كبير بعد موجتين من الهجرة في عامي 1948 و1967، والتي ترافقت مع الحرب الأولى والثانية بين العرب وإسرائيل. وتشير التقديرات، على سبيل المثال، إلى أن منطقة القدس فقدت 70% من سكانها المسيحيين من الطائفة اللاتينية بين عام 1949 وأوائل سبعينيات القرن العشرين.[200] وقُدِّر عدد المسيحيين في عام 2019 بنحو 49 ألف فرد يعيشون في القدس الشرقية (10 آلاف) والضفة الغربية (39 ألفًا)، أي ما يقرب من 2% من إجمالي السكان الفلسطينيين في هذه الأراضي. وبلغ عدد المسيحيين داخل دولة إسرائيل 120 ألفا، أو 15% من السكان الفلسطينيين في إسرائيل و2% من إجمالي السكان الإسرائيليين. وكان عدد المسيحيين الذين يعيشون في قطاع غزة قبل اندلاع الحرب في تشرين الأول عام 2023 أقل من ألف مسيحي.[201] وبشكل عام، ينبغي النظر إلى الانخفاض الكبير في عدد المسيحيين في الشرق الأوسط، باعتباره نتيجة للتغيرات الديموغرافية الطبيعية في المقام

---

[195] أنظر : إيلانا وايزمان. بيض مثل الآخرين؟ اليهود، النقطة العمياء لمناهضة العنصرية. باريس: دار نشر ستوك، 2022.

[196] جوزيف كونفافرو. "معاداة السامية، حملة البلاء والفخ"، ميديا بارت، 2024. شوهد بتاريخ 5 تموز https://www.mediapart.fr/journal/france/200624/l-antisemitisme-fleau-et-piege-de-campagne.2024

[197] دينيس سيفرت، "اليسار الفرنسي المتطرف والقضية الفلسطينية"، ص 59-62. ومن التعبيرات الحديثة عن هذه الظاهرة تأسيس "تسيدك!" في صيف 2023. ('العدالة' بالعبرية)، وهي جماعة يهودية مناهضة للاستعمار تهدف إلى مكافحة العنصرية المؤسسية في فرنسا، والفصل العنصري والاحتلال في إسرائيل وفلسطين. كانت الجماعة صريحة بشكل خاص منذ 7 أكتوبر 2023 ضد الحرب على غزة. أنظر بيان تسيدك. شوهد بتاريخ 11 تموز 2024. /https://tsedek.fr/manifeste-en

[198] مبارك عوض. "المقاومة اللاعنفية: استراتيجية للأراضي المحتلة"، ص 22-36.

[199] سوسي أنديزيان. "الفلسطينيون المسيحيون والبناء الوطني". ص 66- 67.

[200] أنتوني أوماهوني، محرر. المجتمعات المسيحية في القدس والأرض المقدسة: دراسات في التاريخ والدين والسياسة. ص 102-104.

[201] أنظر: لجنة العدل والسلام. هل السلام ممكن؟ المسيحيون الفلسطينيون يتكلمون.

الأول،[202] إضافة إلى فرص الهجرة في حالة الفلسطينيين، بسبب ارتفاع مستويات التعليم، وشبكات الكنيسة والمجتمع والعائلة في الخارج.[203]

إن الأصولية الإسلامية بعيدة كل البعد عن كونها التهديد الأساسي للوجود المسيحي في فلسطين. وإن التوترات مع الأغلبية المسلمة موجودة بالفعل، ولكنها ترجع إلى حد كبير إلى جهود التقسيم التي تبذلها دولة إسرائيل داخل فلسطين. إن التعايش السلمي نسبياً بين المسيحيين والمسلمين في فلسطين، وظهور معاداة الصهيونية اليسارية في فرنسا، جعل من الصعب على جمعيات التضامن المرتبطة باليمين المتطرف استعادة هذه القضية.[204] وبينما ينقل معظمها قراءة دينية وحضارية للصراعات في الشرق الأوسط، فإن بحثي الإثنوغرافي يظهر أن الناشطين الكاثوليك اليساريين يميلون إلى التقليل من التوترات بين المجتمعات، من أجل ترويج صورة الشعب الفلسطيني الموحد في مقاومة الاحتلال والاستعمار الإسرائيلي، ونقل الرسالة التي تفيد أن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ليس صراعا دينيا.

لذا فإن هدف هذه المقالة مزدوج. فهي تهدف فمن ناحية، إلى تقديم منظور علائقي حول تضامن هذا الجزء من العالم الكاثوليكي الفرنسي، مع المجتمعات المسيحية والكنائس في فلسطين. ويحاول هذا البحث من ناحية أخرى، أن يتأمل في أهمية هذا التضامن، الذي يؤكده الإيمان المسيحي،[205] ولكنه يتميز أيضا عن أشكال التضامن الأخرى الخاصة بدوائر اليمين الكاثوليكي. هل هو شكل من أشكال التضامن السياسي بالمعنى الصحيح، حيث لا يشغل البعد الديني سوى مكان هامشي؟ أم أنه على العكس من ذلك، شكل من أشكال التضامن الطائفي، مدفوعا بحجج لاهوتية، وموجه حصريا نحو المجتمع المسيحي؟

تم جمع البيانات التجريبية أثناء بحث الدكتوراه الذي يركز على "السلام" الديني والنشاط في مجال حقوق الإنسان في إسرائيل وفلسطين،[206] وخاصة داخل المجتمعات اليهودية والمسيحية.[207] تم تنفيذ العمل الميداني لهذا البحث بشكل أساسي بين شهر تشرين الثاني عام 2016 وتشرين الأول عام 2019؛ وتم تنفيذ مهام إضافية بين شهر أيار عام 2022 وحزيران عام

---

[202] برنارد هيبرغر، المسيحيون في الشرق، مطبعة رين الجامعية، باريس، 2017، 103.

[203] أنديزيان، "الفلسطينيون المسيحيون والبناء الوطني"، ص 59-60.

[204] على سبيل المثال، تنشط جمعية المسيحيون في الشرق SOS في سوريا والأردن والعراق ولبنان ومصر وباكستان، ولكن ليس في فلسطين.

[205] كما هو مبين في العنوان الذي تم اختياره للكتيب "تحدي السلام: باسم إيمانهم، مسيحيون يلتزمون بمزيد من العدالة في فلسطين وإسرائيل" الذي نشرته الأرض المتضامنة *CCFD -Terre Solidaire*، والعدل والسلام، وباكس كرستي، وكاريتاس فرنسا، والإغاثة الكاثوليكية، في كانون الثاني 2013.

[206] سأستخدم في هذه المقالة، كل من المصطلحين "إسرائيل-فلسطين" و"فلسطين-إسرائيل" دون تمييز، ودون إعطائهما أي معنى سياسي معين.

[207] أنظر: كاترينا باندیني، "الدين من أجل اللغة: نشأة مجتمع الفضاء الخاص بالمنظمات الدينية من أجل السلام (إسرائيل وفلسطين، 1987-2019).

2024. وكان موضوع التضامن محوريا في هذا البحث، حيث تصر المجموعات المحلية على الحاجة إلى إنشاء وتعزيز التضامن عبر الوطني.[208]

وسوف أتتبع أولا صعود معاداة الصهيونية الكاثوليكية المتشددة في فرنسا، للإشارة إلى استمرارية تاريخية بين اليسار الكاثوليكي والتعبئة لصالح القضية الفلسطينية. ثم سأنظر في حركة لاهوت التحرر الفلسطينية التي ولدت داخل المجتمعات المسيحية في الأراضي المحتلة، واستقبالها في فرنسا. وسوف أخصص القسم الثالث والأخير للحج الذي يُطلق عليه "الحجارة الحية"، والذي يتم تنظيمه من فرنسا. وتشكل هذه الامور دراسة حالة جيدة في إطار تحليل العلاقات، حيث إنها تقود المجموعتين من الجهات الفاعلة إلى التساؤل حول هويتهما الدينية والوطنية ومعنى التزامهما، كمسيحيين، بالعدالة والسلام في فلسطين.

الجذور التاريخية للتضامن الكاثوليكي الفرنسي مع فلسطين

منذ إنشاء دولة إسرائيل، أصبحت قضية فلسطين ساحة معركة، حيث يتم تناول الشؤون السياسية الداخلية وقضايا السياسة الخارجية. وفي الحالة الخاصة بفرنسا، "الابنة الكبرى" للكنيسة الكاثوليكية والحامية التاريخية للأماكن المقدسة، فضلا عن كونها دولة تستضيف أكبر الجاليات اليهودية والمسلمة في أوروبا، فمن غير الضروري أن نقول إنه عندما نتحدث عن إسرائيل وفلسطين "فإن هناك مزيجا من القضايا الفرنسية الداخلية والشؤون الخارجية".[209]

إن الفرنسيين هم في المقام الأول ورثة تاريخ استعماري طويل في الشرق الأوسط، و"تقليد يؤيد بلا خجل ما يمكن أن يعزز مكانة الكاثوليكية وفرنسا في هذه المنطقة".[210] ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، استقرت الجماعات الفرنسية في الأرض المقدسة، وقامت بأدوار تبشيرية وإنسانية من خلال الأنشطة التعليمية والصحية.[211] وفيما يتصل بموقفهم تجاه الشعب

[208] في الفترة ما بين تشرين الثاني 2016 وتشرين الأول 2019، أجريت أربع مقابلات مع ناشطين من المنظمات الكاثوليكية الفرنسية (الإغاثة الكاثوليكية، باكس كريستي فرنسا)؛ ومقابلتين مع فرنسيين يعملون في معاهد كاثوليكية في القدس (حراسة الأراضي المقدسة، مدرسة الكتاب المقدس والآثار الفرنسية في القدس)؛ وواحد وعشرين مقابلة مع فلسطينيين مسيحيين منخرطين في شبكات التضامن (مؤلفو وثيقة كايروس فلسطين، وعلماء لاهوت التحرر، وأعضاء لجنة العدل والسلام التابعة للبطريركية اللاتينية في القدس، ونشطاء من المنظمات المسيحية). وينبغي أن نضيف إلى هذا السجل، مقابلتين أجريتهما مع مستشار الشؤون الدينية في القنصلية العامة الفرنسية في القدس في ذلك الوقت، فضلا عن مقابلات غير رسمية مع حجاج فرنسيين. إضافة إلى ذلك، أجريت خمس مقابلات مع حجاج إيطاليين ومن رافقوهم، ومقابلة واحدة مع الأمين العام لجمعية الأساقفة الكاثوليك في الأرض المقدسة، وهو إيطالي أيضا. وأجريت أربع مقابلات أخرى مع علماء دين وناشطين فلسطينيين في أيار وحزيران 2022، وأجريت مقابلات أخرى مع بعض الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات في عامي 2023 و2024.

[209] دومينيك تريمبور، "العلاقات الفرنسية الإسرائيلية، 1948-2004"، ص 405.

[210] دومينيك تريمبور، "غزو القدس والأوهام المفقودة للكاثوليك الفرنسيين". مجلة الشرق، 21، 2018. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024.

https: //orientxxi.info/l-orient-dans-la-guerre-1914-1918/la-conquete-de-jerusalem-et-les-illusions-perdues-des-catholiques-francais,2207

[211] في بداية الانتداب البريطاني على فلسطين، كانت معظم المؤسسات التعليمية الكاثوليكية فرنسية. أنظر : كارين سانشيز سمرير، "استقبال وتأثيرات العمل التربوي والصحي لراهبات القديس يوسف وراهبات صهيون من قبل

اليهودي ثم تجاه دولة إسرائيل، فإن "الكاثوليك الفرنسيين قطعوا شوطاً طويلا"،[212] كما يتبين من "كراهية الكاثوليكية التقليدية لليهود" المنتشرة على نطاق واسع بشكل خاص في شرق فرنسا، والتي دفعت النائب موريس باريه، من بين آخرين، إلى اتخاذ مواقف صريحة مناهضة لدريفوس.[213] ولكن ظهور القضية الفلسطينية أدى إلى انقسام العالم المسيحي بين الاهتمام بحماية الأماكن المقدسة، والمؤسسات الدينية الفرنسية، والوجود المسيحي في الأرض المقدسة ، بحكم "الرابط العضوي الخاص" بين فرنسا و"مسيحيي الشرق"،[214] والحاجة إلى الانخراط في مكافحة معاداة السامية في أعقاب المحرقة. ومنذ عام 1947 فصاعدا، كانت هناك تعبئة هائلة من جانب الصحافة الكاثوليكية الفرنسية لصالح الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حتى أنها ذهبت إلى حد تبرير الإرهاب الصهيوني. والاستثناء الوحيد كان المجلة الأسبوعية "الشهادة المسيحية" *Témoignage Chrétien* التي أعلنت على العكس من ذلك في آب عام 1947، أن "القضية العربية عادلة".[215] ومع اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية في عام 1948، أصبح إمداد القوات الصهيونية بالأسلحة سرا أمرا رسميا.[216] طوال "العصر الذهبي" للعلاقات الفرنسية الإسرائيلية (1948-1967)، وعلى وجه الخصوص منذ عام 1954 فصاعدا، انخرطت فرنسا في تعاون عسكري وثيق للغاية مع إسرائيل.[217]

في الفترة ما بين عام 1948 وعام 1967، ساهمت الناحية الإنسانية للقضية الفلسطينية في تصوير الفلسطينيين كضحايا يتلقون المساعدات الدولية.[218] وفي أعقاب حرب عام 1967، ظهرت حساسية سياسية أكبر تجاه الفلسطينيين في العالم الكاثوليكي الفرنسي. ورغم أنه لم يظهر لاهوت تحرر فلسطيني إلا في نهاية الثمانينيات، فقد تبنى الكاثوليك الفرنسيون حججه في كانون الأول عام 1967. إلا أن مجلة الرسالة *Lettre* الشهرية ربطت الفلسطيني بصورة الرجل الفقير الذي أحبه إله المزامير والإنجيل. وفي عيد الميلاد عام 1969، حملت افتتاحية مجلة الشهادة المسيحية *Témoignage Chrétien* عنوان "يسوع المسيح: لاجئ فلسطيني". وقادت هاتان المجلتان النضال المناهض للصهيونية داخل العالم الكاثوليكي الفرنسي منذ عام 1968

السكان المسلمين الريفيين والحضريين في فلسطين في العهد العثماني وعهد الانتداب البريطاني (1870-1940)،" تاريخ البعثات المسيحية، ص 163-195.

[212] مارتين سيفجراند، إسرائيل في عيون الكاثوليك الفرنسيين: 1945-1994، ص 5.

[213] ميشيل ليماري، "حول معاداة السامية لدى موريس باريه: من الطفولة إلى اليقظة في قضية دريفوس"، الأرشيف اليهودي، ص 125.

[214] مقابلة باللغة الفرنسية مع لوك باريدت، مستشار الشؤون الدينية في القنصلية العامة الفرنسية، القدس، 12 كانون أول 2018. يشير المجيب إلى التنازلات والمعاهدات السياسية والتجارية الموقعة في عام 1535 من قبل الملك فرانسوا الأول وسليمان القانوني، والتي عهد بموجبها لفرنسا الحق في حماية المجتمعات الكاثوليكية اللاتينية الفرنسية، والحجاج القادمين من فرنسا.

[215] سيفيغراند، "إسرائيل بعيون الفرنسيين الكاثوليك"، ص 42.

[216] فريدريك شيلو. "فرنسا وأنظمة الأمم المتحدة للحرب الأولى بين العرب وإسرائيل"، أيار 1949-تموز 1949، ص 32.

[217] ارتبطت الصداقة الفرنسية الإسرائيلية أيضًا بالاعتبارات الجيوسياسية، ولا سيما الرغبة في تعزيز السياسة الإمبراطورية الفرنسية لموازنة السياسة البريطانية. أنظر تريمبور، "العلاقات الفرنسية الإسرائيلية"، 408-409.

[218] ستيفاني لاتيه-عبد الله. "نظرات، رؤية تاريخية وسياسة لصور اللاجئين الفلسطينيين منذ عام 1948"، ص 66.

فصاعدا.[219] وتحول الفلسطينيون مع حرب الأيام الستة إلى مقاتلين، قاتلوا وقاوموا على أرضهم، وبالتالي استعادوا مكانتهم. وبدأ الناس في فرنسا، وعلى خلفية إنهاء الاستعمار، وإعادة العلاقات الدبلوماسية مع معظم الدول العربية التي كانت مستعمرات سابقة، ينظرون إلى القمع والتهجير الذي تعرض له الشعب الفلسطيني باعتباره نتيجة مباشرة للمشروع الاستعماري الصهيوني. وتبنى في هذه المرحلة مثقفون مثل مكسيم رودنسون قراءة استعمارية استيطانية للوضع، بما يتماشى مع الرواية الفلسطينية.[220] وبينما كانت المقارنة بالجزائر لا تزال حية في أذهان العديد من الكاثوليك الفرنسيين الذين عاشوا حقبة إنهاء الاستعمار، فإن القضية الفلسطينية كانت في الواقع جزءا من حركة التضامن الفرنسي العربي الناشئة.[221]

ولن يفاجأ أحد إذا علم أن المناضل الفرنسي والكاثوليكي اليساري جورج مونتارون لعب دورا رائدا في تنظيم المؤتمر العالمي الأول للمسيحيين من أجل فلسطين، الذي افتتح في بيروت في 7 أيار 1970. ومثّل الفرنسيون ثلث المشاركين المسيحيين (من إجمالي 2000 مشارك)، والذين جاؤوا من 37 دولة مختلفة.[222] وكان خطاب مونتارون الافتتاحي واضحا: ينبغي للمسيحيين أن "يستجيبوا للدعوة" التي أطلقها الفلسطينيون والمسيحيون في العالم العربي. ودعا الناس إلى الإشارة إلى نفاق التبرير التوراتي للمشروع الصهيوني، حيث أعلن مونتارون أن الصهاينة "يقرؤون في الغالب كلمة الله بعيون الرجال غير المؤمنين".[223] وفي نهاية المؤتمر في 10 أيار عام 1970، دعا نداء بيروت إلى إخلاء الأراضي المحتلة وتفكيك "البنى الصهيونية"، مؤكدا دعم الموقعين الأربعمائة "كمسيحيين" للمقاومة الفلسطينية، "أحد أهم التعبيرات (التي كتبوها) عن النضال من أجل الإنسانية والحرية".[224] في هذا الوقت، تم إنشاء الجمعية الطبية الفرنسية الفلسطينية في باريس عام 1974، والتي اندمجت في عام 2001 مع جمعية فرنسا فلسطين، في جمعية التضامن الفرنسية الفلسطينية الجديدة *AFPS*، وهي واحدة من أهم مجموعات التضامن التي لا تزال نشطة حتى اليوم.

تم تجميع منظمات التضامن هذه معا في "منصة المنظمات غير الحكومية الفرنسية من أجل فلسطين"، التي تم إنشاؤها في عام 1993، "في إطار اتفاقيات أوسلو"، وضمت 39 جمعية، بما في ذلك 24 عضوا و15 مراقبا.[225] وانضمت جمعيات مسيحية، كاثوليكية وبروتستانتية، إلى المنصة، بما في ذلك سيماد *Cimade*، ومسيحيو البحر الأبيض المتوسط، واللجنة الكاثوليكية

---

[219] سيفي غراند. "إسرائيل بعيون كاثوليك فرنسا"، ص 143–45.

[220] أنظر : مكسيم رودنسون. "إسرائيل، هل هي استعمارية؟" العصور الحديثة، *Les Temps Modernes*، 253، 17-88. مكسيم رودنسون. إسرائيل. دولة استعمارية استيطانية؟؛ فايز الصايغ. الاستعمار الصهيوني في فلسطين.

[221] أطلق لويس تيرنوار ولوسيان بيترلين في عام 1967، جمعية التضامن الفرنسية العربية، والتي عُيِّن جورج مونتارون نائبا لرئيسها. كما أسس لوسيان بيترلين الجمعية الفرنسية الجزائرية عام 1963، ومجلة فرنسا والبلدان العربية عام 1975.

[222]أنظر: سيسيل هامسي، جورج مونتارون: رواية حياة. تم الوصول إلى الكتاب في نسخة رقمية. جميع الاقتباسات مأخوذة من الفصل الرابع عشر "فلسطين: رؤية عاطفية".

[223] المرجع السابق.

[224] المرجع السابق.

[225] منصة المنظمات غير الحكومية الفرنسية من أجل فلسطين، "من نحن؟" 2014. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024 https://plateforme-palestine.org/Who-are-we?var_mode=calcul.

لمكافحة الجوع ومن أجل التنمية - أرض التضامن *CCFD*، والإغاثة الكاثوليكية - كاريتاس فرنسا، والحركة الدولية للمصالحة، وباكس كريستي فرنسا. وكان بين الأعضاء المراقبين جمعيات أخرى، مثل العمل المسيحي من أجل إلغاء التعذيب - فرنسا (*ACAT-France*). وبحسب ناشط يمثل منظمة باكس كريستي في مجلس إدارة المنصة وقت إجراء المقابلة، تتعايش داخل المنصة أربع حركات رئيسة: "الكاثوليكية، والإنسانية، والنقابية، والعالمية الثالثة".[226] وتركز الروابط بينها على حقوق الإنسان والسلام والعدالة، فضلا عن الاتصالات التي أقيمت مع المنظمات الفلسطينية اليسارية، واليسارية المتطرفة منذ الثمانينيات. وقد جاءت المنصة لدعم حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها، وفرض العقوبات عليها، على أساس تطبيق دولة إسرائيل لنظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا.[227] علاوة على ذلك، فإن التعبئة ضد الفصل العنصري تشكل عاملاً حاسماً لجيل كامل، كما يشهد ناشط من منظمة باكس كريستي-فرنسا، المولود عام 1958:

نعم، بالنسبة لي (ذكرى المقاطعة في جنوب أفريقيا واضحة)، لأنني كنت طالبا في المدرسة الثانوية في ذلك الوقت، وحدث الأمر... كان لدي انطباع بأن الشباب كانوا أكثر التزاما من البالغين تقريبا. كنا نعاني من حمى نضالية (...)، كنا منغمسين فيها تماما، وأتذكر أنها كانت حقا حركة شبابية قوية جدا... النوبات التي يمكن أن نصاب بها في المنزل، إذا ما صادفنا سوء الحظ رؤية برتقال أوتسبان على الطاولة![228] وأعتقد أن والدينا توقفوا عن شراء برتقال أوتسبان، حتى لا يصاب أبناؤهم المراهقون بنوبة. أعني، في منزلي كان الأمر كذلك.[229]

كانت منظمة باكس كريستي في فرنسا، أول منظمة كاثوليكية فرنسية، تنضم إلى حملة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات في عام 2017.[230] تأسست الجمعية في البداية عام 1945، بهدف العمل من أجل المصالحة الفرنسية الألمانية في سياق البناء الأوروبي. وكان التقارب اليهودي المسيحي في ذلك الوقت موضوعا مركزيا، كما يتبين من الأعداد الأولى من "مجلة السلام" *Journal de la Paix* التي كانت شديدة الاهتمام بمسألة الحوار بين الأديان في أعقاب الرسالة البابوية "نوسترا إيتاتي" *Nostra Aetate* (1965).[231] وهنا أيضا، في أعقاب حرب الأيام

---

[226] مقابلة باللغة الفرنسية، باريس، 10 أكتوبر 2017.

[227] كلود ليوستيك، "كلمة الرئيس" 2019. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024.
https://plateforme-palestine.org/Le-mot-de-la-Presidente-5557

مقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (*BDS*) هي حملة أطلقت في عام 2005 بمبادرة من 172 منظمة مجتمع مدني فلسطيني تدعو إلى مقاطعة دولة إسرائيل، على غرار مقاطعة جنوب إفريقيا.

[228] أوتسبان هي علامة تجارية للبرتقال المنتج في جنوب أفريقيا والتي أصبحت أحد رموز حركة مناهضة الفصل العنصري في أوروبا..

[229] مقابلة باللغة الفرنسية، باريس، 2 فبراير 2017.

[230] أعلن القرار في بيان صحفي في 10 يناير 2017، ونُشر نص العضوية في كتيب بعنوان: "ما هي حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات؟ مقاومة غير عنيفة من قبل المجتمع المدني الفلسطيني"، "التفكير والعيش بسلام"، 10 شباط 2017. ينص القرار على أن "هذا الموقف لا يلزم إلا لجنة الشرق الأدنى التابعة لحركة باكس كريستي الفرنسية، وليس الحركة ككل".

[231] كانت "مجلة السلام" ربع سنوية في البداية، ثم أصبحت شهرية، تأسست في عام 1951. لقد راجعت الأعداد المنشورة بين عامي 1951 و2010، والتي يتم الاحتفاظ بها في مقر المنظمة في باريس. وتعتبر الرسالة العامة *Nostra*

الستة، ارتبطت المسألة اليهودية بالصراع العربي الإسرائيلي، وبدأ الخطاب المؤيد للفلسطينيين في الظهور. ورغم تأكيد المحررين على أنه "لا يمكن أن يكون هناك أي مجال لطرد إسرائيل من "الأرض الموعودة" مرة أخرى، فقد كانوا بوضوح إلى جانب الفلسطينيين، "الذين أجبروا لمدة عشرين عاما على العيش في حصار في مخيمات اللاجئين".[232] وعلى هذا فقد خصصوا ملفهم الصادر في آذار عام 1970 للشرق الأوسط، مع صورة ياسر عرفات على الصفحة الأولى من المجلة (انظر الشكل 1). وظهرت فلسطين في تشرين الثاني من نفس العام، مرة أخرى على الصفحة الأولى تحت عنوان بليغ "شعب بلا أرض: الفلسطينيون" (انظر الشكل 2). وفي مقالة جمعت من رسائل القراء، "والتي غالبا ما كانت مخصصة للقضية الفلسطينية"، ومن استطلاع رأي أعضاء هيئة التحرير، تم استخدام حجة مسيحية على وجه التحديد:

"يشعر المسيحيون (...) بأن المسيح هو الذي يُصلب مرة أخرى".[233] ولهذا السبب على وجه التحديد "تتحدى فلسطين (كما يستنتجون) الضمير المسيحي".[234] وبعد عام 1967، لن يكون الفلسطينيون "لاجئين" أو "مهمشين" أو "حالات اجتماعية"، بل "شعب أصبح على دراية بوجوده، ويعاني من الظلم، (...) وينظم مقاومته بصورة تدريجية " (انظر الشكل 3).[235]

الشكل1: مجلة السلام، العدد 178، آذار 1970، مجموعة خاصة من باكس كرستي-فرنسا، تصوير كاترينا باندييني.

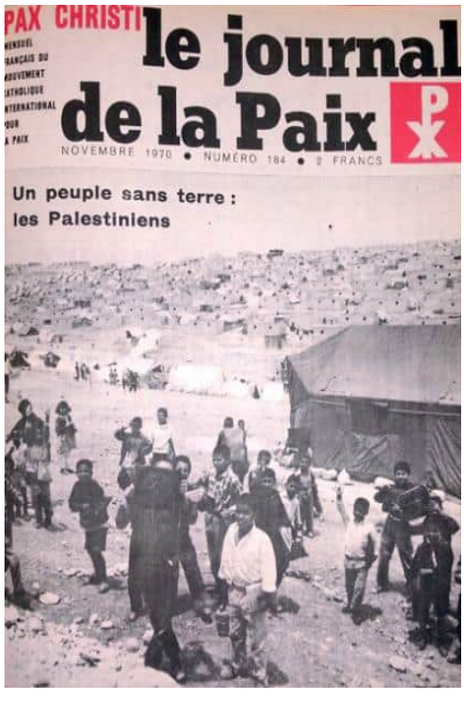

الشكل 2: مجلة السلام، العدد 184، تشرين الثاني 1970، مجموعة خاصة من باكس كرستي-فرنسا، تصوير كاترينا باندييني

Aetate واحدة من أهم الوثائق التي أصدرها المجمع الفاتيكاني الثاني. يتناول الإعلان العلاقة بين المسيحية وجميع الديانات غير المسيحية، لكنها تتناول مسألة الروابط مع الشعب اليهودي بمزيد من التفصيل. ورغم أن الاتهام "بقتل الإله" لم يُرفض صراحة، فإن الرسالة تمثل مع ذلك خطوة مهمة في التقارب بين الكنيسة الكاثوليكية واليهودية.

[232] مجلة السلام، 180، أيار 1970، 2.

[233] المرجع السابق، 184، تشرين الثاني 1970، ص 18.

[234] المرجع السابق.

[235] المرجع السابق.

تم في عام 1978 تنظيم أول رحلة لمدة أحد عشر يوما إلى إسرائيل وفلسطين بعنوان "رحلة لقاء" باكس كريستي "في أرض إبراهيم".[236] وقد تضمنت "لقاءات مع السكان"، الشكل 3 : إضافة إلى "دراسة مشاكلهم" (انظر الشكل 4).[237] بعد بضعة أعداد، نجد رواية واحدة من 17 مشاركا، تصر على الجانب غير السياحي للرحلة، وأن الأسئلة والمخاوف واللقاءات سمحت للمشاركين باكتشاف "المشاكل السياسية والدينية المعقدة" في الأرض.[238] ومع ذلك، فإن ممارسة الحج كرحلة لقاء، وهي تجربة روحية وسياسية، ليست خاصة بفلسطين: فقد نظمت باكس كريستي رحلات تذكارية إلى لبنان لقضاء عيد الميلاد في قرية صيدا المسيحية،[239] وكذلك إلى مواقع التجارب النووية في نيفادا في الولايات المتحدة الأمريكية.[240]

إن التضامن الدولي الذي يستفيد من خلال "اللقاءات التي تجري هناك"، يولد "الرغبة في المشاركة هنا"، كما كتب الحجاج، بمجرد عودتهم إلى فرنسا.[241] ولكن إذاتم إنشاء مثل هذه الشبكات، فإن ذلك يكون في المقام الأول بفضل العلاقات مع السكان المحليين،

الذين دعوا إلى التضامن، ثم تمكنوا من إدارة تدفق الحجاج. ومثل غيرها من المنشورات الكاثوليكية اليسارية، مثل مجلة الشهادة المسيحية Témoignage Chrétien، كانت مجلة

الشكل 3: مجلة السلام، العدد 184، تشرين الثاني، 1970، ص 18، مجموعة خاصة من باكس كرستي- فرنسا، تصوير كاتيرينا باندينى.

الشكل 4: مجلة السلام ، العدد 257، شباط 1978، الغلاف الخلفي، مجموعة خاصة من باكس كرستي- فرنسا، تصوير كاتيرينا باندينى.

[236] المرجع السابق، 256، كانون الثاني 1978، الغلاف الخلفي.
[237] المرجع السابق، 257، شباط 1978، الغلاف الخلفي.
[238] المرجع السابق، 266، كانون الثاني 1979، ص 23.
[239] المرجع السابق، 339، شباط 1986، ص 13.
[240] المرجع السابق، 394، كانون الثاني 1992، ص 6
[241] المرجع السابق، 496، حزيران 2007، ص 36

السلام Journal de la Paix بمثابة مستودع للرسائل من رجال الدين الفلسطينيين الملتزمين، الذين تمكنوا من التعبير عن تحليلاتهم، ودعوة الكاثوليك الفرنسيين للذهاب إلى فلسطين، كما

فعل البطريرك الفخري ميشيل صباح، من أجل اكتشاف "الوضع الحقيقي" و"الشهادة على الحقيقة".[242]

دعوة الفلسطينيين المسيحيين إلى التضامن عبر الوطني

لقد ساهمت الهجرة الجماعية للفلسطينيين المسيحيين في تدويل القضية الفلسطينية. فمنذ نهاية الثمانينيات، أصبح رجال الدين الفلسطينيون الذين تلقوا تدريبهم في أوروبا والولايات المتحدة، منخرطين لاهوتيا في النضال من أجل التحرير الوطني.[243] ومن جانبه، قام البطريرك مشيل صباح بمبادرة حقيقية لتعريب وفلسطنة الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية – والتي بدأتها الكنيسة الملكية فقط خلال عهد الانتداب.[244] ولد ميشيل صباح في الناصرة عام 1933، وكان أول بطريرك كاثوليكي فلسطيني، والوحيد حتى الآن في التاريخ، من عام 1987 إلى عام 2008.

إن تطور اللاهوت السياقي الفلسطيني، لابد وأن يُنظر إليه من منظور العلاقات، في حين أن هناك مناقشات داخل المجتمع الفلسطيني نفسه حول المصطلح الذي ينبغي استخدامه لتحديد الحركة. يتحدث بعض المؤلفين عن لاهوت التحرر الفلسطيني، في إشارة إلى لاهوت أمريكا اللاتينية؛ ويفضل آخرون التحدث عن لاهوت السياق، من أجل الابتعاد عن الأخير، المرتبط بالماركسية؛ ويستخدم آخرون، بنفس الروح، صيغة لاهوت فلسطيني. أما فيما يتصل بالمحتوى، فقد ساهمت حركتان لاهوتيتان إلى حد كبير في تطوير اللاهوت الفلسطيني: الصهيونية المسيحية اليهودية، والصهيونية المسيحية، اللتان نشأتا داخل الحركة البروتستانتية.[245] وقد دعا ممثلو اللاهوت السياسي المسيحاني، مثل الحاخامين كوك، الأب والابن، إلى طرد "الغزاة العرب" من أرض إسرائيل، استنادا إلى التحريض على التطهير العرقي لأرض كنعان (تثنية 7: 1-11).[246] ومنذ عام 1967، وبشكل خاص منذ تأسيس غوش إيمونيم (كتلة المؤمنين) في عام 1974، كانت هذه العقلية بمثابة الأساس الأيديولوجي لاستعمار الأراضي الفلسطينية. إضافة إلى ذلك، اكتسب اللاهوت المسيحي الصهيوني وزنا كبيرا داخل الكنائس الإنجيلية في أمريكا الشمالية، وكذلك في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، كما يتضح من

---

[242] المرجع السابق، 395، شباط 1992، ص 2.

[243] أنظر : نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، لاهوت التحرر الفلسطيني؛ متري الراهب. أنا فلسطيني مسيحي.

[244] كارين سانشيز-سومرر، "التنوع اللغوي والأيديولوجيات بين الأقلية الكاثوليكية في فلسطين الانتدابية: الخوف من الارتباك أم أداة قوية؟"، ص 202.

[245] أنظر: صموئيل جاكوب كوروفيلا. المسيحية الراديكالية في فلسطين وإسرائيل: التحرير واللاهوت في الشرق الأوسط. نور مصالحة وليزا إيشروود، محرران. لاهوت التحرر في فلسطين-إسرائيل. وجهات نظر محلية وسياقية وما بعد الاستعمار.

[246] نور مصالحة. "قراءة الكتاب المقدس بعيون الفلسطينيين والكنعانيين والعماليق: الصهيونية المسيحية، والتعصب الديني، والتقاليد العسكرية للتناخ والفلسطينيين (1967 إلى غزة 2013)"، في: لاهوت التحرر في فلسطين-إسرائيل. وجهات نظر محلية وسياقية وما بعد الاستعمار، ص 57-114 (75-92).

قرار الرئيس دونالد ترامب بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس في كانون الأول عام 2017. وإن المهمة الإلهية لكل مسيحي في التيار الألفي في علم الآخرة للمسيحية الصهيونية، هي إعادة يهود الشتات إلى الأرض المقدسة لإعادة بناء مملكة إسرائيل، لأن عودة "أرض إسرائيل" إلى الشعب اليهودي فقط، هي التي ستضمن عودة المسيح.[247]

يُنظر عموما إلى كتاب القس الأنجليكاني نعيم عتيق "العدالة والعدالة فقط"، الذي نُشر باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة عام 1989، على أنه بيان لاهوت التحرر الفلسطيني. ولد عتيق عام 1937 في بيسان في شمال وادي الأردن (تقع بيت شان الآن داخل دولة إسرائيل)، وقد أصبح في عام 1985 راعيا للجماعة الأسقفية الأنجليكانية في كاتدرائية القديس جورج في القدس. ويشير إلى الصدمة الثلاثية التي أحدثتها النكبة على المؤمنين بعد عام 1948: نكبة روحية وإنسانية ومبنية على الهوية[248]. إن عمل نعيم عتيق هو جزء من تيار نقد ما بعد الاستعمار، الذي يتحدى القيمة التاريخية للنصوص التوراتية، والمستوحى من فكر إدوارد سعيد. فقد ظهر في أواخر الثمانينيات، ما يسمى تيار "الحد الأدنى" في مجال الدراسات التوراتية[249] "للاعتراف بالدور المركزي للنص التوراتي، وإعادة تشكيله في المشروع الاستعماري والإمبريالي الأوروبي.[250] يوضح نعيم عتيق في كتابه، أن هناك حاجة إلى لاهوت تحرر فلسطيني، لأن قِلة من العلماء ركزوا على الجوانب التوراتية واللاهوتية للموقف.[251] ويعتقد عتيق أن هذا اللاهوت يجب أن يستند إلى الكتاب المقدس وليس إلى الماركسية، وبالتالي ينأى بنفسه عن نموذج أمريكا الجنوبية. يحتاج المسيحيون الفلسطينيون إلى تأويل جديد، يركز على شخصية المسيح وكلمته، على أن يكون له أساس لاهوتي وكتابي: الأمر لا يتعلق بالتعبير عن التغيير في طبيعة الله بين العهد القديم والعهد الجديد، بل يتعلق بامتلاك فهم عالمي لهذا التغيير. لذلك يدعو عتيق قراءه المسيحيين إلى الاعتراف بأنه رغم صحة الكتاب المقدس بأكمله، إلا أن كل أجزائه لا تتمتع بنفس القيمة والسلطة بالنسبة للمسيحيين.[252]

وبعد عشرين عاما، تبنت وثيقة أصدرها المجلس المسكوني للكنائس في الأرض المقدسة، استنادا إلى نموذج كايروس في جنوب إفريقيا، نفس الحجج. وتحمل الوثيقة عنوان "كايروس فلسطين: لحظة الحقيقة: كلمة إيمان وأمل ومحبة من قلب معاناة الفلسطينيين"، وهي مستوحاة من الوثيقة التاريخية في اللاهوت السياقي التي كتبها في عام 1985 أغلبية رجال الدين السود للتنديد بالفصل العنصري.[253] وتستند الوثيقة إلى فرضية مفادها أن الاحتلال يهم

---

[247] جان نيدرفين-بيترس. "تاريخ استعارة: الصهيونية المسيحية وسياسات نهاية العالم"، 75-103.

[248] نعيم ستيفان عتيق. لاهوت فلسطيني للتحرر. الكتاب المقدس والعدالة والصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ص 25-29.

[249] أنظر : فاليري نيكوليت أندرسون. "وجهات نظر ما بعد الاستعمار في تفسير الكتاب المقدس: مقدمة لنظريات ما بعد الاستعمار في المجال الكتابي"، ثيوريم 4 ، 2013.

[250] نور مصالحة، "قراءة الكتاب المقدس بعيون الفلسطينيين"، ص 97.

[251] عتيق، العدالة والعدالة فقط، 1.

[252] المرجع السابق، ص 83.

[253] أنظر: جيرالد ويست، "تتبع مسار "كايروس" من جنوب إفريقيا (1985) إلى فلسطين (2009): تمييز الاستمرارية والاختلافات"، مجلة اللاهوت لجنوب إفريقيا 143، 2012، 4-22.

الكنيسة، وبالتالي مجتمع المؤمنين بأكمله، أي "الكنيسة الحية".[254] وإن هذه الوثيقة بالنسبة لأحد المؤلفين، وهو قس كاثوليكي فلسطيني، "أصبحت حركة".[255] إن الوثيقة التي كتبها ووقع عليها رجال الدين والعلمانيون هي أيضا دليل على المسكونية من جانب مختلف مكونات المجتمع المسيحي: فبفضل اللاهوت السياقي "تتشكل تدريجيا حركة مسكونية خاصة بكنائس الأرض المقدسة".[256] إن القضية المركزية في كايروس، كما هو الحال في نصوص لاهوت التحرر الفلسطيني الأخرى، هي قضية الأرض المحتلة، إلى الحد الذي يمكن فيه التمييز بين لاهوت أمريكا الجنوبية، الذي يركز على قضية الفقر والكرامة الإنسانية، واللاهوت الفلسطيني، "لاهوت الأرض".[257] وبالتالي تؤكد الوثيقة أن أرض إسرائيل-فلسطين ليست ملكية مطلقة وفريدة للشعب اليهودي: "نؤمن أن أرضنا لها دعوة عالمية". وهكذا فإن وعد الله للشعب اليهودي لا ينطوي على أي شكل من أشكال الحصرية، لا اللاهوتية ولا حتى الوعد بالأرض: الوعد بالأرض لم يكن يوما عنوانا لبرنامج سياسي.

الشكل 5: افتتاح المؤتمر، الصلاة المسكونية من أجل غزة ومن أجل العدالة في فلسطين، كنيسة الروم الكاثوليك في بيت لحم، 6 كانون الأول 2018. تصوير: كاتيرينا باندييني.

[254] للاطلاع على الوثيقة كاملة باللغة العربية، أنظر : كايروس فلسطين، "لحظة الحقيقة: كلمة إيمان وأمل ومحبة من قلب المعاناة الفلسطينية"، 11 كانون الأول 2009. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024.
https://kairospalestine.ps/sites/default/files/arabic.pdf

[255] مقابلة باللغة الإيطالية، رام الله، في 27 شباط 2018.

[256] سوسي أنديزيان. "تشكيل الهويات الفلسطينية المسيحية: الكنائس والفضاء والشعب"، ص 194.

[257] جمال خضر. "ظهور لاهوت الأرض في فلسطين"، كلمة في ندوة أصدقاء سبيل - فرنسا، 24 تشرين الثاني 2018، شوهد بتاريخ 5 تموز 2024
https://drive.google.com/file/d/1-4FhlW2J7gur2BMvjJp1wkytLmqCdDj3/view.

وقد حظيت كايروس فلسطين بانتشار دولي واسع بفضل عمل مؤلفيها ومنظمات مسيحية أخرى. على سبيل المثال، يُعقد كل عام مؤتمر كايروس الدولي في بيت لحم، يجمع ممثلين عن العديد من الكنائس وشخصيات من الحياة السياسية الفلسطينية - مسيحيين ومسلمين - وعلماء دين مسيحيين من الخارج (جنوب إفريقيا، والهند، وأوروبا، والولايات المتحدة)، وأخيرا جمهور يتألف بشكل أساسي من الحجاج والمتطوعين والناشطين من المنظمات المسيحية المتضامنة مع فلسطين. وقد شارك في المؤتمر في عام 2018، حوالي 200 شخص (انظر الشكل 5).[258]

دعونا نذكر من بين المنظمات الفلسطينية الأخرى، أربع منظمات على الأقل. فقد نشرت منظمة غير حكومية تدعى "مجموعة السياحة البديلة"، التي أسسها في بيت ساحور عام 1995 الكاتب والمنسق لمبادرة كايروس، رفعت قسيس، عددا كبيرا من الكتيبات والنشرات التي تدعو الحجاج لزيارة الأراضي المقدسة بروح الوثيقة[259]. وهناك ثلاث جمعيات أخرى مكرسة لاستقبال الحجاج بنفس الروح: دار الندوة-المركز الدولي لبيت لحم، التي أسسها في عام 1995 القس اللوثري متري راهب، وهو عالم لاهوت بارز وأحد مؤلفي وثيقة كايروس؛ ومركز "اللقاء"، وهي جمعية للحوار الإسلامي المسيحي، تأسست في عام 1982 في القدس؛ وسبيل، وهو مركز مسكوني لعلم اللاهوت التحرري، أسسه نعيم عتيق في عام 1990 في القدس، ومقره في حي شعفاط في القدس الشرقية، وله فرع آخر في الناصرة. إن ما يميز حركة كايروس هو أنها أصبحت معروفة في فرنسا بفضل مركز السبيل، إذ يمتلك المركز شبكة واسعة من الجمعيات "الصديقة" في عشرات البلدان حول العالم. وقد تأسست جمعية أصدقاء سبيل-فرنسا في عام 2010 على يد قس بروتستانتي في أفينيون، وتهدف إلى نشر وترويج التأمل اللاهوتي للمسيحيين في فلسطين-إسرائيل، ودعم مركز السبيل والمجتمع المسيحي الفلسطيني، ومحاربة الصهيونية المسيحية داخل الكنائس البروتستانتية. وتقوم جمعية أصدقاء سبيل بشكل منهجي، بترجمة وتوزيع "موجة الصلاة" الأسبوعية التي اقترحتها مركز السبيل في القدس - والتي نشرتها أيضًا باكس كريستي فرنسا - إضافة إلى وثائق وأعمال أخرى نشرها مركز السبيل أو كايروس أو علماء دين فلسطينيون. كما تنظم الجمعية رحلات إلى إسرائيل-فلسطين للمسيحيين الفرنسيين، وإلى فرنسا للمسيحيين الفلسطينيين، حتى يتمكنوا من المشاركة من خلال القصص الخاصة بهم.

يساعد في هذا التبادل تواجد أشخاص تلقوا تعليمهم في مؤسسات تبشيرية فرنسية، ضمن شبكتي كايروس وسبيل. وكان بين الأشخاص الذين أجرينا معهم المقابلات، ناشطة وموظفة سابقة في مركز السبيل في القدس. ورغم كونها أرمنية أرثوذكسية، فقد تلقت تعليمها على يد راهبات صهيون في القدس، بل قامت بالتدريس في كلية الفرير في بيت حنينا في القدس الشرقية،

[258] مجلة ميدانية، 6 كانون أول 2018.

[259] أنظر: تعال وأنظر ، "دعوة من المسيحيين الفلسطينيين: رحلة من أجل السلام والعدالة: إرشادات للمسيحيين الذين يفكرون في الحج إلى الأرض المقدسة"، 2010؛ "الاستماع إلى الحجارة الحية: نحو استكشافات لاهوتية لرحلات كايروس من أجل العدالة"، 2016؛ "لاهوت الحج"، 2016. شوهد بتاريخ 5 تموز 2024.
http://atg.ps/study-center/publications

وهي مدرسة تابعة لرهبنة دلاسال التعليمية. وأُرسلت ناشطة أخرى من مركز السبيل في الناصرة للدراسة في مدرسة تبشيرية في يافا، وضعت تحت إشراف السفارة الفرنسية بعد عام 1948، حيث حصلت على شهادة البكالوريا. وواصل آخرون دراستهم في فرنسا: فقد درس كاهن يسوعي مشارك في لجنة العدل والسلام التابعة للبطريركية اللاتينية لمدة ثلاث سنوات في فرنسا، وحصل البطريرك مشيل صباح على درجة الدكتوراه في فقه اللغة العربية من جامعة السوربون في باريس. وتوضح هذه العناصر القليلة من مسيرة حياة المستجيبين، تأثير التنقل الدولي على هيكلة شبكات التضامن. إن هؤلاء الناطقين بالفرنسية يشاركون بانتظام في الاجتماعات والمؤتمرات التي تنظمها في فرنسا منظمات مسيحيو البحر الأبيض المتوسط، وأصدقاء مركز السبيل، والسلام المسيحي في فرنسا، كما يعبرون عن أنفسهم في الصحافة المسيحية الفرنسية.

الحج السياسي: نموذج جديد للتضامن المسيحي عبر الوطني

يُستخدم مصطلح "الحجارة الحية" اليوم بشكل متزايد، للإشارة إلى الفلسطينيين المسيحيين الذين يضمنون من خلال وجودهم الدائم في ظروف معيشية بالغة الصعوبة، عمل الأماكن المقدسة التي هجرها الحجاج.[260] وقد أصبح المصطلح، المأخوذ من العهد الجديد،[261] شائعا بفضل مؤسسة خيرية بريطانية، وهي مؤسسة "الحجارة الحية في الأرض المقدسة"، ويُستخدم الآن للإشارة إلى جولات التضامن المسيحية مع الفلسطينيين التي تتم برعايات متعددة.[262] لقد رافق تعزيز الوجود المسيحي في فلسطين تطور السياحة الثقافية والسياسية في الأراضي المحتلة، كما يتضح من بين أمور أخرى، افتتاح متحف بيت لحم في عام 2015 المخصص للتراث والهوية والثقافة المسيحية الفلسطينية (وهو الآن مغلق). هنا مرة أخرى، يمكن للمرء أن يجد تعبير "الحجارة الحية"، وفكرة "أصالة الأرض والشعب"، في معرض للصور الفوتوغرافية لسكان بيت لحم المسيحيين في القرن التاسع عشر.[263]

لقد أصبحت "الحجارة الحية" مراحل لحج جديد يسمى "العدالة"، "التجسد"، "التحول"، أو "الأمل". يعود تاريخ إنشاء هذه المسارات رسميا من قبل البطريركية اللاتينية في القدس إلى عام 1986، وقد زادت بشكل كبير خلال ولاية البطريرك مشيل صباح. إن تحديد هوية الحجاج باعتبارهم "شهودا على معاناة المسيحيين" عند عودتهم إلى أوروبا، لم يفشل في إثارة تحول في شخصية الحاج، الذي لم يعد يبحث عن المقدس، بل يسمي نفسه "كائنا مقدسا".[264] لقد تابعت بين عامي 2017 و2019، ثلاث مجموعات من الحجاج الكاثوليك الفرنسيين المرتبطين

---

[260] أنديزيان. "تشكيل الهويات الفلسطينية المسيحية"، ص 194-95.

[261] أنظر : رسالة بطرس الأولى 2: 4-5: "الَّذِي إِذْ تَأْتُونَ إِلَيْهِ، حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ مُخْتَارٌ مِنَ اللهِ كَرِيمٌ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ - كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ - بَيْتًا رُوحِيًّا، كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ".

[262] جاكي فيلدمان. "إبراهيم المستوطن، يسوع اللاجئ: الصراع المعاصر والمسيحية على الطريق إلى بيت لحم". ص 74.

[263] مجلة ميدانية، 20 أيار 2017.

[264] مجلة السلام، 482، تشرين الثاني، 2003، ص 75.

بجمعية الإغاثة الكاثوليكية *Secours Catholique*، إضافة إلى مجموعة بروتستانتية.[265] إن مسارات "الحجارة الحية" هي جولات مخصصة تهدف إلى مساعدة الحجاج على تجربة الحياة اليومية للاحتلال. وهي تختلف عن الحج التقليدي بطريقتين: الاهتمام بلقاء السكان المحليين، وزيارة الأماكن الرئيسة للاحتلال والمقاومة الفلسطينية (مخيمات اللاجئين، ونقاط التفتيش، والمجتمعات المهددة بالهدم، أو المحاطة بالجدار: (انظر الشكل 6 و7). يلتقي الحجاج بالمسيحيين وكذلك المسلمين، وبدرجة أقل، اليهود الإسرائيليين الملتزمين بالتضامن مع الفلسطينيين. ومع ذلك، يميل السكان المسيحيون إلى أن يكونوا ممثلين بشكل أكبر، وخاصة الناطقين بالفرنسية.

تبدو الكنيسة على وجه الخصوص، كأنها مكان من أجل اللقاء والمشاركة: حيث يتضمن مسار الرحلة قداسا واحدا على الأقل، يتم الاحتفال به في إحدى الرعايا الفلسطينية في الأراضي المحتلة في بيت جالا، أو عابود، أو رفيديا، أو جفنا، وغيرها. وتوفر الليتورجيا اللاتينية إطارا للتفاعل، حيث يجتمع الحجاج والمصلون في مساحة طقسية مشتركة. وعادة ما يلقي كاهن الرعية كلمة باللغة الفرنسية للحجاج، تهدف إلى الشهادة على المأساة التي يعيشها المسيحيون في فلسطين، وتحية لجهود الحجاج الذين اختاروا حضور القداس، و"حماية ليس الحجارة الميتة فقط، ولكن "الحجارة الحية" أيضاً،" كما قال كاهن الرعية في جفنا لمجموعة من المشاركين.[266]

الصورة 6: مجموعة من الحجاج أمام الجدار في بيت لحم، آذار 2018. تصوير: كاتيرينا باندييني

[265] على التوالي في نيسان 2017، شباط-آذار 2018، نيسان 2018، وآذار 2018. لم أنظر إلى حج المجموعات البروتستانتية بالاعتبار في هذه المقالة. ويجب أن نضيف إلى هذه المجموعات، أربع رحلات حج كاثوليكية إيطالية، نظمتها القسم الإيطالي من باكس كريستي، والتي شاركت فيها بين صيف 2015 وصيف 2019.

[266] مجلة ميدانية، 4 آذار 2018.

الصورة 7: مجموعة من الحجاج عند مدخل مخيم عايدة في بيت لحم، آذار 2018، كاترينا باندیني.

إن عملية دمج البعد السياسي في التجربة الروحية، هي شكل من أشكال التسييس من خلال الإيمان. إن هذا لا يمكن أن يُنظَر إليه باعتباره تحولا في شخصية الحاج فحسب، بل وفي الحج ذاته، الذي يتحول من كونه تجربة فردية للمقدس، إلى تجربة جماعية للتضامن. تاريخيا، كانت السلطات الدينية تخشى الحج دوما، لأن الحجاج يتوقعون الخلاص من ممارساتهم الفردية بدلا من الطقوس المؤسسية. وبصورة مماثلة، لا توكل هذه المجموعات دعمها للهيئات السياسية، بل تدافع بدلا من ذلك عن الوعي العام داخل المجتمع المدني العابر للحدود الوطنية، والذي من شأنه أن يؤدي إلى مضاعفة المبادرات الشعبية. وبناء على ذلك، فإن هذين البعدين من الاحتجاج ضد الخطاب الديني المهيمن والنقد السياسي يتشابكان أثناء الحج. ويفترض أن يقوم قادة المجموعات، سواء كانوا رجال دين أو علمانيين، "بترجمة" الواقع الذي يلاحظه الحجاج، ونقل التجربة العاطفية (انظر الشكل 8). وقد سعى المرشد الروحي دائماً في المجموعات التي راقبتها، إلى تقديم قراءة نقدية للكتاب المقدس، من أجل إضفاء الشرعية على آرائه السياسية، وتوعية الحجاج الأقل اهتماما بالسياسة. تحدث كاهن فرنسي رافق مجموعات الإغاثة الكاثوليكية لمدة ثلاث سنوات عن تجربته كمرشد، والآثار التي أحدثتها الرحلات على المشاركين:

"كان الهدف الأساسي من هذه الرحلات هو اكتشاف الواقع المحلي بمعنى أوسع من مجرد أماكن العبادة. لذا، فإن ما تغير هو أن (...) الأشخاص الذين جاءوا معي في الرحلات (...) سمح لهم بالتأمل ليس فقط في قضية فلسطين، بل وفي قضية حياة الإيمان (...)، والالتزام في المجتمع. (...) وهناك رأيت الثمار حقا، لأن الأشخاص الذين ما زلت على اتصال بهم، أصبحوا منخرطين لاحقا في فرنسا، وليس فقط في القضايا الإسرائيلية الفلسطينية. لقد فتح لهم ذلك التزاما كمسيحيين في المجتمع، تجاه المهاجرين، والفقر، والقضايا الاجتماعية. (...) لقد دعتهم نقطة الاتصال هذه، والمتمثلة بالاهتمام بموقف في البعد الروحي، إلى النظر بدقة أكبر في حياتهم.

وانخرط البعض منهم لأول مرة، وطمئن الآخرين إلى ضرورة الالتزام (...). كان الجمهور الذي جاء (...) أشخاصا يطرحون بالفعل أسئلة حول التضامن الدولي (...).[267]

الشكل 8: مرشد يقلد لفتة البابا فرانسيس أثناء زيارته عام 2014 إلى الأراضي المقدسة، بيت لحم، آذار 2018. ويقال إن البابا توقف عند جدار الفصل، واتخذ "نفس الموقف الذي اتخذه عند حائط المبكى"، 18 آذار. تصوير كاتيرينا.

ليس كل الحجاج ملتزمين بالقضية الفلسطينية قبل مغادرتهم. ويخاطب المرشدون بشكل خاص أولئك الذين ليسوا ملتزمين، من خلال تفكيك بعض القصص التوراتية: يشرحون أن يسوع لم يولد في بيت لحم بل في الناصرة، وأن القبر المقدس لا يقع في الموقع الأصلي لقبر المسيح، وأن محطات الصليب ومعظم الأماكن المقدسة مشكوك في صحتها التاريخية. إن هذا العمل هو الأساس الذي يقوم عليه تسييس القضية الفلسطينية، ذلك أن التفسير غير الحرفي لسرديات الأناجيل، هو على وجه التحديد ما يجعل من الممكن ربط أحداث حياة يسوع بتاريخ الشعب الفلسطيني: هكذا يمكن ليسوع أن يصبح لاجئاً فلسطينياً.

كان الكاهن المذكور أعلاه يطلب دائماً من المشاركين في نهاية كل رحلة، تحديث النظر إلى درب الصليب بناء على لقاءاتهم وتجاربهم في فلسطين. ووفقاً له، إن "التحديث" يعني أخذ النص ورؤية "ما يريد أن يخبرنا به". "نحن لا نمارس السياسة من أجل ممارسة السياسة"، أوضح الكاهن لمجموعة من الناس، "نحن نفعل ذلك لأنه مكتوب في الإنجيل وهو جزء من إيماننا!".[268] وبالتالي فإن درب الصليب هو حافز حقيقي في عملية التسييس من خلال الإيمان. وقد صاغ مركز السبيل هذا النهج في كتيب نشره في عام 2008، وتم تحديثه في سياق حرب غزة (2023-2024)، وقد أدى هذا إلى إنتاج كتيبات إرشادية، ترتبط فيها كل محطة رئيسة بحلقة في التاريخ الفلسطيني مصحوبة بشهادة - "حُكِم على يسوع بالموت" تصبح "نكبة عام 1948"؛ "يسوع

[267] مقابلة باللغة الفرنسية، باريس، 17 كانون الأول 2018.

[268] مجلة ميدانية، 5 نيسان 2017.

يحمل صليبه" تصبح "اللاجئين" وهكذا.[269] في نهاية المطاف، تصبح الرحلة بأكملها رحلة سياسية. ويصبح الحج بأكمله درب الصليب، رحلة عبر قلب المعاناة الفلسطينية، مُقامة خصيصا للحجاج.

تتجسد خلال الرحلة بصورة خاصة ممارستان في التضامن: الاستماع إلى الشهادات، وشراء المنتجات الفلسطينية. تمثل الشهادات في الواقع لحظات اللقاء مع الفلسطينيين المنخرطين في المقاومة اللاعنفية للاحتلال، والجهات الفاعلة في العالم المجتمعي، والمزارعين الذين يعارضون مصادرة أراضيهم، والكهنة وعلماء اللاهوت التحريريين، والصحافيين، والمثقفين. هذه اللحظات من التفاعل مدونة بشكل كبير - يجب على الشاهد الفلسطيني أن ينقل إلى الجمهور قسوة حالته وثبات مقاومته، وهو ما يُعرف عموما في فلسطين باسم الصمود.[270] يدعو الشهود الحجاج من خلال مشاركة التجارب الشخصية والمعاناة، إلى استخدام كلماتهم كدليل ملموس لدعم قضيتهم. هكذا يرى البطريرك مشيل صباح إمكانيات هذه الشهادات:

سار الحجاج دون أن يروا، وقلنا لهم: لا تمشوا دون أن تروا! انظروا إلى أن هناك شخصا يعاني، وربما يمكنكم فعل شيء حيال ذلك. كل بطبيعة الحال حسب إمكانياته. إن الحاج البسيط لا يستطيع أن يفعل الكثير، ولكن هناك حجاج يتمتعون بالسلطة في مجتمعهم، ويمكنهم أن يفعلوا شيئاً، ويجب أن يدركوا أن كل شيء ليس طبيعياً هنا، وأن هناك شرا يجب علاجه.[271]

من الصعب أحياناً على الحجاج أن يتخيلوا ما قد يفعلونه عندما يعودون إلى فرنسا: "ليس لدينا الكثير من السلطة"، صاح أحد المشاركين، "ثم قالت ناشطة يهودية إسرائيلية التقت المجموعة بها، إن الحل يجب أن يكون سياسياً بصورة أكبر!"[272] ورغم ذلك، هناك مجال واحد يبدو فيه مساهمة هذه الرحلات بشكل مباشر، وهو الاقتصاد. وقد ساهمت هذه الرحلات رغم هامشيتها، في تطوير السياحة في الأراضي المحتلة، بعد سنوات طويلة من الأزمة التي هُجِرت خلالها الأماكن المقدسة، بسبب اشتباكات الانتفاضة الثانية. إن الشراء "الأخلاقي" يعني شراء فلسطيني. في حين لا يتم حتى النظر في الأشياء الدينية التقليدية، مثل أكاليل الشوك، فإن شراء الحرف اليدوية الفلسطينية (زيت الزيتون، والتوابل، والسيراميك، وما إلى ذلك) يمنح الحجاج شعورا بـ "الفائدة". كما تكيفت صناعة السياحة الدينية - فقد أعيد اختراع الأشياء الدينية البحتة من خلال منظور الصراع والاحتلال، كما يتضح من مشاهد المهد المصنوعة من خشب

[269] للحصول على نسخة محدثة من كتيب درب الصليب، أنظر : مركز السبيل، "أسبوع الآلام مع غزة"، آذار 2024، شوهد بتاريخ 5 تموز 2024 .https://sabeel.org/holy-week-gaza/

[270] يشير هذا المصطلح، الذي لا يوجد له ترجمة دقيقة باللغة الفرنسية، إلى المرونة والتعلق بالأرض. حول أداء التفاعلات بين الفلسطينيين والحجاج، أنظر : كاترينا باندیني، "أعط الكلمة للفلسطينيين": المعيارية والتوترات في جهاز نظام الشهادة المباشرة في إسرائيل وفلسطين، في: "أعط الكلمة لمن لا صوت لهم؟" البناء الاجتماعي وعلاج المشاكل العامة، ص 89-95.

[271] مقابلة باللغة الإيطالية، القدس، 1 أيار 2017.

[272] مجلة ميدانية، 2 آذار 2018.

الزيتون، حيث لا يستطيع المجوس الوصول إلى العائلة المقدسة بسبب جدار الفصل العنصري، والمعروض للبيع في العديد من متاجر الهدايا التذكارية في بيت لحم. يمكن للمرء أن يجد على الجدار نفسه إشارات إلى تأثير الحاجز على قدرة العائلة المقدسة على الحركة، كما هو الحال في حملة *#MaryCantMove* التي أطلقتها منظمة الحق في الحركة *Right to Movement* في عام 2016، بهدف تسليط الضوء على أن مريم ويوسف لن يكون باستطاعتهما القيام برحلتهما الشهيرة اليوم (انظر الشكل 9). وقد تطور قطاع سياحي مرتبط بالاحتلال في المراكز الحضرية في الضفة الغربية. إن افتتاح الفندق الذي أقامه الفنان البريطاني بانكسي في بيت لحم في آذار عام 2017، والذي يقع مقابل الحائط الغربي، ويُعلن عنه باعتباره الفندق "الأسوأ إطلالة في العالم"، يشكل مثالا جيدا على هذا. ويوجد في داخل الفندق متحف صغير يصف تاريخ وطريقة عمل نظام الاحتلال. ويعكس الموقع مواقع أخرى للسياحة التذكارية المرتبطة بالصراع المسلح، مثل تلك الموجودة في مناطق الحرب السابقة في وسط وشرق أوروبا. مواقع إبادة اليهود في بولندا أو مقبرة ليفاشوفو التذكارية في روسيا، المخصصة لضحايا الستالينية، على سبيل المثال لا الحصر.[273]

الصورة 9: هاشتاج #MaryCantMove الخاص بحق الحركة، على جدار الفصل العنصري، بيت لحم، حزيران 2022. تصوير: كاتيرينا باندييني.

الخاتمة

على النقيض من المبشرين، الذين كان هدفهم في البداية التبشير ثم حماية المسيحيين المحليين، يبدو أن الجهات الفاعلة الجديدة في التضامن الفرنسي أقل التزاما بالمسيحيين، من كونهم مسيحيين. إن المشاركين في رحلات حج "الحجارة الحية"، يحشدون الموارد الدينية لتقديم أنفسهم كمسيحيين: الصليب حول أعناقهم، والإنجيل في أيديهم، يمررون أنفسهم كحجاج تقليديين عند وصولهم إلى مطار تل أبيب. لكن هدفهم هو اكتشاف حقيقة الاحتلال الإسرائيلي،

[273] أنظر: دلفين بيكتل ولوبا يورغنسون. محرران. سياحة الذكرى في أوروبا الوسطى والشرقية.

وأن يصبحوا متحدثين باسم نضال جميع الفلسطينيين والمسيحيين والمسلمين عند عودتهم إلى فرنسا، وهم يدركون حجج جمعيات التضامن الكاثوليكية. والواقع أن الحجاج إذا التقوا بالعديد من المسيحيين، فإنهم لا يسعون إلى إقامة تسلسل هرمي للمعاناة بين الفلسطينيين. ومع ذلك، فإن هذه الالتزامات لها قاعدة مسيحية يسارية قوية، متجذرة في الكاثوليكية الاجتماعية، ومعاداة الصهيونية المتشددة. وهذا يميزهم عن أغلب التحركات التي جرت في فرنسا منذ عام 2014 لصالح "مسيحيي الشرق"، والتي ترتبط بسياسات الهوية اليمينية.

على الجانب الفلسطيني، فإن الخطاب حول الوحدة الوطنية هو خطاب تمثيلي في الأساس. وقد أكد لنا أحد مؤلفي كايروس أن هذه "وثيقة فلسطينية، كتبها مسيحيون بالصدفة"،[274] لكن هذا الادعاء يحتاج إلى تدقيق. إن اللاهوت السياقي قائم على المسيحية بشكل مميز، كما يتضح من افتقاره إلى الاعتراف بين السكان المسلمين. تلعب هذه الحركة على أصول المسيحية الفلسطينية - شبكتها العابرة للحدود الوطنية - لمعارضة تقدم الصهيونية المسيحية في العالم بشكل أساسي. إن حركة الحج الفلسطينية، قبل أن تكون نقطة مرجعية لكل الفلسطينيين، كما يصر رجال الدين واللاهوتيون، تبدو في المقام الأول وسيلة "لوضع القضية الفلسطينية في الساحة اللاهوتية الدولية".[275] ومع ذلك، تخضع الحركة لبعض التغييرات، مع ظهور جيل جديد من رجال الدين المهتمين بتمكين المجتمعات المحلية، والانخراط في الحوار مع السكان المسلمين، أكثر من المناصرة الدولية،[276] كما تظهر دلالة أكثر وضوحا في حركة الحج الفلسطينية.[277]

لقد أصبح المسيحيون في فلسطين مسألة رمزية أكثر من كونها مسألة أعداد، وقد بدأ الفلسطينيون في تقدير هذه الحالة.[278] وبالتالي فإن تحمل المسؤولية عن رحلات حج "الحجارة الحية" يُظهِر أن السكان المسيحيين المحليين بعيدون كل البعد عن كونهم ضحية عاجزة للسياحة الدولية.[279] هذه ليست مجرد عملية من أجل المحافظة على تراث المواقع المسيحية. يتم من خلال مسارات "الحجارة الحية"، تنشيط ذاكرة الاحتلال والمقاومة، بحيث يصبح الحجاج عند عودتهم إلى بلادهم منخرطين بنشاط في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية. وهكذا نجح المسيحيون الفلسطينيون في الاستفادة من حركات التضامن، التي ساهموا بنشاط في هيكلتها في المناطق التي أهملتها دوائر الحج الكلاسيكية، لأنها تعتبر خطيرة. ومن خلال اختيار البحث متعدد المواقع وإطار التحليل العلائقي، ومن خلال الانتباه إلى التأثير المتبادل بين أولئك

[274] مقابلة باللغتين العربية والإنجليزية، القدس، 28 شباط 2018.

[275] مارك إليس. "لاهوت التحرير في فلسطين-إسرائيل والنضال من أجل السلام والعدالة"، في: لاهوت التحرر في فلسطين-إسرائيل: وجهات نظر محلية وسياقية وما بعد استعمارية. ص 47.

[276] أنظر: جون منيّر وصامويل منيّر، "إزالة الاستعمار من لاهوت التحرر الفلسطيني: أساليب ومصادر وأصوات جديدة"، ص 287-310.

[277] أنظر: متري الراهب، إنهاء الاحتلال فلسطين: الأرض والشعب والكتاب المقدس.

[278] أنديزيان، "تكوين الهويات الفلسطينية المسيحية"، ص 195.

[279] غلين بومان، "سياسات الإرشاد السياحي: المرشدون الإسرائيليون والفلسطينيون في إسرائيل والأراضي المحتلة"، في: السياحة والدول الأقل نمواً: قضايا ودراسات حالة، ص 131.

الذين يجلبون التضامن وأولئك الذين يديرونه، كان من الممكن أخيرا ان يتمكن الفلسطينيون المسيحيون من العمل كرجال أعمال في مجال التضامن.

أخيرًا، في السياق الحالي لحرب الإبادة الجماعية في غزة، ورغم التوقف الكامل للسياحة والحج في الضفة الغربية، والقمع الشديد الذي يواجهه الفلسطينيون في جميع أنحاء فلسطين وإسرائيل، يظل المسيحيون الفلسطينيون مجندين في أعقاب التزاماتهم اللاهوتية والسياسية التاريخية.[280] ومع ذلك، تكافح المناصرة في فرنسا من أجل جذب الدعم المسيحي على خلفية التقارب بين اليمين واليمين المتطرف وإسرائيل، وخاصة منذ الهجمات في 7 تشرين الأول 2023. إن انتشار الإسلاموفوبيا وتصور إسرائيل كدولة غربية، يدفع العديد من المسيحيين في الاتجاهات اليمينية إلى النأي بأنفسهم عن إخوانهم الفلسطينيين في الدين. ويبدو أن المسيحيين اليساريين أصبحوا مهمشين بشكل متزايد، رغم أن أصوات الأقلية لا تزال تقوم بالحشد، باسم إيمانها، للدعوة إلى وقف إطلاق النار.[281]

[280] كاترينا باندیني، "الكوفية والصليب: التحديات السياسية واللاهوتية للمسيحية الفلسطينية". نشرة المرصد الديني الدولي 49، حزيران 2024، شوهد بتاريخ 5 يوليو 2024. https://obsreligion.cnrs.fr/bulletin/le-keffieh-et- la-croix-les-defis-politiques-et-theologiques-du-christianisme-palestinien/

[281] أنظر على سبيل المثال منشورات مجموعة أناستاسيس المسيحية اليسارية، التي تأسست في آذار 2022، شوهد بتاريخ 5 تموز 2024 https://collectif-anastasis.org/.

تأويلات لاهوت التحرر
كيف يفسر جيمس كون ونعيم عتيق الكتاب المقدس؟

مايكل ماكدوجل
الجامعة الدولية للفنون الليبرالية المسيحية، كلاييدا، ليتوانيا

الملخص

تقارن هذه المقالة بين تأويلات جيمس كون ونعيم عتيق، مؤسسي لاهوت التحرر الأسود ولاهوت التحرر الفلسطيني. ونتيجة لسياق الاضطهاد الذي يعيشان فيه، تعلّم الرجلان أساليب جديدة لقراءة الكتاب المقدس وتفسيره، تعطي الأولوية لوجهة نظر المهمشين. تركز تأويلات جيمس كون على ما إذا كان النص يمنح الحياة للمضطهدين، بينما تركز تأويلات نعيم عتيق على السيد المسيح والمحبة. وبينما طبق الرجلان تأويلاتهما على العديد من النصوص، تركز هذه المقالة على سفر الخروج، وحياة يسوع في الناصرة، والصليب. إضافة إلى ذلك، تدرس هذه المقالة كيف يفهم كل منهما العنف واللاعنف، كأساليب لمقاومة الاضطهاد، وكيف يؤثر فهمهما لحب الله على وجهات نظرهما. وتخلص المقالة إلى القول إن المسيحيين يحتاجون إلى لاهوت جيمس كون ونعيم عتيق، لأن مواقف كل منهما صحيحة، وتكمل بعضها البعض.

الكلمات المفتاحية: لاهوت التحرر الأسود، لاهوت التحرر الفلسطيني، جيمس كون، نعيم عتيق، العنف، اللاعنف، الاضطهاد، التأويل

الخلفية والهدف:

لقد أتيحت لي الفرصة في عام 2022، لزيارة إسرائيل وفلسطين لأول مرة: كنت في البداية حاجا في إسرائيل، ثم طالبا في معهد السلام والعدالة التابع لكلية بيت لحم للكتاب المقدس في فلسطين. وقد أدركت أثناء وجودي هناك، أن يسوع "على الجانب الآخر من الجدار"، يقف مع المضطهدين؛ إذا كنت أريد أن أفهم وأتبع يسوع، فأنا بحاجة إلى الاستماع إلى أولئك على الجانب الآخر والتعلم منهم. قادني هذا الاكتشاف إلى كتابات جيمس كون ونعيم عتيق. ورغم أن هذه المقالة يمكن أن تفيد علماء لاهوت التحرر، إلا أنها كتبت لأولئك الذين يحتاجون مثلي إلى سماع صوت يسوع من جديد، من خلال أصوات المضطهدين. وكما ذكر جيمس كون، "لقد حان الوقت للأمريكيين البيض أن يلتزموا الصمت، وأن يستمعوا إلى السود".[282] وإني أعتبر هذه المقالة محاولة مني من أجل الاستماع.

بينما يكتب البعض عن العلاقة بين لاهوت التحرر الأسود ولاهوت التحرر الفلسطيني، لم أجد أي محاولة لوضع هاتين الفلسفتين اللاهوتيتين في حوار، من خلال كتابات أولئك الذين صاغوها لأول مرة. آمل أن تسد هذه المقالة هذه الفجوة، حيث يبتعد العديد من المسيحيين في جميع أنحاء العالم عن اللاهوت المسيء الذي اعتنقوه ذات يوم، ويبحثون عن لاهوت يشبه يسوع بصورة أكبر.

مقدمة

ولد جيمس كون عام 1938 في أركنساس. وقد قادته تجاربه السلبية في النشأة كأقلية في الجنوب، إضافة إلى نشأته الإيجابية في كنيسة مقدونيا الأسقفية الميثودية الأفريقية، إلى الخدمة والعمل الأكاديمي، حيث طور في النهاية لاهوت تحرير السود.

ولد نعيم عتيق عام 1937 في مدينة بيسان في فلسطين، وهُجرت عائلته قسرا في عام 1948 إلى الناصرة من قبل الجيش الإسرائيلي. ثم أصبح عتيق في النهاية قسيسا أنجليكانيا، وحصل على الدكتوراه، وأسس مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر، والذي يسعى إلى مساعدة أولئك الذين يعانون تحت الاحتلال. ويُعرف القس عتيق بأنه مؤسس لاهوت التحرر الفلسطيني.

التأويل

قبل أن نبدأ بتحليل تأويل كل من الرجلين، نرى أنه من المهم أن نشرح بإيجاز وجهة النظر العامة لجيمس كون ونعيم عتيق للكتاب المقدس. رغم أن كلا الرجلين يقدران الكتاب المقدس بشكل كبير، إلا أن أياً منهما لا يقبل الاعتقاد بأن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ.

[282] جميس كون، اللاهوت الأسود والقوة السوداء، ص 24.

يعتقد جيمس كون أنه حتى لو ألهم الله مؤلفي الكتاب المقدس، فإن هؤلاء المؤلفين كانوا عرضة للخطأ.[283] كما يؤكد أن المرء سواء كان يؤمن بعصمة الكتاب المقدس أم لا، فإن تفسيره ليس معصوما من الخطأ.

ويتفق نعيم عتيق مع جيمس كون في أن البشر المعرضين للخطأ قد كتبوا الكتاب المقدس، ولكنه يسلط الضوء أيضًا حول كيف يتناقض الكتاب المقدس غالبا مع نفسه. تَظهر هذه التناقضات، لأن بعض المؤلفين لديهم وجهة نظر بدائية عن الله، حيث ينظرون إلى الله على أنه قبلي وحصري، بينما كان لدى آخرين فهم أكثر عالمية وشمولية.[284] وهذا يقود عتيق إلى الادعاء بأن الكتاب المقدس ليس كله كلمة الله، ولكن النصوص التي تشير إلى يسوع فقط هي التي ينبغي أن تحمل هذا التصنيف.[285]

تأويل جيمس كون

لكي نتمكن من فهم تفسير جيمس كون، من الضروري أن نفهم وجهة نظره عن يسوع. يسوع هو وحي الله، وبالتالي فهو نقطة البداية لأي حديث عن الله.[286] ولأن يسوع ولد في مكان وضيع، فإن منظور جيمس كون التحرري عند قراءة الكتاب المقدس، هو من منظور المهمشين والضعفاء والعاجزين،[287] مما يدفعه إلى القول بأن يسوع أسود.[288] ويخلص جيمس كون من خلال فحص تجسد يسوع وصلبه وقيامته، إلى أن يسوع "أسود لأنه كان يهوديا".[289] لقد ربطت يهودية يسوع من خلال التجسد، بنشاط الله التحرري في قصة الخروج، مما يدل على أن يسوع "لم يكن إنسانا "عالميا" بل يهوديًا معينا جاء لتحقيق إرادة الله لتحرير المظلومين. إن يهوديته تؤكد على حقيقة وجوده تاريخيا.[290] ويمثل صلب المسيح "خصوصية المعاناة الإلهية في مكان إسرائيل"، في حين تمثل القيامة "عالمية الحرية الإلهية لكل من يتعب ويحمل أحمالا ثقيلة".[291] إن القيامة تعني أن هوية الله مع الفقراء في المسيح، ولا تقتصر على خصوصية يهوديته، بل تنطبق على كل من يكافح من أجل تحرير البشرية.[292] لأن المسيح باختصار، كان يهوديا مضطهدا (ربط المسيح بالخروج)، وشنق من قبل الأقوياء، وأُعيد إلى الحياة، والمسيح حاضر الآن إلى الأبد مع المضطهدين، وهم بالنسبة لجيمس كون، الأميركيون من أصل أفريقي، ومن هنا جاء الادعاء بأن المسيح أسود.

---

[283] حركة تنمية الحياة الشاملة، "حوار مع جيمس كون"، 14: 52-15: 17.

[284] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 101.

[285] نعيم عتيق، لاهوت التحرر الفلسطيني، ص 141-142.

[286] جميس كون، لاهوت تحرر السود، ص 23.

[287] حركة تنمية الحياة الشاملة، المرجع السابق، 12: 10-12: 20.

[288] جميس كون، لاهوت تحرر السود، ص 40-41.

[289] جميس كون، إله المظلومين، ص 123.

[290] المرجع السابق، ص 109.

[291] المرجع السابق، ص 124.

[292] نفس المكان.

إن فهم جيمس كون ليسوع مرتبط بفهمه للقوة السوداء. إن المسيح ليس حاضرًا مع المضطهدين فحسب، بل إنه أيضا مع أولئك، مسيحيين كانوا أم لا، الذين يقاتلون ضد الظلم. وإن القوة السوداء بالنسبة لجيمس كون، هي الحركة التي تجسد إنجيل يسوع الأسود. ويؤكد جيمس كون في الواقع، أن "المسيحية ... هي القوة السوداء".[293] وإن القوة السوداء بالنسبة له هي تأكيد السود على قيمتهم وقوتهم من خلال أي وسيلة ضرورية، للقول نعم لما يستحق العناء، ولا لأي شيء يقوله الظالم.[294] ويعتقد جيمس كون أن القوة السوداء، حتى في أكثر أشكالها تطرفا، بسبب كفاحها ضد الظلم، ليست نقيضا للمسيحية، بل هي "رسالة المسيح المركزية لأمريكا في القرن العشرين".[295]

إن اعتقاد جيمس كون بأن يسوع أسود، وأن المسيحية هي القوة السوداء، قد منحه هذا التفسير: "إذا كانت العقيدة متوافقة مع الدافع نحو الحرية السوداء أو تعززه، فهي إذن إنجيل يسوع المسيح. وإذا كانت العقيدة ضد جوهر السود، كما تم التعبير عنه في القوة السوداء أو غير مبالية به، فهي إذن عمل المسيح الدجال".[296] يعتقد جيمس كون أن الطريقة التي يمكن بها الحكم على صحة تفسير المرء، هي من خلال ما إذا كان لديه "قوة تمنح الحياة للفقراء والمضطهدين" أم لا.[297] ووفقا لهذا المنظور، فإن نضال القوة السوداء ضد القمع، ليس متوافقا مع الإنجيل فحسب، بل هو في الواقع تعبير عن الإنجيل.[298] ولا يقبل جيمس كون من خلال هذا التفسير، أي شيء "يتناقض مع طلب السود للحرية الآن".[299] ويرى من ناحية أخرى، إذا كانت التعاليم تمجد دفع السود نحو الحرية وتقرير المصير والكرامة، فإن هذه الأمور مقبولة باعتبارها من المسيح.

تأويل نعيم عتيق

عندما سعى الفلسطينيون المسيحيون إلى فهم الظروف التي يعيشون فيها، واجه العديد منهم أزمة إيمانية. فقد وجد بعض المؤمنين صعوبة في قراءة الكتاب المقدس، "الذي كان ذات يوم مصدرا لراحتهم، ولكنه يستخدم الآن من قبل البعض باعتباره الكتاب الذي يبرر بؤسهم".[300] ووجد هؤلاء المسيحيون أنفسهم يتساءلون، "كيف يمكن أن يكون العهد القديم كلمة الله في ضوء تجربة المسيحيين الفلسطينيين، من خلال استخدامه لدعم الصهيونية؟"[301] وقد دفع هذا بعض الفلسطينيين إلى تطوير تأويل يتناول النصوص المستخدمة لتبرير اضطهادهم، وفقًا للمعيار التالي: يجب أن يستند التأويل أولا إلى أساس قوي في كل من الكتاب

---

[293] جميس كون، لاهوت السود والقوة السوداء، xxvi.

[294] المرجع السابق، ص 6-7.

[295] المرجع السابق، ص 1.

[296] المرجع السابق، ص 80.

[297] المرجع السابق، xxx.

[298] المرجع السابق، ص 136.

[299] نفس المكان.

[300] تينو ويه، لاهوت أغلبية العالم، ص 283.

[301] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 79.

المقدس واللاهوت، لمنعه من أن يصبح وسيلة لمعارضة الصهاينة فقط، ودعم المعتقدات والتحيزات الفلسطينية بشكل أعمى. ويجب ثانيا أن يعكس بدقة طبيعة الله غير المتغيرة.[302]

وقد أدى هذا إلى ظهور منظورين تأويليين - يسوع والمحبة. وقد تم اختيار حياة يسوع وتعاليمه بسبب الاعتقاد بأن يسوع يكشف تماما عن طبيعة الله وقلبه.[303] وهكذا، فإن يسوع هو التفسير "الذي يستطيع المسيحيون من خلاله فحص واختبار وتقييم وتحديد كلمة الله الأصيلة بالنسبة لهم، وتمييزها عما هو غير أصيل ولا معنى له في حياتهم الإيمانية".[304] وينطبق هذا التفسير أيضًا على تفسير الأحداث الجارية.

ولكي يتم تطبيق هذا التفسير بدقة، يجب على المرء أن يفهم يسوع. لقد ولد يسوع أولا تحت الاحتلال الروماني، وعاش تحت الاحتلال، وأعدمته قوى الاحتلال.[305] ورغم أن معاصري يسوع استجابوا للاحتلال بطرق مختلفة، فقد اختار يسوع:

"(1) الوقوف من أجل العدالة والحقيقة (...) والمقاومة دون استخدام أساليب شريرة؛

(2) الارتفاع فوق طرق العالم، دون التخلي عن المشاركة والالتزام بالفقراء والمضطهدين؛

(3) السعي إلى إنسانية الظالم دون فقدان النزاهة من خلال الاسترضاء أو التعاون؛

و(4) حب الله وعبادته دون الالتزام بدين صارم ومغلق".[306]

ثانيا، كشف يسوع أن الله محبة. الله هو الوالد الذي يحب الجميع على قدم المساواة. الله رحيم وعادل، وحبه ليس له حدود. ولأن طبيعة الله هي المحبة، فإن الله غير عنيف، حتى في مواجهة المعاناة والموت؛[307] ولذلك يرفض الفلسطينيون أي صورة ليسوع تعكس الحرب أو العنف أو الإرهاب.[308]

ويصبح المرء من خلال هذه المعرفة، قادراً على طرح الأسئلة على النص:

- هل يتفق ما أقرأه مع روح المسيح، ويتفق مع معرفة الله وطبيعته وشخصيته التي كُشِفَت لنا في يسوع المسيح، ومن خلاله؟ [309]

---

[302] المرجع السابق، ص 79.

[303] المرجع السابق، ص 80.

[304] المرجع السابق، ص 44.

[305] المرجع السابق، ص 92-93.

[306] نعيم عتيق، صرخة فلسطينية من أجل المصالحة، ص 95-96.

[307] نعيم عتيق، المرجع السابق، ص 96.

[308] نعيم عتيق، "الانتحاريون"، ص 23.

[309] نعيم عتيق، لاهوت التحرر الفلسطيني، ص 45.

- هل الطريقة التي أسمع بها هذا، هي الطريقة التي تعرفت بها على الله في المسيح؟ هل هذا يناسب الصورة التي لدي عن الله والتي كشفها لي يسوع؟ [310]

إذا كانت الإجابة لا، فإن النص المعني ليس له سلطة على المسيحي. ويصبح النص موثوقا فقط إذا كانت الإجابة نعم. ويرى عتيق أن "العهد القديم يظل كلمة الله كلما وأينما كان يؤكد ويتوافق مع تفسير المسيح، وتفسير محبة الله التي تحتضن جميع الناس على قدم المساواة". [311]

يرتبط تفسير المحبة جوهريا بتفسير يسوع، والذي له جانبان: محبة الله ومحبة القريب.[312] ويسأل تأويل محبة الله: هل يعكس هذا النص محبة الله لجميع الناس كما كشف عنها يسوع؟ [313] ولكي يتم تطبيق مبدأ المحبة، وقبل التفكير في محبة القريب، يجب استكشاف السؤال "من هو الله؟"، لأن وجهة نظر المرء في الله تؤثر بالضرورة على وجهة نظره في القريب.[314] فإذا كان الله حصريا على سبيل المثال، فإن الإجابة عن القريب ستكون حصرية أيضا، والعكس صحيح. وبما أن يسوع كشف عن طبيعة الله، فإن الفلسطينيين المسيحيين يتجهون إلى يسوع للحصول على إجابتهم، و"يتوجه يسوع إلينا ويقدم لنا مثل الابن الضال"، الذي يجيب عن السؤال بهذه الطريقة: الله هو الوالد المحب الذي يحب جميع أبنائه بالتساوي؛ الحب هو جوهر وجود الله.[315]

ينطبق تفسير محبة القريب "تحب قريبك كنفسك" على نص الكتاب المقدس.[316] في هذه الحالة، من المهم طرح السؤال، "من هو قريبي؟" والذي تم الرد عليه في مثل السامري الصالح (لوقا 10: 30-37). يقول نعيم عتيق:

لقد كشف يسوع عن مفهوم الجار لكي يشمل ليس أقرباؤنا فقط، أي إخواننا اليهود، بل ليشمل كل الناس، وفي عظة الجبل (متى 5: 43-48) يأمرنا يسوع بشكل جذري أن نحب حتى أعدائنا. ومنذ ذلك الحين، على الأقل بالنسبة للمسيحيين، كلما ظهر سؤال من هو قريبنا، لدينا إجابة محددة وموثوقة من المصدر-يسوع نفسه.[317]

مرة أخرى، إذا فشل نص معين في تأويل المحبة، فإن الرسالة وفقا لنعيم عتيق، ليست كلمة الله للمسيحيين اليوم.

---

[310] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 82.

[311] نعيم عتيق، "رد على الدكتور يوحنا كتاناشو"، ص 1.

[312] نعيم عتيق، لاهوت التحرر الفلسطيني، ص 45.

[313] المرجع السابق، ص 51.

[314] نعيم عتيق، "من هو جاري"، ص 157.

[315] نعيم عتيق، لاهوت التحرر الفلسطيني، ص 144، 146.

[316] المرجع السابق، ص 61.

[317] المرجع السابق، ص 143.

النصوص والرموز الرئيسة:

لقد وجد كل من جيمس كون ونعيم عتيق في داخل الكتاب المقدس، من خلال تطبيق تأويلاتهم الخاصة، نصوصًا ورموزًا يتماهى معها كل واحد منهم. سيركز هذا القسم على ثلاثة من هذه النصوص والرموز؛ ومع ذلك، رغم أن جيمس كون ونعيم عتيق يشتركان في بعض النصوص والرموز، إلا أن كل منهما لديه أحيانًا وجهات نظر مختلفة حول ما يجعل كل منها مهما.

الخروج:

كان حدث الخروج من الناحية التاريخية النص الأساسي لعلماء اللاهوت التحرريين؛ ولا يشكل جيمس كون استثناء لذلك. فهو يعتقد أن الله "اختار أن يمنح الكشف عن الذات" في هذا الحدث التاريخي، و"منح ذلك لشعب مضطهد".[318] ومن خلال هذا الكشف عن الذات، تعرفت إسرائيل على الله وفهمته باعتباره محرر الضعفاء والمضطهدين.[319]

يكشف حدث الخروج أيضًا أن الله متواصل مع التاريخ.[320] إن الله ليس غير مبالٍ أو جاهل بمعاناة البشرية؛ بل رأى الله محنة إسرائيل، وانتخبهم لأنهم كانوا مضطهدين،[321] وأدان الظالم، وأعلن من خلال موسى إطلاق سراح الأسرى.[322] بعبارة أخرى، يكشف حدث الخروج أن الله يهتم بالشؤون البشرية ويأخذ موقفا، وهو دائمًا إلى جانب المظلومين ضد الظالمين،[323] وهذا يعني بالنسبة لجيمس كون أن الله مهتم بالسود، وليس البيض.[324]

كان حدث الخروج مهمًا أيضًا لتقليد كنيسة جيمس كون السوداء، حيث بشر الوعاظ برسالة الخروج التحررية. "لقد استنتج الوعاظ السود أنه إذا خلص الله إسرائيل من جيش فرعون (...) فإن الله سيخلص السود من العبودية والقمع الأمريكي".[325] كما وجدت الكنيسة السوداء الأمل من خلال الأغاني، مثل: "اهبط يا موسى"، والتي استخدمت الخروج كموضوع للنجاة والتحرر:

عندما كانت إسرائيل في أرض مصر، دع شعبي يذهب؛

مضطهدون كثيرا ولا يستطيعون الصمود،

---

[318] جميس كون، لاهوت تحرر السود، ص 49.

[319] جميس كون، إله المظلومين، ص 85.

[320] جميس كون، لاهوت تحرر السود والقوة السوداء، ص 73.

[321] جميس كون، لاهوت تحرر السود، ص 2.

[322] ريدي، تقديم جيمس كون، ص 41.

[323] جميس كون، المرجع السابق، ص 6.

[324] جميس كون، لاهوت تحرر السود والقوة السوداء، ص 73.

[325] جميس كون، إله المظلومين، ص 57.

دع شعبي يذهب؛

اهبط يا موسى، في أرض مصر.

قل للفرعون القديم

دع شعبي يذهب.[326]

كما أثر حدث الخروج على وجهة نظر جيمس كون عن الإنسانية. يقول كون: "من المستحيل أن ننظر إلى الخروج باعتباره عملا من أعمال الله، دون أن ننظر إليه في الوقت نفسه باعتباره عملا يغير نظرة إسرائيل إلى نفسها كشعب (...) عندما يواجه الأشخاص كشف الله عن نفسه، فإنهم لا يعرفون فقط من هو الله، بل يعرفون أيضا من هم".[327] وكما انتخب الله إسرائيل لأنهم كانوا مضطهدين، انتخب الله أيضا السود، ليس لكي يعانوا، بل لأنهم مضطهدين أيضا، "وقد قرر الله أن يجعل تحريرنا مهمة الله".[328] ولأن الله انتخبهم، فإن الشخص الأسود المضطهد حر في كسر سلاسل الظالمين، "حر في إحداث ثورة في المجتمع، على يقين من أن أعمال التحرر هي عمل الله".[329]

إن حدث الخروج مهم أيضًا بالنسبة لجيمس كون لأنه قدم لإسرائيل، وبالتالي لجميع الناس، فهما للخطيئة. كانت الخطيئة بالنسبة للإسرائيليين، خيانة لعهد الله معهم، بناء على تحرير الله للإسرائيليين من العبودية في مصر. كان هذا العهد هو الأساس لهوية بني إسرائيل باعتبارهم شعب الله المختار. لذلك، كان أي سلوك ضد هذا العهد يعتبر انتهاكًا لهويتهم وعلاقتهم بالله. بعبارة أخرى، الخطيئة هي "حالة من الوجود البشري، ننكر فيها جوهر نشاط الله التحريري".[330]

على النقيض من جيمس كون، نادرا ما يذكر نعيم عتيق الخروج بسبب سياقه ونظرته التأويلية. إن حدث الخروج وفقا لعتيق، "تم إساءة استخدامه كل من الصهاينة الدينيين، والأصوليين المسيحيين، الذين يرون فيه دعوة للعودة الجسدية لليهود إلى الأرض في هذا القرن".[331] ينظر الصهاينة والأصوليون إلى تأسيس دولة إسرائيل في عام 1948 باعتباره خروجا من الدول الأوروبية القمعية، وعودة إلى أرضهم الموعودة.

---

[326] جميس كون، المرجع السابق، ص 27.

[327] جميس كون، لاهوت تحرر السود، ص 56.

[328] جميس كون، المرجع السابق، ص 59.

[329] جميس كون، المرجع السابق، ص 80.

[330] جميس كون، المرجع السابق، ص 112.

[331] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 86.

إن الرواية الصهيونية عن الخروج، والعودة إلى أرض الميعاد، تستلزم أيضا التطهير العرقي للسكان الأصليين. ولتبرير هذا، استخدم الصهاينة الكتاب المقدس العبري لمساواة الفلسطينيين بالكنعانيين. تقول الأستاذة نور مصالحة إن الكتاب المقدس العبري:

مسؤول عن خلق الرواية الأسطورية التي تقول إن ثقافة الفلسطينيين - الذين أعطوا اسمهم لأرض فلسطين والعرب الفلسطينيين الأصليين – وثقافة الكنعانيين، كانت أدنى من التقاليد العبرية و"الحضارة الإسرائيلية" - وهي الدونية التي بررت إخضاعهم أو حتى القضاء عليهم.[332]

يتفق نعيم عتيق مع مصالحة، ويرى أن طرد الكنعانيين "بأمر الله" أمر غير مقبول.[333]

تكمن أهمية حدث الخروج بالنسبة لنعيم عتيق في أن يتمكن المسيحيون الفلسطينيون ذات يوم، من استعادة حدث الخروج كقصة ذات مغزى. "ويأمل أن يتمتع الفلسطينيون بخروجهم، وأن يتمكنوا من العودة إلى وطنهم، ليس كغزاة ومضطهدين، بل لتقاسم الأرض. ويقول عتيق: "هذا هو نوع العودة الذي يريده الله الذي أتينا لنراه في الوحي التوراتي الشامل - إله العدل والرحمة والسلام".[334]

يسوع في الكنيس في الناصرة

يزعم جيمس كون ونعيم عتيق، من خلال تطبيق تأويلهما للنص التالي، أن إنجيل يسوع هو للفقراء والأسرى والمضطهدين:

"«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ،
لأَنَّهُ مَسَحَنِي
لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ،
أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ،
لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ
وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ،
وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ،
وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ.[335]

يعتقد جيمس كون أنه كما كان حدث الخروج هو إعلان الله عن ذاته لإسرائيل المضطهدة، فإن تجسد يسوع كان إعلان الله عن ذاته لإسرائيل المضطهدة في فلسطين في القرن

[332] مصالحة، "ناجي العلي وإدوارد سعيد ولاهوت التحرير المدني"، ص 110.
[333] نعيم عتيق، المرجع السابق، ص 86-87.
[334] نعيم عتيق، المرجع السابق، ص 87.

[335] لوقا 4: 18-19، النسخة القياسية المنقحة الجديدة من هنا فصاعدا.

الأول. وبينما يكشف هذا النص عن هدف يسوع ومحتوى إنجيله، فإن جيمس كون لا يفسره بمعزل عما يأتي قبله (معمودية يسوع وتجربته) وما يأتي بعده (استجابة يسوع لرسل يوحنا المعمدان).[336]

في معمودية يسوع، أعلن الله، "أنت ابني الحبيب، الذي به سررت".[337] هذه الكلمات تردد صدى نصوص من الكتاب المقدس العبري:

وَهَا أَنَا أُعْلِنُ مَا قَضَى بِهِ الرَّبُّ:
قَالَ لِيَ الرَّبُّ:
أَنْتَ ابْنِي، أَنَا اليَوْمَ وَلَدْتُكَ.[338]
هوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ،
مُخْتَارِي الَّذِي ابْتَهَجَتْ بِهِ نَفْسِي؛
وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ

لِيَسُوسَ الأُمَمَ بِالْعَدْلِ[339].

يزعم جيمس كون أن النص الأول هو "ترنيمة تتويج، تؤكد على دوره كملك، وهو ممثل الله لتحقيق العدالة للأمة، في حين يشير الأخير إلى خادم الله "الذي يحقق العدالة لمعاناته الخاصة".[340] ووفقا لجيمس كون، فإن هذه النصوص تلقي الضوء على فهم يسوع لذاته: يسوع هو الملك والخادم في نفس الوقت، والذي سيقيم العدالة من خلال معاناة يسوع الخاصة. ويزعم جيمس كون أيضًا أن معمودية يسوع "تكشف عن تعاطف يسوع مع الفقراء (...) إنه واحد منهم".[341]

ووجِد نفس الموضوع أيضا في تجربة يسوع في الفصل الرابع من إنجيل لوقا. وبينما لا يرفض جيمس كون تماما التفسير التقليدي لهذا الحدث، أي رفض يسوع للسلطة السياسية، إلا أنه يعتقد أن هذا التفسير يغفل النقطة المركزية في السرد: يرفض يسوع أي دور "من شأنه أن يفصله عن الفقراء".[342]

---

[336] جميس كون، إله المظلومين، ص 68-70.

[337] إنجيل لوقا 3: 22

[338] مز 2: 7.

[339] إشعيا 42: 1.

[340] جميس كون، إله المظلومين، ص 68.

[341] جميس كون، لاهوت تحرير السود، ص 210.

[342] جميس كون، إله المظلومين، ص 69؛ لاهوت أسود للمظلومين، ص 121-122.

يقدم جيمس كون في هذا السياق، إعلان إنجيل يسوع في الفصل الرابع من إنجيل لوقا، كدليل على أن يسوع دخل التاريخ البشري، لكسر سلاسل الاضطهاد، لأن عمل يسوع هو عمل التحرير. ويقول كون في شرحه لهذا، إن إنجيل يسوع:

رسالة حول الغيتو، وجميع أشكال الظلم الأخرى التي ارتكبت باسم الديمقراطية والدين، لتعزيز المصالح الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمضطهد. يدخل الله من خلال المسيح في الشؤون البشرية وينحاز إلى المظلومين. وتصبح معاناتهم معاناته؛ ويأسهم، يأس إلهي. من خلال المسيح، يُعرض على الفقير الحرية الآن ليثور ضد ما يجعله غير إنسان.[343]

كانت رسالة إنجيل يسوع بالنسبة لجيمس كون، بمثابة بداية عصر جديد من التحرير، عصر يصبح فيه الفقراء والمضطهدون في المركز، كما نرى في الفصل السابع من إنجيل لوقا، عندما أرسل يوحنا المعمدان رسلا إلى يسوع للاستفسار عما إذا كان يسوع هو المسيح حقا. لقد أتم رد يسوع، إعلانه عن الملكوت في الناصرة: شفى العميان والصم والمعوقين والنجسين، وأقام الموتى، وبشر الفقراء بالبشارة السارة. ويرى جيمس كون أن "أي فهم للملكوت في تعاليم يسوع، يفشل في جعل الفقراء وتحريرهم نقطة انطلاق له، هو تناقض مع حضور يسوع".[344]

لم تقتصر رسالة إنجيل يسوع للفقراء والمضطهدين على القرن الأول بالنسبة جيمس كون، ولا تهدف فقط إلى الأمل الأخروي في الحياة الآخرة، ولكن بسبب قيامة يسوع، فهي ليومنا هذا. إن إنجيل يسوع هو دعوة لتحرير أولئك الذين يعملون ويحملون أعباء ثقيلة، وهو رسالة القوة السوداء. وكما يقول جيمس كون، "القوة السوداء هي رسالة المسيح نفسه"؛ والمسيحية هي القوة السوداء.[345] وبما أن يسوع حي ونشط اليوم، فهو حي ونشط في كل أولئك الذين يتبعون خطى يسوع في تحرير المظلومين، حتى في العناصر الأكثر تطرفا في القوة السوداء.[346] إن أعمال التمرد السوداء هي تجلي للإنجيل: "إذا كان الإنجيل هو إنجيل تحرير المظلومين، فإن يسوع موجود حيث يوجد المظلومون، ويواصل عمله في التحرير هناك. لم يكن يسوع مقيدا بأمان في القرن الأول".[347] إن أي شيء يتعارض مع سعي القوة السوداء للتحرر وفقا لجيمس كون هو هرطقة.[348]

هذا النص مهم أيضا بالنسبة لنعيم عتيق. وتعود أهميته نتيجة إدراك الفلسطينيين المسيحيين أن يسوع كان فلسطينيا أيضا. وهم يدعون أنه:

عاش في نفس الأرض التي عشنا فيها. كان يتنفس نفس الهواء الذي نتنفسه. كانت لغته وأنماط تفكيره ساميّة مثلنا. وكانت فلسطين التي عاش فيها مجتمعا متعدد الثقافات والأعراق

[343] جميس كون، لاهوت أسود وقوة سوداء، ص 41.

[344] جميس كون، إله المظلومين، ص 70.

[345] جميس كون، لاهوت أسود وقوة سوداء، ص 43-44.

[346] المرجع السابق، ص 47.

[347] المرجع السابق، ص 43-44.

[348] جميس كون، لاهوت أسود للتحرر، ص 10؛ جميس كون، إله المظلومين، ص 35.

والأديان، سواء أثناء حياته أو منذ ذلك الحين. وعلاوة على ذلك، أظهر الوضع السياسي في عصره، بأحزابه السياسية والدينية المتعددة، تشابها كبيرًا مع الأحزاب السياسية التي لدينا اليوم.[349]

لقد قاد هذا الاكتشاف الفلسطينيين المسيحيين إلى تبني إنسانية المسيح وتأكيدها، مما أدى إلى عودتهم إلى الأناجيل لدراسة حياة المسيح وتعاليمه. وعندما نظروا إلى المسيح، فعلوا ذلك للإجابة على أسئلة مثل:

- كيف عاش المسيح تحت الاحتلال؟

- كيف يمكنه أن يساعدنا في حياتنا تحت الاحتلال الإسرائيلي اليوم؟

- ماذا يقول المسيح عن المقاومة؟

- ما هي الدروس التي نستنتجها من الأناجيل، والتي يمكن أن تساعدنا في التعامل مع قوات الاحتلال؟[350]

إن النص الأول الذي يذكره نعيم عتيق والذي قدم الإجابات هو الفصل الرابع من إنجيل لوقا، حيث واجه المسيح المواقف العنصرية، والصورة الضيقة لله التي اعتنقها شعب الناصرة.

هذا النص ذو صلة بالفلسطينيين المسيحيين بطريقتين: أولا، "إنه دعوة للنشاط نيابة عن المستضعفين والمضطهدين في العالم".[351] إن المسيح باختياره وتخصيصه هذا النص المحدد، قد قبل خدمته النبوية للتحدث ضد الظالمين والعمل نيابة عن المضطهدين.[352] ثانيا، ينتقد هذا النص السياسات والمعتقدات التي تفضل عرقا على آخر. وقد فعل يسوع هذا بطريقتين. أولا، انتقد يسوع العنصرية في كيفية اقتباسه لنص إشعياء: توقف يسوع في منتصف الجملة ورفض اقتباس الجزء "العنصري" من النص الذي يعلن انتقام الله. ثانيا، انتقد يسوع فهم جمهوره لله، وذلك من خلال الإشارة إلى أن محبة الله لم تقتصر على إسرائيل القديمة، بل شملت أيضًا الأرملة الفينيقية، والجنرال السوري. كانت وجهة نظر يسوع هي الكشف عن أن الله لم يكن عنصريا أبدا.[353]

[349] نعيم عتيق، "لاهوت التحرر الفلسطيني"، ص 11-12.

[350] المرجع السابق، ص 11-12.

[351] المرجع السابق، ص 43.

[352] نعيم عتيق، صرخة لا تتراجع!، ص 7-8.

[353] المرجع السابق، ص 9.

الصليب

استخدم جيمس كون الصليب في كتابات السابقة، للمساعدة في تفسير معاناة السود. ويرى جيمس كون في كتابه "إله المضطهدين"، أن الصليب يظهر أن يسوع يتماهى تمامًا مع المعاناة البشرية؛ وأن يسوع ليس "متعاطفا فقط مع الألم الاجتماعي للفقراء، ولكنه يصبح متماهيًا تمامًا معهم في معاناتهم وآلامهم. إن آلام المظلومين هي آلام الله، لأن الله يأخذ معاناتهم على أنها آلام الله، وبالتالي يحررهم من سيطرته النهائية على حياتهم.[354] إن هذا التماهي الكامل مع المظلومين، يضع يسوع في وسط أولئك الذين "يُشنقون ويُطلق عليهم الرصاص ويُحرقون ويُعذبون".[355] بعبارة أخرى، على الصليب، أخذ يسوع على عاتقه كامل الاضطهاد البشري.[356]

إن هزيمة قوى الشر من خلال صليب يسوع وقيامته، لا تعني أن المعاناة لم تعد موجودة. إنها موجودة ولن تُهزم تماما حتى المجيء الثاني للمسيح. وبما أن هذه هي الحال، فإن المظلومين مدعوون إلى المعاناة مع الله وهم يقاتلون قوى الشر. "لذلك يتم إعادة تفسير المعاناة في ضوء صليب يسوع وقيامته، ودعوتنا لنصبح متألمين محررين مع الله. هناك فرح في معاناتنا بقدر ما يتعين علينا أن نعاني من أجل الحرية".[357] بعبارة أخرى، لا ينتج الفرح عن المعاناة بسبب الاضطهاد؛ الاضطهاد شر. يأتي الفرح عندما يعاني المظلومون أثناء نضالهم ضد الظلم.

إن جيمس كون وفقا لأنطوني ريدي،[358] في "آخر تحفة فنية عظيمة" له، "الصليب وشجرة الإعدام"، يربط الصليب بشنق الأمريكيين السود. ومن المدهش أن جيمس كون لا يتناول هذه الصلة في أعماله السابقة، رغم أن أصولها بدأت قبل 15 عاما على الأقل من نشره لهذا العمل. ورغم أن جيمس كون تجنب التعامل بشكل مباشر مع عمليات الإعدام دون محاكمة في كتاباته السابقة، إلا أنها حررته عندما بدأ أخيرا في الكتابة عن هذا الموضوع: "لقد ساعدني الصليب في التعامل مع الإرث الوحشي لشجرة الإعدام بدون محاكمة، وساعدتني شجرة الإعدام بدون محاكمة في فهم المعنى المأساوي للصليب".[359]

أصبح الصليب رمزا مهمًا للأميركيين السود خلال عصر الإعدام بدون محاكمة (1880-1940). لقد رأوا الأبرياء يعانون على الصليب على أيدي الأقوياء. يقول جيمس كون، "لقد تم الاعتراف بالصلب كشكل خاص من أشكال الإعدام التي خصصتها الإمبراطورية الرومانية للثوار والمتمردين. لقد كان مشهدًا عامًا مصحوبًا بالتعذيب والعار-أحد أكثر اشكال الموت المهينة، والألم التي ابتكره البشر على الإطلاق".[360] بالنسبة للعديد من المسيحيين السود، كان الارتباط

---

[354] جميس كون، إله المظلومين، ص 161.

[355] جميس كون، الصليب وشجرة الإعدام بلا محاكمة، ص 26.

[356] جميس كون، لاهوت تحرر السود، ص 125.

[357] جميس كون، إله المظلومين، 163.

[358] ريدي، تقديم جيمس كون، ص 175.

[359] جميس كون، الصليب وشجرة الإعدام بلا محاكمة، xvii.

[360] المرجع السابق، ص 1-2.

بشجرة الإعدام بدون محاكمة واضحا. يمثل الصليب وشجرة الإعدام بدون محاكمة أسوأ ما في البشرية، وفي الوقت نفسه، رفض السماح للأسوأ بتحديد المعنى النهائي.

يرى نعيم عتيق أربعة نماذج داخل الكتاب المقدس تصور الحالة الإنسانية. يقوم النموذج الأول على قتل الأبرياء المقدسين، وهو ما يمثل الإبادة الجماعية. ويمثل النموذج الثاني غزو أريحا، حيث تم قتل الأبرياء والمذنبين بلا تمييز. ويشبّه هذا النموذج هيروشيما وناجازاكي والحرب في العراق. والنموذج الثالث هو سدوم، حيث يتم قتل المذنبين، ولكن يتم إنقاذ الأبرياء. ويمثل استخدام القنابل "الذكية" في أماكن مثل لبنان وإسرائيل هذا النموذج أيضا. ويرى عتيق أن هذه النماذج تلعب دورًا في كل صراع؛ وكل هذه النماذج الثلاثة ليست أقل من الدمار والخراب.[361] أما النموذج الرابع فهو الصليب، الذي يأتي مع تحمل المسؤوليات. يرفض نموذج الصليب العنف اولا، وبسبب الحب، يقبل المعاناة. إنه الاستعداد لحل الصراع من خلال التضحية. ويتطلب نموذج الصليب ثانيا "أن نختار خدمة الآخرين بدلاً من السيطرة عليهم، وأن نعمل على رفاهيتهم بدلاً من المشاركة في استغلالهم".[362] إن نموذج الصليب يتغلب على نماذج الماضي ويدمرها.

وعلى غرار جيمس كون، يربط نعيم عتيق بين معاناة الفلسطينيين وصليب المسيح. وقد قال في رسالة عيد الفصح:

في موسم الصوم هذا، يبدو للكثيرين منا أن يسوع على الصليب مرة أخرى مع الآلاف من الفلسطينيين المصلوبين من حوله. ولا يتطلب الأمر سوى أناس ذوي بصيرة، لرؤية مئات الآلاف من الصلبان في جميع أنحاء الأرض، والرجال والنساء والأطفال الفلسطينيين الذين يتم صلبهم. لقد أصبحت فلسطين جلجثة ضخمة. وإن نظام الصلب الحكومي الإسرائيلي يعمل بصورة يومية. أصبحت فلسطين مكان الجمجمة.[363]

وفي رده على اتهامات معاداة السامية، يرى نعيم عتيق أن صورة الصليب للمعاناة والعار، هي صورة تسبق صلب المسيح. كما يستخدم علماء اللاهوت التحريريون الآخرون لغة مماثلة في عقائدهم، ولم يتم وصفهم قط بمعاداة السامية.[364] حتى أن نعيم عتيق يشير إلى فنانين يهود تماهوا مع الصليب في معاناتهم الخاصة. ويرى أيضا أن أولئك الذين يعانون ظلما، يمكنهم العثور على معنى في الصليب.

[361] انظر: نعيم عتيق، صرخة فلسطينية من أجل المصالحة، ص 110-111.

[362] المرجع السابق، ص 111.

[363] أنظر: نعيم عتيق، "رسالة عيد الفصح من مركز السبيل".

[364] أنظر: نعيم عتيق، "رد القس نعيم على الهجمات".

الحب والعنف واللاعنف

يجب معالجة الكيفية التي يمكن من خلالها معارضة الاضطهاد في أي سياق يتم فيه. ويتعامل كل من جيمس كون ونعيم عتيق مع الموضوعات الصعبة للعنف واللاعنف، وكيف يرتبط الحب بكليهما، من خلال استخدام مبادئهم التأويلية.

جيمس كون

يحتل موضوع العنف واللاعنف دوراً مهماً في حياة جيمس كون. وهو يرى أنه "لم تكن هناك قضية أكثر سخونة للنقاش في المجتمع الأمريكي الأفريقي، مثل قضية العنف واللاعنف. ولا يوجد من يمثل هذا النقاش، أكثر من مارتن لوثر كينج الابن ومالكولم إكس"[365].

ولكي نفهم موقف جيمس كون بشكل أفضل من هذا الموضوع المثير للجدل، من الضروري أن نفهم أولا مواقف كينج ومالكولم إكس. وكان بين أبرز الأشياء العديدة التي اشتهر بها كينج، مقاومته اللاعنفية. وتكمن مصادر قناعته في إيمان والديه، وتعليم المسيح في عظة الجبل، وكلمات غاندي. لم يدع كينج إلى اللاعنف فحسب، بل استجاب أيضا بطرق غير عنيفة في مواجهة العنف. " كان الحب بالنسبة لكنج هو القوة الأكثر قوة في العالم، وكان اللاعنف هو الحب المعبر عنه سياسيا".[366] لم يكن اللاعنف للجبناء ولم يكن سلبيا، ولكنه يتطلب الاستعداد للمعاناة في السعي لتحقيق العدالة، بدلا من إلحاق الأذى بشخص آخر.

وقد اعتقد مالكولم إكس على النقيض من ذلك، أن الدفاع عن النفس عنصر أساسي من عناصر الوجود البشري. رفض موقف كينج اللاعنفي، لأن اللاعنف لن يسمح بالدفاع عن النفس، وبالتالي ينكر إنسانية السود.[367] كان مالكولم معروفا بإخبار جمهوره أنه مهما كان الضرر الذي يرغب البيض إلحاقه بالسود، فإنه مستعد "لفعل الشيء نفسه - وحتى أكثر منه".[368] كان التحدي الذي طرحه على المجتمع الأسود، هو استخدام أي وسيلة ضرورية لكسب حريتهم.

كان جيمس كون يحترم مارتن ومالكولم، رغم أنه لا يعتقد أن الناس اليوم يجب أن يتبنوا بكل بساطة أحد الموقفين أو الآخر. الأمر لا يتعلق بما إذا كان نهج اللاعنف الذي تبناه كينج، أو نهج "أي وسيلة ضرورية" الذي تبناه مالكولم هو الصحيح؛ بدلا من ذلك، إن هذين الموقفين يصححان ويكملان بعضهما البعض، و"يُظهران لنا أن الالتزام المجرد والمطلق وغير النقدي بالعنف أو اللاعنف، تجاه مالكولم أو مارتن هو التزام خاطئ. لا نحتاج إلى الاختيار بين

[365] جميس كون، "مارتن ومالكولم والعنف واللاعنف"، ص 173.
[366] المرجع السابق، ص 176.
[367] المرجع السابق، ص 181.
[368] المرجع السابق، ص 180.

مارتن ومالكولم، بل يجب أن نعترف بقيمة كليهما".[369] كل منهما له قيمة بقدر ما "يسعى إلى الحرية المحررة".[370]

ورغم أن جيمس كون كان لديه لاهوت مماثل لكينج، إلا أنه اختلف مع موقف كينج اللاعنفي. كان جيمس كون يعتقد أن الكراهية والانتقام يتعارضان مع النضال من أجل الحرية، لكنه لم يعتقد أن هذا يعني أن السود يجب أن يقبلوا تعريف البيض للعنف واللاعنف. يرى جيمس كون أنه في مجتمع غير عادل، من المستحيل في الواقع أن تكون غير عنيف؛ الجميع عنيفون. لذا فإن السؤال ليس ما إذا كان ينبغي للمرء أن يكون عنيفا أو غير عنيف، بل "عنف من سندعم - عنف الظالمين أم المظلومين؟".[371]

ترتبط وجهة نظر جيمس كون بشأن العنف واللاعنف بفهمه لحب الله. إن حب الله للفرد الأسود هو حب يؤكد إنسانيته، ويعلمه أن يحب نفسه. عندما يقبل السود حب الله، عندها فقط يكونون على استعداد للتفكير في شكل الحب لجيرانهم. لا يمكن أن يوجد الحب الحقيقي إلا بين المتساوين، لذلك يجب على السود أن يطالبوا البيض برؤيتهم كـ *"أنت"* وليس "هو".[372] وبسبب هذا الموقف، يعتقد جيمس كون أن الحب يمكن أن يظهر أحيانًا من خلال التمرد العنيف.[373] وفي حديثه عن العلاقة بين الحب والعنف، يقول:

وبالتالي فإن حب الذات وحب الجار، اللذين يشكلان جوهر وجود المرء في الله، لا يفلتان أبدا من إمكانية إفناء الذات وتدمير الجار. والعنف في المدن، الذي يبدو أنه يتناقض مع الحب المسيحي، ليس سوى محاولة الرجل الأسود أن يقول نعم لوجوده، كما حدده الله في عالم من شأنه أن يحول وجوده إلى عدم وجود. وإذا كانت أعمال الشغب هي شجاعة الرجل الأسود، ليقول نعم لنفسه كمخلوق من مخلوقات الله، وإذا كان في تأكيد الذات يؤكد **"نعم"** للجار، فإن العنف قد يكون تعبير الرجل الأسود، وأحيانًا التعبير الوحيد الممكن، عن الحب المسيحي للظالم الأبيض.[374]

ورغم هذا البيان، يرى جيمس كون لاحقًا أن اللاهوت الأسود والقوة السوداء، لا يشجعان العنف، بل يعززان بدلا من ذلك دفاع السود عن إنسانيتهم. وردا على الانتقادات التي زعمت أنه شجع العنف، يرى جيمس كون أن "حديثه الصريح كشخص أسود" جعل البيض متوترين، مما دفعهم إلى تفسير كلماته على أنها تشجع العنف ضد البيض.[375]

---

[369] المرجع السابق، ص 182.

[370] جميس كون، إله المقهورين، ص 206.

[371] المرجع السابق، ص 201.

[372] جميس كون، اللاهوت الأسود والقوة السوداء، ص 60-61.

[373] المرجع السابق، ص 128.

[374] المرجع السابق، ص 63.

[375] جميس كون، قلت إنني لن أخبر أحدًا، ص 31.

لا يعتقد جيمس كون أيضا أن اللاعنف الذي أظهره المسيح في الأناجيل هو نموذج يجب على المسيحيين اليوم تقليده. فبدلا من السؤال عما فعله المسيح في الماضي، يجب على المسيحيين أن يسألوا عما *يفعله* المسيح الآن. ولأن المسيح قام، "يجب أن نستخدم نشاطه الماضي كمؤشر لما يفعله الآن".[376] ووفقا لعقيدة جيمس كون، فإن المسيح "في الغيتو (الحي اليهودي) يحارب عنصرية البيض المنتمين للكنيسة".[377] إن المسيح موجود حاليا، ويعمل جنبا إلى جنب مع أولئك الذين يناضلون من أجل الحرية للمضطهدين، وأحيانًا يفعل أولئك الذين يناضلون ذلك بعنف. ورغم أن البعض استخدموا النضال العنيف، إلا أن جيمس كون كان مصرا على رفضه المشاركة في أي عنف، ورد على أولئك الذين دعوه للمشاركة في ثورة عنيفة قائلاً: "أنا لست مع أي ثورة لا تشمل والدتي، وهي مسيحية غير عنيفة".[378]

نعيم عتيق

يرى نعيم عتيق أن طريق المسيح هو طريق اللاعنف. ويشير إلى أن يسوع عاش في ظل نظام عنيف من القمع، ولكنه لم يكن مخبلا إلى الحد الذي يجعله يعتقد أن العنف من شأنه أن يغير الوضع. وبدلا من ذلك، علّم يسوع أتباعه أن يبذلوا جهدا إضافيا: "رفض (يسوع) الظلم الذي تفرضه الإمبراطورية، وكان يعتقد أنه من الممكن مقاومة قوانينها الظالمة (...)، ويمكن مقاومة الشر دون عنف".[379]

ويعتقد نعيم عتيق أيضاً أن التقاليد الشرقية، التي ينتمي إليها، لم تتبن أبدا نظرية الحرب العادلة التي تبناها القديس أوغسطين، ولا عنف الدول الغربية. وهو لا ينكر أن البعض قد استخدموا العنف، ولكنه لا يعتقد أنه جزء من التقاليد المسيحية الشرقية. ويرى أن "الطريقة الوحيدة للحياة التي تبدو منطقية حقا بالنسبة للمسيحيين الشرقيين هي طريق يسوع"، وهو طريق اللاعنف.[380]

ويعترف نعيم عتيق بأن للعنف تعريفاً واسعاً. ولابد من معالجة هذا التعريف، بسبب الاتهامات التي تزعم أن اللاعنف مستحيل في حالات القمع، أو أنه تبسيطي أو ساذج. ويبدو أن نعيم عتيق يتمسك بفكرة مفادها أن العنف يشمل أكثر من مجرد العنف الجسدي، مثل العنف البنيوي. ويشير عتيق أيضاً إلى أن الأذى الجسدي الذي يلحق بشخص آخر ليس كله عنف. على سبيل المثال، يشير عتيق إلى وثيقة كايروس في جنوب أفريقيا، والتي تسأل: "هل من المشروع وصف القوة الجسدية التي يستخدمها المغتصب، والقوة الجسدية التي تستخدمها

[376] جميس كون، إله المضطهدين، ص 205.

[377] جميس كون، اللاهوت الأسود والقوة السوداء، ص 75.

[378] جميس كون، قلت إنني لن أخبر أحدا، ص 53.

[379] نعيم عتيق، صرخة فلسطينية من أجل المصالحة، ص 180.

[380] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 135.

امرأة تحاول مقاومة المغتصب بأنها عنف؟"[381] لا تعتقد وثيقة كايروس أن كل الأذى الجسدي هو عنف.

ورغم قبول نعيم عتيق الواضح، أو على الأقل فهمه لوصف وثيقة كايروس للعنف، إلا أنه يعتقد أن "كل العنف خاطئ، والعنف لا يمكن أن يساهم أبدا في السلام"،[382] بل إن العنف غير عملي أيضا.[383] يدرك عتيق أن الجيش الإسرائيلي مدرب على التعامل مع العنف، لذا فإن الرد بعنف لا يؤدي إلا إلى تعزيز قوة الحكومة الإسرائيلية لمواصلة قمعها للفلسطينيين. وعلى النقيض من ذلك، "يخشى الإسرائيليون اللاعنف، لأنه يذكرهم بوضعهم قبل تمكينهم، ويثير ذكرياتهم عن عجزهم، ويوقظ ضمائرهم للتعامل مع أولئك الذين هم الآن تحت سلطتهم بشكل أكثر عدالة".[384] وربما بسبب هذه العقلية، لا يعرف الجيش الإسرائيلي كيف يتعامل مع أعمال المقاومة اللاعنفية، ولهذا السبب يعتقد نعيم عتيق أن الطريق إلى النصر هو من خلال تدريب الفلسطينيين على الاستجابة اللاعنفية.[385]

ينتقد عتيق أيضا الصهاينة المسيحيين، وكيف يعزز فهمهم لنهاية الزمان العنف ضد الفلسطينيين، وفي نهاية المطاف ضد الشعب اليهودي. وهو ينتقد هذا الموقف لعدة أسباب عملية ولاهوتية، لكن السبب الرئيس هو الكيفية التي يعارض فيها العنف الحب. إن محبة الله المعبر عنها في اللاعنف تتكشف في صليب يسوع. ويدعو عتيق المسيحيين إلى قبول نموذج الصليب، الذي يقوم على أساس:

إن المحبة تقوم على استعداد المحبة للمعاناة، وتحمل الألم بدلاً من إلحاقه بالآخرين. وهذا هو الحب الذي يرفض بشكل قاطع استخدام الحرب والعنف من أجل سحق العدو. إنه حب للآخرين يستثمر نفسه في اختراع وخلق طرق وأساليب يمكنها، إلى حد كبير، أن تنجح في هزيمة الشر من خلال اللاعنف. إنه حب على استعداد للتضحية بالكثير، من أجل حل الصراع دون اللجوء إلى السلاح.[386]

إن نموذج الصليب، الذي هو حب المرء للأعداء، مكلف، وفي بعض الأحيان مليء بالعذاب والألم، ومع ذلك فإن عتيق يتمسك بالاقتناع أنه يحمل أيضا وعدا بحياة جديدة.[387]

يعتقد نعيم عتيق، على النقيض من جيمس كون، أن "المعاناة غير العادلة هي فداء".[388] وبسبب طبيعتها الفدائية، فمن الأفضل أن تعاني بدلا من أن تسبب المعاناة لشخص آخر.

---

[381] المرجع السابق، ص 138.

[382] نعيم عتيق، صرخة فلسطينية من أجل المصالحة، ص 48.

[383] نعيم عتيق، لاهوت التحرر الفلسطيني، ص 117-118.

[384] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 138.

[385] نعيم عتيق، لاهوت التحرر الفلسطيني، ص 117.

[386] نعيم عتيق، صرخة فلسطينية من أجل المصالحة، ص 111.

[387] نعيم عتيق، العدالة والعدالة فقط، ص 150.

[388] نعيم عتيق، "الانتحاريون"، ص 21.

ويبدو أن عتيق يفهم الطبيعة الفدائية للمعاناة، من خلال الاعتقاد بأن يسوع حاضر معهم في معاناتهم. فهو يقول: "المسيح ليس في الدبابات والطائرات النفاثة، يقاتل إلى جانب الظالمين (رغم أن العديد من الصهاينة اليهود والمسيحيين يعتقدون ذلك)؛ الله موجود في مدينة غزة، وفي مخيم جنين، وفي المدينة القديمة في نابلس، ورام الله، وبيت لحم، يعاني مع المظلومين. الله لم يتخل عنا".[389]

كان أحد الجوانب الصعبة في هذا البحث، هو السعي إلى فهم موضوع العنف واللاعنف في لاهوت جيمس كون ونعيم عتيق. ورغم أن موقف المقاومة اللاعنفية لعتيق واضح وسهل الفهم، فإن موقف كون أكثر تعقيدا بكثير. ظهر الأمر في بعض الأحيان، وكأن جيمس كون يدعم العنف الجسدي، وفي أوقات أخرى، بدا الأمر وكأنه يفهم ببساطة عنف المظلومين ضد الظالم. وبدا الأمر في بعض الأحيان، وكأن جيمس كون كان على استعداد للانضمام إلى العنف بنفسه، وفي أوقات أخرى، رفض بشدة الانخراط في العنف شخصيا. ربما تكون صعوبة الفهم هي خطأ الباحث الأبيض أو فهمه المحدود للعنف.

الخاتمة

إن عمل جيمس كون ونعيم عتيق حيوي بالنسبة للمسيحيين اليوم، حيث يستمر العديد منهم في استخدام التفسير الاستعماري الغربي لتبرير السلوكيات غير المسيحية، مثل الحرب، والقومية، والفصل العنصري، وكراهية الأجانب، والعنصرية، والبطريركية - على سبيل المثال لا الحصر - وفي نفس الوقت مهاجمة أولئك الذين يتحدون هذه الطريقة في تفسير الكتاب المقدس. يمكن للمسيحيين من خلال التعرف على جيمس كون ونعيم عتيق، تطوير تفسير يؤدي إلى المشاركة المسيحية النشطة في المجتمع، حول قضايا مثل العنصرية، وعدم المساواة، والسعي إلى العدالة في عالم اليوم. يذكّر جيمس كون ونعيم عتيق القراء أنه عندما يكون يسوع هو العدسة التفسيرية، فإن هذا التفسير سيؤدي دائمًا إلى المشاركة في أنشطة يسوع التحررية.

إن أولئك الذين يسعون إلى اتباع يسوع في عالم اليوم، يحتاجون إلى جيمس كون ونعيم عتيق والعقائد التي يمثلونها. ولعل وجهة نظر جيمس كون في مارتن ومالكولم، يمكن تطبيقها أيضاً على جيمس كون ونعيم عتيق: فلا ينبغي للناس اليوم أن يتبنوا ببساطة موقف رجل واحد بدلا من الآخر، لأن موقفي هذين الرجلين يصححان ويكملان بعضهما البعض. ولا ينبغي لنا أن نختار بين كون وعتيق، بل يتعين علينا أن نعترف بقيمة كل منهما؛ فكل منهما له قيمته بقدر ما يسعى إلى التحرر.

[389] المرجع السابق، ص 23.

صناعة البيرة وتشكيل الهوية في فلسطين

تي ميلجرين
باحث مستقل، كانساس سيتي، الولايات المتحدة

الملخص:

لطالما استُخدم الكحول لتحديد وتمييز وعرض الهوية الاجتماعية والدينية والوطنية للشخص. تعرض هذه الورقة الطرق التي يستخدمها مصنعان فلسطينيان للبيرة في الضفة الغربية - مصنع طيبة للبيرة، ومصنع الرعاة-شيبردز للبيرة - للتعبير عن هوية مسيحية فلسطينية على وجه التحديد: كأقلية دينية في أرض محتلة. يستخدم أصحاب المصنعين البيرة للمطالبة بمكان لأنفسهم، داخل مجتمع متنازع عليه، ولتغيير تصور العالم الأوسع لوطنهم.

الكلمات المفتاحية: الكحول، البيرة، النبيذ، فلسطين، الضفة الغربية، الطيبة، بيرزيت، العلاقات الإسلامية المسيحية.

مقدمة

لا تعد البيرة والنبيذ اثنين من أقدم إبداعات البشرية وأشكال المتعة فحسب، بل إنهما أيضًا من أقدم وسائلنا لتحديد الهوية وعرضها. لقد استُخدمت عبارة "ما نشربه، ومتى نشربه، ومن نشرب برفقته" منذ فترة طويلة، لوصف وإظهار جنس الشخص ودينه، وعرقه ومكانته الاجتماعية، وجوانب أخرى من هويته. وتتناول هذه الورقة البحثية الطرق التي يستخدمها مصنعان فلسطينيان للبيرة، للتعبير عن هوية مسيحية فلسطينية على وجه التحديد: إن أصحاب المصنعين، باعتبارهما من أقلية دينية في أرض محتلة، يستخدمان البيرة للمطالبة بمكان لهما، داخل مجتمع متنازع عليه، ولتغيير تصور العالم الأوسع لوطنهما.

لطالما أظهر علماء الأنثروبولوجيا الاهتمام بقدرة الكحول على العمل كعلامة اجتماعية فاصلة. وقد أشار دوايت هيث إلى أن شرب الكحول كفعل اجتماعي، يمكن أن يوفر نظرة ثاقبة للتنظيم الاجتماعي، وخاصة من حيث الجنس والعمر والطبقة والعرق والدين.[390] ويكتب قائلا: "إن الشرب بحد ذاته يمكن أن يكون علامة فاصلة مهمة بين المجموعات الاجتماعية ... ومن الواضح أن الطريقة التي يشرب بها الناس "أو لا يشربون" تميزهم باعتبار أنهم ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة".[391] ويتفق معه في ذلك ديفيد ماندلباوم مؤكدا: "في مجتمع حديث معقد، يتكون من العديد من المجموعات الفرعية، قد تعكس أنماط الشرب لكل مجموعة فرعية أو فئة خصائصها الخاصة، إضافة إلى الإطار الثقافي للمجتمع بأكمله".[392] ويواصل ماندلباوم قائلاً: "حيثما يكون الكحول معروفًا، يتم تحديد أنماط استخدامه والامتناع عنه، وعادة بتفاصيل دقيقة ... وقد يكون الكحول محظورا؛ ولا يتم تجاهله".[393] وغالبًا ما يتم التعبير عن هذه الأنماط والأوصاف والمحرمات من خلال القواعد والطقوس الدينية.

ويجد سامي زبيدة أن مثل هذه الأنماط من الاستخدام والاستبعاد، دقيقة بشكل خاص في الديانات الإبراهيمية. وإنه من الواضح أن النبيذ يلعب دورا في بعض الطقوس والرموز المركزية لكل من اليهودية والمسيحية، حيث يعتبر الكيدوش اليهودي والقربان المقدس المسيحي من أكثر الطقوس وضوحا. ولقد تسببت هذه الأهمية الطقسية في جعل بعض اليهود والمسيحيين يرون أن كل أنواع النبيذ مقدسة بطبيعتها، ويجب تقديرها والامتنان لها، في حين دفعت البعض الآخر إلى تجنبها خارج نطاق استخدامها الطقسي. أما البيرة، التي لا تقل أهمية رمزية في اليهودية أو المسيحية، فيستمتع بها بعض أفراد المجتمعين، في حين يتجنبها آخرون. ورغم أن أغلبية العلماء المسلمين يعتقدون تاريخياً أن القرآن يحرم استهلاك أي نوع من أنواع الكحول، إلا أنه لم يكن هناك قط اتفاق عالمي بشأن هذه القضية. إن التحريم الديني في كل

[390] داويت هيث، "نظرة أنثروبولوجية للكحول والثقافة"، ص 336

[391] المرجع السابق، ص 341.

[392] ديفيد ماندلباوم، "الكحول والثقافة"، ص 281.

[393] المرجع السابق، ص 288.

الأحوال، لا يترجم بالضرورة إلى ممارسة ثقافية. ويشير سامي زبيدة[394] أيضا، أنه في المجتمعات الإسلامية تاريخياً، وكذلك في الشعر الإسلامي والأساطير والثقافة الشعبية، كانت الأقليات الدينية مثل اليهود والمسيحيين والزرادشتيين، غالباً ما ترتبط بصنع أو بيع الكحول.[395] وتتراوح التصورات من صور نمطية سلبية إلى تصورات أكثر عاطفية أو مضحكة، سواء للمسلمين الذين يتحايلون سراً أو صراحة على تحريم الكحول، أو لغير المسلمين الذين يزودونهم به. ويخلص زبيدة إلى أن "المشروب كان يشكل حدوداً للهويات والانتماءات، ليس فقط بين المسلمين والمجتمعات الدينية الأخرى التي تشرب، بل وأيضاً داخل الجماعات الإسلامية."[396]

إضافة إلى كونه علامة فاصلة بين الديانات المختلفة، والمجتمعات المختلفة داخل نفس الدين، فإن استهلاك الكحول يمكن أن يحمل أيضا دلالات لأنواع أخرى من الهوية، بما في ذلك الطبقة والمكانة الاجتماعية. ولقد أظهر عمر فودة خلال عمله على صناعة البيرة المصرية من نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين، أن البيرة، بسبب ارتباطها بأوروبا والتكنولوجيا، تنقل شعوراً بالحداثة يشمل أولئك الذين يشربونها. ويُظهر فودة أن البيرة في مصر كانت تحظى بشعبية خاصة لدى شريحة واحدة من المجتمع المصري: الطبقة المتوسطة الصاعدة. وكانت هذه النخب الجديدة التي تلقت ثقافة علمانية، والذين أطلق عليهم اسم "الأفندية" أو "الرجال الجدد"، حريصين على تقديم أنفسهم كوجه لمستقبل مصر، من خلال إبعاد أنفسهم عما اعتبروه ماضيها الرجعي. كان استخدام البيرة بمثابة علامة واضحة على الطموح والتميز، حيث ادعوا هوية مميزة وحديثة لأنفسهم. ويكتب عمر فودا: "كان الكحول بمثابة سلعة مثالية للأفندية لكي يمثلوا الحداثة، لأن استهلاكه حقق تأثيراً مزدوجا: ففي حين ربط شاربه المصري بالأوروبي "الحديث"، الذي كان يشرب في المناسبات الاجتماعية، كما فصله عن كل من غير النخبة والمصري المتدين، الذي نظر إلى الكحول على أنه مشكوك فيه اجتماعياً في أفضل الأحوال، أو لعنة دينية في أسوأ الأحوال".[397]

بينما كان الأفندية يستمتعون بالتأكيد بشرب البيرة، فإن استخدامهم لها كان أيضا طموحا. فقد أشار أعضاء الطبقة المتوسطة الجديدة، من خلال شرب البيرة في الحانات أو في المنازل، جنبا إلى جنب مع أشكال أخرى من الحداثة الأدائية، إلى أنهم كانوا مختلفين بطريقة ما عن النخبة الدينية، والطبقات العاملة الدنيا، وحددوا لأنفسهم في الأساس موقفا لم يكن موجودا من قبل في المجتمع المصري. فقد شكل هؤلاء المهندسون والصحفيون والمحامون والناشطون لأنفسهم مكانًا في التسلسل الهرمي الاجتماعي المصري، من خلال تحديد وعرض

[394] سامي زبيدة، "الشراب والواجبات والحدود الاجتماعية"، ص 209.

[395] المرجع السابق، ص 213.

[396] المرجع السابق، ص 212.

[397] عمر فودة، "الهرم والتاج"، ص143

جانبين مترابطين من هويتهم: كانوا فخورين بانتمائهم إلى الطبقة المتوسطة، وكانوا فخورين بالحداثة.[398]

كان "الأفندية" كما وصفهم عمر فودة واعين بذاتهم، ويقصدون الهوية التي سعوا إلى خلقها وتحديدها وإبرازها. واليوم، يبدو أن اثنين من مصانع البيرة في فلسطين، لديهما وعي ذاتي مماثل، وقصد بشأن هويتهما الخاصة. إذا كان شرب البيرة بالنسبة للأفندية علامة هوية طموحة للأفراد، فإن إنتاج وتوزيع البيرة بالنسبة لمصانع البيرة في فلسطين، يبدو وكأنه يشير إلى الهوية والطموح على المستوى المجتمعي أو الوطني. إنهم يظهرون لجيرانهم والعالم الأوسع من خلال البيرة التي ينتجونها، أنهم مسيحيون فخورون وفلسطينيون فخورون.

البيرة في فلسطين

تعود الدلالات الخاصة بإنتاج البيرة والنبيذ في منطقة فلسطين إلى آلاف السنين، ولكن اليوم، مع وجود 85٪ من السكان المسلمين، فإن معظم الناس لا يشربون أيا منهما.[399] يُحظر في غزة، حيث كانت حماس في السلطة منذ عام 2007، إنتاج أو استيراد أو بيع أو استهلاك أي نوع من أنواع الكحول بشكل صارم، رغم أن غير المسلمين يصنعون النبيذ أحيانا في المنزل، أو يشربونه سراً في حفلات الزفاف.[400] ويتوفر الكحول بسهولة أكبر في الضفة الغربية - وخاصة في المدن والقرى ذات الكثافة السكانية المسيحية الكبيرة - حيث يتم تقديم الكحول في الفنادق والحانات والمطاعم في رام الله وبيت لحم. وأصبحت الضفة الغربية الآن موطنا للعديد من مصانع البيرة الحرفية، بما في ذلك مصنع الطيبة للبيرة ومصنع الرعاة-شيبردز للبيرة.

شركة الطيبة لتخمير البيرة

تقع شركة طيبة لتخمير البيرة في قرية الطيبة الصغيرة شمال غرب رام الله، وأصبحت أول مصنع صغير للبيرة في فلسطين عندما تم افتتاحه في عام 1994. أسس الشركة نديم خوري، الذي قرر العودة إلى مسقط رأسه بعد توقيع اتفاقيات أوسلو. فقد رأى بعد 15 عاما من العيش والعمل في منطقة بوسطن، أن اتفاقيات أوسلو علامة أمل لمستقبل بلاده، وفرصة للمشاركة في تشكيل مستقبلها. ولقد عمل نديم خوري أثناء دراسته في الكلية في بوسطن في متجر للخمور، وجرب في النهاية حظه في التخمير المنزلي، واستمتع به بما يكفي لأخذ عينات من التخمير المنزلي إلى وطنه فلسطين كل صيف، وصنع البيرة ومشاركتها مع عائلته وأصدقائه. بدأ خلال دراسته في الولايات المتحدة في الانغماس في ثقافة البيرة الحرفية، وزيارة مصانع التخمير

[398] المرجع السابق.

[399] وزارة الخارجية الأمريكية، المكتب الدولي للحريات الدينية، 2022.

[400] أنظر: هديل الغرباوي، "نبيذ غزة".

المحلية، وحضور المهرجانات، وأكمل في النهاية متابعة برنامج لصنع البيرة في جامعة كاليفورنيا ديفيس.[401]

لقد أغرته احتمالات السلام بين فلسطين وإسرائيل في منتصف تسعينيات القرن العشرين، بالعودة إلى وطنه. ويشرح قائلا: "عندما تم توقيع اتفاقية أوسلو للسلام، شجعنا والدي على العودة، وتصورت أن هذه فرصة لبدء مصنع لأول بيرة فلسطينية".[402] أحضر معه إلى الوطن برفقة شقيقة، كل أنواع البيرة التي أحبها واستمتع بها في بوسطن، على أمل أن يكون لتخمير البيرة وتوزيعها تأثير إيجابي على ثقافة فلسطين واقتصادها.

لم تكن البداية سهلة. كان لابد من استيراد جميع المعدات اللازمة للتخمير، وكان بعضها يتأخر لعدة شهور عند نقاط التفتيش على الحدود الإسرائيلية. كما ثبت أن المياه تشكل مشكلة. تسيطر إسرائيل على إمدادات المياه، وتضمن إمدادا ثابتًا لمستوطناتها، لكن القرى مثل الطيبة غالبا ما تحصل على المياه مرة واحدة كل عشرة أيام، مما يضطرها إلى تخزين كمية كافية لتدوم حتى المرة القادمة. كما يتذكر نديم الإحباطات المالية التي واجهها في الأيام الأولى: "لم نتمكن من الحصول على أي قروض مصرفية لكي نبدأ، لأن البنوك كانت خائفة من فكرة صنع الكحول على الأراضي الفلسطينية".[403] وكان من الواضح أن مثل هذه العوامل غير المتوقعة، تعقد عملية بدء العمل وعملية صنع البيرة. لكن ماديس خوري - التي تولت في السنوات الأخيرة لقب "صانعة البيرة"، الذي كان يحمله والدها نديم ذات يوم - تتعامل مع الأمر ببساطة. وهي تقول: "إن ممارسة الأعمال التجارية في فلسطين، وخاصة تجارة البيرة، ليست مثل أي مكان آخر في العالم. ليس لدينا حدود، ولا مطارات، ولا موانئ. إضافة إلى العديد من العقبات المرتبطة بالدين، والثقافة، والتعليم، والإعلان. لكننا عازمون على إنتاج بيرة عالية الجودة، وإظهار للعالم أجمع أن الفلسطينيين عاديون ويحبون الاستمتاع بالحياة".[404]

رغم أن لافتة عند مدخل مصنع البيرة أعلنت ذات مرة، "تذوق الثورة!" فيما يتعلق بمنتجاته الفعلية، سواء البيرة نفسها أو تغليفها، فإن تخمير بيرة الطيبة لا يبدو استفزازيا بشكل خاص. بدأت شركة الطيبة بتقديم بيرة مميزة، وهي بيرة لاجر ذهبية اللون، والآن تقدم أيضًا أنواعًا داكنة عنبرية وخفيفة، إضافة إلى بيرة قمح بيضاء على الطراز البلجيكي، وبيرة الهند الشاحبة IPA، وبيرة لاجر شتوية موسمية. تُظهر الملصقات صورة لبرميل بيرة خشبي عملاق، وكوب رغوي ممتلئ مع شروق الشمس في الخلفية، محاطًا على كل جانب بكومة من القمح. يعلن نص أبيض كبير عن المنتج باسم بيرة طيبة، ويعلن خط ذهبي أصغر بفخر، إنها "الأرقى في الشرق الأوسط". قد لا يبدو هذا التشكيل المتواضع ثوريا، ولكن بصفته أول مصنع بيرة صغير في الشرق الأوسط، كانت هذه المنتجات لسنوات لا يقدمها أي شخص آخر. ومؤخرًا، ربما أصبحت

---

[401] أنظر: بول ماكان، "لقد كان لديه الشجاعة الكافية".

[402] أنظر: دوج ستروك، "البيرة التي جعلت الطيبة مشهورة".

[403] المرجع السابق.

[404] أنظر: دوف ليبر ولوك تريس، "من مدينة الطيبة مباشرة".

العلامة التجارية أكثر جرأة، سواء من حيث نكهتها، أو في رسائل علامتها التجارية. وقد ورد في وصف الشركة لأحد أنواع البيرة الجديدة التي تنتجها: "نظرا لأن البيرة الأصلية IPA India Pale Ale)) كانت تُصنع باستخدام كمية كبيرة من نبات الجنجل للحفاظ على البيرة في رحلتها من الهند إلى المملكة المتحدة، فإن بيرة الطيبة IPA)) برائحتها القوية من نبات الجنجل الطازج والحمضيات والأعشاب، يمكنها الحفاظ على الرحلة الطويلة نحو الحرية"،[405] في إشارة على ما يبدو إلى النضال الفلسطيني من أجل دولة مستقلة، ووضع البيرة كشريك في القضية.

نظرًا لمنع بيع منتجات شركة الطيبة لتخمير البيرة في المدن الإسلامية، أو الإعلان عنها في الصحف العربية، ومع كون السكان المسيحيين يشكلون نسبة جدا في فلسطين، كان العديد من أوائل عملاء نديم خوري من اليهود، سواء في القدس أو تل أبيب القريبتين، وحتى في المستوطنات التي تتعدى على الأراضي المحيطة مباشرة بالطيبة. وقد تم اعتماد العديد من بيرة طيبة على أنها كوشر، للمساعدة في الوصول إلى قاعدة العملاء المحتملة هذه. ورغبة في مساعدة خوري في توصيل منتجاته إلى أيدي عملائهم، اقترح أورين وميرا ويجينسبيرج، اللذان يزرعان منتجات لصالح مطاعم الكوشر في مستوطنة بالقرب من بيت لحم، أن يطلبا من حاخام فحص البيرة والمصنع الخاص بها، لمعرفة ما إذا كانت تتوافق مع الشريعة اليهودية. وقالت ميرا في ذلك الوقت: "مهما كانت السياسة، فإننا نعتقد أن الجيران يجب أن يتعاونوا. لدي الكثير من الاحترام لنديم لأنه فتح شيئًا جديدًا، ولأنه يفعل ما يفعله".[406] رحب خوري بفكرة الحصول على شهادة كوشر بالنسبة لمنتجه: "إنهم منفتحون. أنا منفتح. قلت، "لماذا لا؟ [407]

ورغم أن البيرة كوشر تم إنشاؤها على الفور تقريبا، إلا أن البيرة الحلال لم تظهر حتى عام 2008. تختلف عبوة هذه البيرة الخالية من الكحول بشكل ملحوظ، عن بقية خط إنتاج طيبة. بينما يحتفظ الملصق بنفس المظهر العام لبقية أنواع البيرة، فإن اللون أخضر إسلامي مميز، واللغة على زجاجات البيرة الخالية من الكحول هي اللغة العربية، في حين أن جميع الزجاجات الأخرى باللغة الإنجليزية. ويوضح التصميم أن المنتج يحتوي على 0٪ من الكحول وأنه حلال. لقد قدم نديم البيرة الخالية من الكحول وفقا لمقال في رويترز، كرد فعل على المكاسب السياسية البرلمانية الضخمة التي حققتها حماس في انتخابات عام 2006.[408] وتتحدث المقالة عن خطاب تم بثه على شاشة التلفزيون في ليلة افتتاح مهرجان أكتوبرفست في الطيبة، حيث وصف مشير المصري، أحد أعضاء حماس، حكومة السلطة الفلسطينية بأنها "مدمنة للكحول"، وأصر على أن إنتاج البيرة أو النبيذ غير قانوني في جميع أنحاء فلسطين، بينما دافع عضو آخر في المجلس التشريعي عن حق نديم خوري في صنع البيرة، وأشاد بفوائد المصنع للاقتصاد المحلي. وأغلقت المتاجر التي تبيع الكحول في غزة بشكل دائم، وأحرق أنصار حماس

[405] أنظر: ماريا خوري، "مهرجان الطيبة السنوي".

[406] أنظر: دوج ستروك، "البيرة التي تجعل الطيبة مشهورة".

[407] المرجع السابق.

[408] أنظر: يون سانجوون، "بيرة فلسطينية خالية من الكحول".

بعضها.[409] وأثر الدمار بشكل مباشر على مصنع الطيبة للبيرة، حيث تم إحراق أحد مراكز التوزيع الخاصة به.[410] وردًا على ذلك، قال نديم خوري للصحافيين: "يمكن لحماس أن تقول ما تريد. أعيش من تخمير البيرة، وأنا فخور بذلك، وسأستمر في القيام بذلك".[411] ربما من المفهوم أنه ليس حريصا بشكل خاص على تقديم مبادرات تجاه شريحة من السكان، يريد أعضاؤها الأكثر تطرفا تدمير أعماله أو على الأقل جعلها غير قانونية؛ يظل من المثير للاهتمام أنه في بلد يبلغ عدد سكانه المسلمين 85٪، تم اعتماد أول بيرة للمصنع على أنها كوشير، في حين استغرق ظهور منتج بيرة حلال 14 عامًا. وقد أشار نديم في دفاعه، إلى أنه "من الصعب للغاية إيجاد طريقة لصنع بيرة لذيذة خالية من الكحول".[412]

منذ عام 2005، أقام مصنع الطيبة للبيرة أيضًا احتفالًا سنويا "مهرجان أكتوبر فيست"، تتم دعوة المجتمع المحلي إليه، والذي يجذب الزوار من إسرائيل، ومن أماكن بعيدة مثل ألمانيا واليابان والولايات المتحدة. كان نديم خوري واضحا في آماله في أن يجذب مصنعه السياح، ويغير المفاهيم حول فلسطين وشعبها، ويأمل أن تفيد السياحة ليس فقط أعماله، بل واقتصاد البلاد بأكمله أيضا. ويتم تشجيع المزارعين المحليين وبائعي المواد الغذائية والحرفيين على إقامة أكشاك في المهرجان، لبيع الكباب وزيت الزيتون والأصناف المصنوعة يدويا، وغيرها من المنتجات المحلية. ويؤدي الموسيقيون المحليون الموسيقى الفلسطينية التقليدية، إضافة إلى موسيقى الروك والجاز والراب. ووفقا لصفحة المهرجان على الفيسبوك، شارك في المهرجان فنانون دوليون من أماكن بعيدة مثل البرازيل واليابان وسريلانكا.

ومن المثير للاهتمام أن من بين المواد الغذائية التي تم تقديمها نقانق لحم الخنزير.[413] ورغم أن الحدث يشجع المسيحيين والمسلمين واليهود على الاحتفال معا، إلا أن لحم الخنزير هو خيار واضح للمسيحيين الموجودين فقط، وبالنسبة لجيران عائلة خوري المسلمين، فمن السهل أن نرى لماذا قد لا يُنظر إلى الحفل الذي يحتفل بالبيرة، ويقدم لحم الخنزير، على أنه ملفت بشكل خاص. ورغم هذا، يبدو أن عددا قليلا من المسلمين يأتون كل عام. ويصر نديم على أنه لم يتلق أي شكاوى بشأن المهرجان على أسس دينية أو أخلاقية.

وبعيدا عن الوطن، حققت الشركة أحد أحلام نديم الطويلة الأمد: فقد بيعت منتجاته في الولايات المتحدة.[414] بدأ، بالطبع، بمنطقة بوسطن، حيث عاش هو وعائلته لمدة تقرب من عقدين خلال الثمانينيات والتسعينيات. وقد صرح كنعان، نجل نديم، للجزيرة، الذي أشرف على معظم الجهود المبذولة لبدء التصدير إلى الولايات المتحدة، إن "هذا الإنجاز يحمل قيمة عاطفية كبيرة. فقد كان أصدقاؤه هنا في غاية السعادة، في انتظار تجربة البيرة منذ عام

---

[409] أنظر: هديل الغرباوي، "نبيذ غزة".

[410] أنظر: كيري شيريدان، مصنع البيرة الفلسطيني.

[411] أنظر: يون سانجوون، المرجع السابق.

[412] المرجع السابق.

[413] أنظر: دوف ليبر ولوك تريس، "من مدينة الطيبة".

[414] أنظر: ليزي بورتر، " كيف يتحدى مصنع بيرة فلسطيني الولايات المتحدة ".

1994".[415] ويبدو أن رجلا من بوسطن يُدعى نيكولاس كروس، والذي سبق له أن جرب بيرة طيبة عندما زار الضفة الغربية، يتفق معه في الرأي، ويعزو أهمية أكبر لتوافر البيرة في الولايات المتحدة: "لقد أخبرت على الفور أصدقاء آخرين، قريبين وبعيدين، لديهم ارتباط بإسرائيل وفلسطين... آمل أن تزداد شعبية البيرة. وربما يمكن أن تبدأ محادثات مهمة. لطالما اعتقدت أن السلام ممكن عندما نخصص الوقت للتعرف على بعضنا البعض، وإذا كانت البيرة قادرة على تسهيل ذلك، فأنا أؤيد بيرة طيبة بصورة أكبر".[416]

وبينما يبدو أن عائلة خوري وأنصارها مسرورون بسوقهم المتوسع، إلا أن العملية لم تكن خالية من التعقيدات. إضافة إلى تكلفة الشحن المرتفعة، والإحباطات المعتادة عند الحدود ونقاط التفتيش الإسرائيلية، واجهت الشركة طلبا من الولايات المتحدة، لم تواجهه في أي من البلدان الأخرى التي يُباع فيها منتجها. قال كنعان: "نحن قادرون على تصدير البيرة إلى العديد من البلدان في جميع أنحاء العالم بعبارة "منتج فلسطين"،[417] مثل الدنمارك وإيطاليا وسويسرا والسويد واليابان وبلجيكا والمملكة المتحدة وحتى إسرائيل". ولكن، لأن الولايات المتحدة لا تعترف رسميا بفلسطين كدولة ذات سيادة، زعم مكتب ضريبة وتجارة الكحول والتبغ، أن زجاجات طيبة التي تعلن أن بيرة طيبة هي "منتج من فلسطين"، تنتهك قانونها ضد المنتجات التي تحتوي على "بيانات كاذبة أو مضللة على الملصقات".[418] وقد هدأ المكتب عندما وافقت شركة الطيبة على تغيير عبواتها لتقرأ "منتج الضفة الغربية" بدلاً من ذلك.[419]

اعتبارا من عام 2022، تنتج الشركة 1.8 مليون زجاجة بيرة كل عام، وتبيع منتجاتها في دول في جميع أنحاء العالم.[420] وتدير ابنة نديم ماديس وابنه كنعان العمليات اليومية بشكل متزايد. تستمتع ماديس بدورها، وهي صانعة البيرة الوحيدة في الشرق الأوسط، وتفخر بما أنجزته عائلتها. وهي تقول: "مع الطيبة، تحصل على اسم فلسطين، ومنتج عالي الجودة، للإسرائيليين والعالم - وتغير الطريقة التي يُنظر بها إلى الفلسطينيين. يشبه "توسعنا العالمي" الأمل والعزيمة والنجاح؛ ليس فقط بالنسبة لنا، بل للفلسطينيين بشكل عام".[421]

مصنع الرعاة-"شيبردز" للبيرة.

بعد عشرين عاما من كون شركة طيبة للبيرة هي المنتج الوحيد للبيرة في البلاد، افتُتح في عام 2015 مصنع آخر للبيرة في فلسطين. بدأ مصنع الرعاة- شيبردز للبيرة على يد علاء صايج وإخوته. وتشبه قصتهم إلى حد ما قصة مؤسس مصنع بيرة الطيبة نديم خوري. أثناء قيامه

---

[415] المرجع السابق.

[416] المرجع السابق.

[417] المرجع السابق.

[418] المرجع السابق.

[419] المرجع السابق.

[420] أنظر: طاقم تايمز أوف إسرائيل، "أول صانع بيرة فلسطيني".

[421] أنظر: ليزي بورتر، "كيف يتحدى مصنع بيرة فلسطيني الولايات المتحدة".

بالدراسات العليا في إنجلترا، بدأ علاء في تخمير البيرة في المنزل مع صديق له من أيرلندا. وهو يقول: "كانت هذه هي هوايتي عندما كنت في إنجلترا. كنت مفتونا حقا بجميع أنواع البيرة، وجميع الحانات في البلاد. "بدأت في تخمير البيرة عندما كنت في مساكن الطلبة. وبعد ذلك، فكرت، لماذا لا أجعلها عملا تجاريا؟ [422] وبعد حصوله على درجة الماجستير في إدارة الأعمال، وحان وقت العودة إلى الوطن، عمل في أحد البنوك قبل أن يقرر محاولة فتح مصنع للبيرة. ومثل عائلة خوري، يبدو أن دوافعه لم تكن شخصية فحسب، بل كانت وطنية أيضاً. يقول علاء: "أردت أن أفعل شيئاً لبلدي، لتعزيز اقتصادنا".[423]

كان من المقرر أصلا أن يبدأ الإنتاج في صيف عام 2014، لكن افتتاح المصنع تأخر لعدة أشهر بسبب القتال الذي اندلع بين إسرائيل وغزة. وعندما وصلت جميع المعدات، كانت لا تزال هناك تعقيدات بيروقراطية ولوجستية يجب التعامل معها. يذكر علاء: "رفض بعض الأشخاص التعامل مع طلبي لأنه مصنع للبيرة. أو رفض بعض السائقين تسليم الشعير الخاص بي لأنه مشروب كحولي".[424]

تربط شركة الرعاة-شبردز علامتها التجارية عند التسويق بشكل صريح بأرض فلسطين وتاريخها. وتنص الصفحة الأولى من موقعها الإلكتروني على أن "بيرة الرعاة-شيبردز اكتسبت اسمها من المهنة التقليدية لأسلافنا الفلسطينيين، لتمجيد الرجال العظماء الذين ساروا على هذه الأرض، وربط الماضي بالمستقبل من خلال إبداعنا الجديد". ويشجع الموقع العملاء في مكان آخر على "التمتع بمذاق بيرة الأسلاف". كما تُستخدم صور أسلافنا الرعاة هؤلاء على ملصقات العلامة التجارية للبيرة، الأمر الذي تسبب في البداية في قلق السلطات المحلية. فعندما رأت وزارة التجارة زجاجات بيرة من صنع عائلة مسيحية، مع ملصقات تصور راعيا مع نجمة فوق رأسه، اعتبروا الصورة تمثيلا ليسوع المسيح، وبالتالي رمزًا دينيًا غير مناسب للاستخدام في تغليف المنتج. ورد قسم التسويق، بحجة أن جميع الفلسطينيين كانوا ذات يوم رعاة، وبالتالي فإن التصوير يكرم أسلاف الجميع، بغض النظر عن دينهم. ورغم إحباطه، تمكن علاء من خلق بعض الطرافة في الموقف، فقال: "لو كانوا يعرفون أي شيء عن الدين، لكانوا قد عرفوا أن يسوع كان طفلاً في هذه الصورة. هل ترى طفلا؟ إنه مع العصا يشبه موسى بصورة أكبر".[425] وحصل في النهاية على موافقة لاستخدام التصميم. ويظهر الآن الراعي والنجمة على ملصقات جميع أنواع البيرة التي تنتجها الشركة،[426] والتي تُباع في أماكن متعددة في إسرائيل، وفي المدن الفلسطينية المسيحية. وتُباع البيرة خارج فلسطين وإسرائيل، في أماكن بعيدة مثل إيطاليا والتشيلي، حيث يوجد في الأخيرة عدد كبير من أبناء الجالية الفلسطينية.[427]

---

[422] أنظر: ليبر وتريس، "الفلسطينيون يتدفقون إلى بيت لحم".

[423] أنظر: روبرت سويفت، "بيرة شيبردز تخترق السوق الفلسطينية".

[424] المرجع السابق.

[425] أنظر: دوف ليبر ولوك تريس، "الفلسطينيون يتدفقون إلى بيت لحم".

[426] أنظر: روبرت سويفت، "بيرة الرعاة في الأسواق الفلسطينية".

[427] دوف ليبر ولوك تريس، المرجع السابق.

إضافة إلى إنتاج وتوزيع البيرة المعبأة، تمتلك شركة الرعاة-شيبردز، براميل وآلات سحب لجعل بيرة الشركة متاحة بالكأس في حفلات الزفاف والمعمودية، وغيرها من المناسبات المحلية. ويأمل صايج أيضا في إحياء ثقافة التخمير المنزلية المحلية، والتي يرى أن لها تاريخ طويل في فلسطين. ولتشجيع هذا الانتشار، يبيع صناديق بها المعدات والمكونات التي تسمح للناس بتجربة صنع كميات صغيرة من بيرة خاصة بهم في المنزل. "إذا كنت تحب البيرة الخاصة بي، وتريد أن تصنعها بنفسك، فما عليك سوى تعلم الطريقة التي قمت بها. "إن حلم كل رجل هو أن يمتلك مصنعه الخاص للبيرة.[428] وبينما لن تتاح الفرصة لكل فلسطيني لدراسة صناعة البيرة في أوروبا، يأمل صايج أن يجعل في متناول مواطنيه، ما اضطر هو نفسه للسفر إلى الخارج للعثور عليه.

ومثله كمثل شركة الطيبة، يقيم مصنع الرعاة-شيبردز الآن مهرجانه السنوي الخاص. ورغم ذلك، فقد ولد هذا المهرجان من بعض النواحي من المعاناة. وبينما يقع مقره في رام الله، سُمي مصنع البيرة على اسم مسقط رأس علاء بيرزيت. وعندما تقدم علاء بطلب لإقامة كشك لشركته في مهرجان بيرزيت للتراث، استخدم أحد الأئمة المحليين خطبة الجمعة للحديث ضد مصنع البيرة، ووصفه بالحرام، وأخبر الناس بعدم دعمه. وأملا في تجنب إقامة علاقة سيئة مع مسقط رأسه، انسحب علاء من المشاركة في مهرجان بيرزيت، وبدأ مهرجانه الخاص في رام الله.[429] وتُظهِر الصور في صفحة الحدث على الفيسبوك، الكثير من الناس يشربون البيرة، وعزف فرق الروك، والحشود ترقص على موسيقى الهاوس والدبستيب الصاخبة، وفرص التقاط الصور للناس وهم يحملون لافتات تقول "منتج فلسطين"، و"تصبح البيرة من الناحية الفنية هي الحل"، لكي يتم نشرها ومشاركتها على وسائل التواصل الاجتماعي.

كما تستضيف الرعاة- شيبردز عروض كوميدية وحفلات موسيقية على مدار العام، إضافة إلى حفلات عيد الهالوين، وعيد القديس باتريك، وسوق عيد الميلاد السنوي، من خلال التعاون مع النادي الأرثوذكسي في رام الله. وكما هو الحال مع مهرجان الطيبة السنوي، من الواضح أن العروض في الرعاة-شيبردز تهدف إلى أن تكون ممتعة للفلسطينيين المحليين، ولكن هناك أيضًا نية واضحة لتغيير الصورة العالمية حول فلسطين: تقول صفحة الرعاة-شيبردز على الفيسبوك، إنهم يأملون أن تعمل الأحداث على "الترويج لمذاق أفضل لفلسطين من بيرزيت إلى العالم".

مصنع نبيذ الطيبة

لم تعد البيرة النوع الوحيد من الكحول الذي يتم إنتاجه وبيعه في فلسطين. فقد وسعت عائلة خوري في تشرين الثاني عام 2014 بشكل كبير، مشاركتها التي استمرت لعقود في صناعة الكحول المحلية، من خلال البدء في الإنتاج التجاري للنبيذ. تتمتع قرية الطيبة بتقليد

[428] روبرت سويفت، المرجع السابق.

[429] أنظر: كارين لوب، "إحياء التقاليد القديمة".

طويل في صناعة النبيذ، وكان بعض الناس، بما في ذلك عائلة خوري، يصنعون كميات صغيرة من النبيذ في المنزل منذ أجيال.[430] ولكن هذا الإنتاج الصغير واجه في العقود الأخيرة، تهديدات بيئية وبشرية. فقد دَمرت في الثمانينيات حشرة الفيلوكسرا - وهي حشرة تصيب مزارعي العنب في جميع أنحاء العالم - أكثر من نصف كروم العنب في المنطقة. كما تواجه المنطقة أيضًا خطر الاستيطان والضم من قبل إسرائيل، وهي مشكلة تؤثر بشكل مباشر على صناعة النبيذ. كان هناك ديران مسيحيان يصنعان النبيذ قبل حرب عام 1967، ولكن إسرائيل استولت خلال الحرب على دير اللطرون التابع لرهبنة الترابيست، وحافظت على سيطرتها عليه منذ ذلك الحين. كما أن دير الساليزيان في الكريمزان، الدير الوحيد المتبقي في الضفة الغربية الذي ينتج النبيذ، يخضع للمصادرة، حيث تدعي إسرائيل بمخاوف أمنية.

إذا كانت شركة طيبة للبيرة قد بدأت بهدف تعزيز الاقتصاد الفلسطيني وصناعة السياحة، يبدو أن مشروع مصنع النبيذ له نية إضافية، تتمثل في الحفاظ على الأراضي الفلسطينية والتاريخ الفلسطيني واستعادتهما - الأراضي والتاريخ الفلسطيني المسيحي على وجه الخصوص. عندما سُئل عن سبب دخوله تجارة النبيذ، سارع نديم خوري إلى ذكر الاستيلاء على الأديرة، ونجاح النبيذ الإسرائيلي: "عندما عدت إلى هذا البلد في عام 1994، كان هناك تسعة مصانع نبيذ في إسرائيل، والآن يوجد هناك 300".[431] كما كان صريحا في الإشارة إلى التعدي على الأراضي الزراعية الفلسطينية. "لقد أنشأنا مصنع نبيذ لأننا لم نكن نريد بيع العنب الفلسطيني في العالم على أنه نبيذ إسرائيلي. إن المستوطنات تستغل حقيقة أن لدينا عنبا جيدا وأرضا جيدة وطقسا جيدا.[432]. ويعتزم نديم أن يكون مصنع النبيذ الخاص به، بمثابة إجابة على هيمنة النبيذ الإسرائيلي، وتأكيدا على أن الفلسطينيين أيضا يمكنهم صنع النبيذ، وأن لديهم الحق في الأرض التي يصنع عليها. ويبدو أن المستوطنين الإسرائيليين قد فهموا هذا بنفس الطريقة. ويقول نديم إن المستوطنين حول بيرزيت قاموا بتخريب ممتلكاته، واقتلاع بعض كروم العنب الخاصة به، مما أجبره على إعادة زراعتها.[433]

لا تشكل مصادرة الأراضي مصدر قلق فحسب، بل إن انخفاض عدد السكان أيضا أمر مثير للقلق. يغادر سكان الطيبة الشباب، بحثًا عن تعليم أفضل وفرص عمل في المدن الكبرى والخارج. ولكي يتم التأكد من بقاء الأرض في أيدي المسيحيين، عندما تنتقل العائلات المحلية إلى أماكن أخرى بعيدة، فإنها تبيع ممتلكاتها دائمًا تقريبا لمسيحيين آخرين، مما يسمح للطيبة بالبقاء واحدة من آخر القرى في الضفة الغربية التي يسكنها مسيحيون بالكامل تقريبا.[434] ولكن حتى مع هذه الممارسات، فإن القرية التي لا يريد أطفالها البقاء فيها لا تستطيع البقاء إلى الأبد. ويقدر رئيس بلدية الطيبة السابق نديم بركات ما يفعله آل خوري من أجل مدينتهم، ويقول:

---

[430] أنظر: تيا جودينبيرج، "قرية مسيحية في الضفة الغربية".

[431] أنظر: جوديث سوديلوفسكي، 2015.

[432] أنظر: ليزي بورتر، "طيبة الضفة الغربية".

[433] أنظر: جوديث سوديلوفسكي، "أول مصنع نبيذ في فلسطين".

[434] تيا جودينبيرج، المرجع السابق.

"الاقتصاد هو النقطة الرئيسة ولا شيء غير ذلك. يتعين علينا تحسين الاقتصاد في الطيبة، حتى لا يغادرها الناس ولا يهاجرون. هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكننا القيام به".[435]

وفي بعض النواحي يبدو أن هناك تركيزًا دينيًا أكثر وضوحًا على جانب النبيذ في الشركة أيضًا. فعند افتتاح مصنع النبيذ، تمت دعوة الكهنة وغيرهم من الزعماء الدينيين المسيحيين من التقاليد الأرثوذكسية اليونانية، والملكية، والكاثوليكية الرومانية، والقبطية، لحضور الاحتفال ومنح مصنع النبيذ مباركتهم. ويصف تقرير محلي الحفل قائلاً: إن جميع الكهنة "تجولوا في مصنع النبيذ معا، وهم يرددون الصلوات ويحملون الصلبان أثناء مرورهم بأحواض النبيذ الجديدة الكبيرة اللامعة وبراميل البلوط".[436] ولم يفت الزوار التداعيات الاقتصادية والدينية للحدث. قالت امرأة تعيش الآن في الولايات المتحدة، ولكنها كانت تزور عائلتها في الطيبة: "إن هذا يبعث برسالة إلى "الفلسطينيين" الذين يعيشون في الخارج، مفادها أنه ينبغي لهم الاستثمار هنا. إنه يجعل العالم يعرف أننا هنا، في قرية الطيبة، حيث مر المسيح".[437]

ونظرا لأن العنب محصول سائد في فلسطين، ويبدو أن عائلة خوري كانت تصنع النبيذ في المنزل منذ فترة طويلة مثل صنع البيرة المصنوعة في المنزل، فمن المثير للاهتمام أن نفكر في سبب إنشائها لمصنع البيرة أولاً، وانتظارها عشرين عامًا لدخول صناعة النبيذ. قد يكون هذا بالطبع، مبنيًا ببساطة على التفضيلات الشخصية للأجيال المختلفة: يحب نديم البيرة، وابنه كنعان أكثر اهتمامًا بالنبيذ. ومع ذلك، يبدو أيضا أنه من الممكن أن تكون الاعتبارات الدينية موجودة. وكما رأينا، فإن تخمير البيرة في فلسطين ليس خاليا من التعقيدات والجدل، ومن المرجح أن يُنظر إلى صناعة النبيذ على أنها أكثر استفزازا. ويمكن لليهود والمسيحيين الاستمتاع بالبيرة، ولكنها خالية في الغالب من أي رمزية دينية أو استخدام طقسي. بينما يتخلل النبيذ طقوس ورمزية في الديانتين. إضافة إلى ذلك، يشير النبيذ وكروم العنب في جميع الكتب المقدسة اليهودية، ليس فقط إلى البركة والوفرة، ولكن أيضًا إلى الدوام. وخاصة في مكان حيث غالبا ما تكون الأرض محل نزاع عنيف، فإن زراعة كرم ليس بالأمر الهين. عندما يزرع شخص ما كرمة عنب، فإنه يتوقع أن يظل هناك لفترة كافية لرؤيتها تنمو وتؤتي ثمارها ويصنع منها النبيذ: إنه مستقر، إنه في وطنه، إنه يمتلك الأرض. ويُظهر صنع النبيذ من هذا الكرم أنه كان هناك لفترة كافية للقيام بذلك، وأن الله قد باركه بالوفرة أثناء وجوده هناك. فلا عجب إذن أن يقوم المستوطنون اليهود الذين يشعرون بحقهم في الأرض بتمزيق كروم عائلة خوري.

إن صناعة النبيذ ستكون أيضًا، إن وجدت، إهانة أكبر للمسلمين المحليين. لقد رأت بعض المدارس الفكرية الإسلامية أن البيرة مشروب مقبول للمسلمين، ولكن كان هناك اتفاق عالمي على أن النبيذ المصنوع من العنب - الخمر في القرآن - حرام ولا يجوز للمسلم الملتزم أن يستهلكه بأي كمية. وخاصة عندما تصنعه عائلة خوري المسيحية، والذي يعني اسمها باللغة

---

[435] المرجع السابق.

[436] المرجع السابق.

[437] المرجع السابق.

العربية "القس او الكاهن"، فإن الدلالة الدينية سوف تظهر أيضاً. ومن الواضح أن أي شيء يتعلق بالنبيذ، سوف يحمل دلالات دينية وربما سياسية في فلسطين، ويبدو من الحكمة أن يبدأ آل خوري بالبيرة، فيؤسسون الثقة والنوايا الحسنة من خلال تعاملهم مع منتج مثير للجدل، قبل أن يحاولوا تجربة منتج أكثر إثارة للجدل.

التحليل

إن أوجه التشابه بين مصنعي بيرة الطيبة وبيرة الرعاة-شيبردز مذهلة. فكلاهما يقع في بلدات ذات أغلبية مسيحية، ويديرهما عائلات مسيحية تلقت تعليمها في الخارج، وتعرفت على البيرة الحرفية أثناء وجودها في الخارج. وقد بدأ كل منهما مهرجانا يعرض الموسيقى المحلية وأشكال أخرى من الثقافة، وتجتذب في نفس الوقت أيضاً فنانين وسياحاً من مختلف أنحاء العالم. وإن كل منهما صريح ويقصد استخدام شركته لزيادة مكانة فلسطين العالمية، من خلال تغيير الصورة حول هويتها.

يتحدث نديم خوري وعلاء صايج عن قرارهما ببدء شركتهما ليس من حيث كيف سيستفيد كل منهما من ذلك شخصيًا، بل كيف سيفيد فلسطين بأكملها. ويرى الرجلان بوضوح أن المصنعين لهما تأثير إيجابي على الاقتصاد، من خلال توفير صادرات قابلة للتسويق، وخلق فرص العمل، وتعزيز السياحة. يبدو أنهما يريان أيضًا من خلال خلق ثقافة البيرة الحرفية في بلدهما، يرفعان مكانة فلسطين في نظر العالم، أو على الأقل يغيران التصورات العامة حول شكل البلاد أو كيف يمكن أن تكون.

يبدو أن كل من العائلتين تستخدم إنتاج الكحول لتسليط الضوء على جوانب مميزة، ولكن مترابطة مع هويتهما. إن تخمير البيرة يميز هذه العائلات المسيحية عن الفلسطينيين المسلمين، ويؤكد تخمير بيرة فلسطينية بامتياز، إمكانية وقابلية الصناعة الفلسطينية للاستمرار في مكان تهيمن عليه إسرائيل سياسيًا واقتصاديًا. ولا يشكل أي شكل من هذا التمايز معارضة جوهرية. ولكن كأقلية دينية صغيرة في أرض محتلة، يمكن اعتبار مجرد تحديد وإعلان هوية مميزة للذات، بمثابة عمل من أعمال التحدي يستحق رد الفعل. يؤكد نديم خوري عادة في مقابلاته، أنه لم يواجه في شركته أي مضايقات على أسس دينية، رغم أن هذا الادعاء يبدو أنه يتجاهل تدمير المؤسسات المرتبطة بالكحول في غزة عام 2007. كما كان هناك توتر كبير، كما يتضح من خطاب عضو من حماس الذي ندد مباشرة بعمل نديم خوري على التلفزيون. كما تعرضت شركة الرعاة- شيبردز لبعض النقد اللاذع: يجب أن نتذكر أن مهرجان شركة الرعاة قد بدأ في رام الله لأن إماما وعظ ضد الشركة في مسقط رأس صايج في بيرزيت. كما تلقى بار إسرائيلي في حيفا في عام 2016، تهديدات عندما بدأ بتقديم بيرة الرعاة- شيبردز. وحث المعلقون على وسائل التواصل الاجتماعي على مقاطعة البار، ووصفوا أصحابه بالخونة، لتقديمهم "بيرة مصنوعة من الدم اليهودي".[438] ورغم أن كل من العائلتين تحاول تصوير

[438] أنظر: جاك مور، "بيع البيرة الفلسطينية في إسرائيل".

منتجاتها ومهرجانها كوسيلة لجمع الناس من جميع الأديان والجنسيات من أجل السلام والاحتفال معا - من المفترض أنهما تعتقدان حقا أنهما قادرتان على القيام بذلك - فمن الواضح أن البيرة والأحداث المرتبطة بها قد تعرضت للانتقاد.

بينما يتم استخدام صناعة البيرة لتحديد هوية فلسطينية مسيحية مميزة وإظهارها، فهي تسعى أيضا بصورة واضحة إلى رفع مكانة الشعب الفلسطيني ككل. وما إذا كان مصنعان للبيرة ومصنع نبيذ سيكون كافياً لرفع مكانة فلسطين إلى مستوى الدولة الحديثة في نظر بقية العالم، يحتاج إلى الانتظار. لكن يبدو أن حجم التغطية الصحفية العالمية للشركتين، يشير إلى وجود فضول على الأقل بشأن المشروع. وقد كان لها بالفعل تأثير ملحوظ على المستوى الإقليمي: ويبدو أن الناس في المنطقة يشربون البيرة بصورة أكبر. لقد زاد استهلاك البيرة في المنطقة بين عامي 2006 و2016، بنسبة 44 في المائة.[439] وإذا كان هناك أي عدد من العوامل قد يؤثر على هذه الإحصائية، فمن المؤكد أن أحدها هو العدد المتزايد من مصانع البيرة الصغيرة. عندما بدأ نديم مصنع الطيبة للبيرة في عام 1994، كان مصنعه الصغير هو الوحيد في الشرق الأوسط بأكمله. اليوم هناك العديد من مصانع البيرة الصغيرة في الأردن ولبنان، والعشرات في إسرائيل، وافتتح مصنع ثالث في فلسطين وهو مصنع "نخب الحكماء" Wise Men Choice.

الخاتمة

قبل ما يقرب من ثلاثين عامًا، اختار نديم خوري العودة إلى فلسطين، مصممًا على استخدام حبه الجديد للبيرة المصنوعة يدويا لتنشيط اقتصاد مسقط رأسه، وإظهار أن الفلسطينيين المسيحيين يجب أن يكون لهم يد في تشكيل مستقبل أمتهم وثقافتها. ورغم الاحتلال الإسرائيلي والحصار، والمعارضة لإنتاج أو بيع أو تسويق الكحول في ثقافة ذات أغلبية مسلمة، نجحت شركة الطيبة للبيرة في ترسيخ نفسها كشركة إقليمية، يُباع انتاجها الآن في جميع أنحاء العالم. ورغم المعرفة التامة بالصعوبات، فقد التقط أبناؤه رؤيته لأهمية البيرة الفلسطينية، وهم الآن من يديرون أعمال العائلة ويوسعونها، باستخدام البيرة والنبيذ لمواصلة تحدي الادعاءات حول فلسطين. تقول ماديس خوري: "عندما بدأوا، كانت هناك وصمة عار مفادها أن المنتجات الفلسطينية أدنى من نظيراتها الإسرائيلية أو الدولية. لقد أثبتنا أن هذا غير صحيح".[440] كما مهدت شركة بيرة الطيبة الطريق أمام جيل جديد من صانعي البيرة الفلسطينيين المسيحيين خارج عائلة خوري، بما في ذلك الإخوة صايج، مؤسسي شركة الرعاة-شبيردز، الذين لديهم التزام مماثل بكل من البيرة والوجود المسيحي المستمر في فلسطين. لقد ساعدت كل من الشركتين في صياغة هوية فلسطينية مسيحية فريدة من نوعها، حيث لم توفر لمجتمعاتها البيرة للاستمتاع بها فحسب، بل وأسبابا للاحتفال، ودعوة الآخرين للاحتفال معهم. لقد حقق مشهد البيرة الحرفية الفلسطينية بقيادة هذه المصانع، خطوات كبيرة نحو تعزيز الاقتصاد المحلي، وجذب السياح، وربما تغيير التصور العام للمنطقة، وإعطاء عدد قليل على

[439] أنظر: كارين لوب، "إحياء التقاليد القديمة".

[440] أنظر: ماريان دينين، "جيل جديد".

الأقل من الشباب أسبابًا للبقاء في فلسطين بدلا من المغادرة. كما يرى علاء صايج، "لدينا العديد من الفرص للعيش على المستوى الدولي، ويمكنك أن تجد الحرية بعدة طرق. ولكننا قررنا، لأننا متجذرون هنا، وأسلافنا من هذه الأرض، أن نبني شيئا على هذه الأرض.[441]

[441] نايجل ويلسون، "انتشار الحانات الفلسطينية".